موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

برُّ الوالدين

الدكتور محمد راتب النابلسي



www.nabulsi.com

info@nabulsi.com

الفصل الأول : تمهيد

الدرس (1-1) : مقدمة

الدرس (1-2) : مدخل إلى بر الوالدين

الدرس (1-1) : مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله ثمّ الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لِنَهْتَدِيَ لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ، ولا اعتصامي ، ولا توكّلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقرارًا لرُبوبيَّته ، وإرغامًا لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدًا صلى الله عليه وسلّم رسول الله سيّد الخلق والبشر ما اتَّصَلَت عين بنظر ، وما سمعت أذنٌ بِخَبر .

اللّهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدّين ، اللّهمّ ارْحمنا فإنّك بنا راحِم ولا تعذّبنا فإنّك علينا قادر ، والْطُف بنا فيما جرَتْ به المقادير ، إنَّك على كلّ شيءٍ قدير ، اللّهمّ علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدْنا علمًا ، وأرنا الحقّ حقًّا وارزقنا اتّباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممَّن يستمعون القول فيتّبعون أحْسنه ، وأدْخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

بر الوالدين والقيام برعايتهما

أيها الإخوة الكرام ؛ شاع بين المسلمين عُقوق الوالدين ، وعُقوق الوالدين من الكبائر ، بل إنّ عُقوق الوالدين من أكبر الكبائر .

ويا أيها الإخوة ليس في الأديان ، وليس في الدِّين الإسلامي كلّه أمْرٌ واحدٌ بِتَنَاوُل الطعام ، ولا توَعُّدٌ لِمَن لا يأكل ، لماذا ؟ لأنّ هذا تَحصيل حاصل ، فقد رُكِّبَ في طبْع الإنسان ، وأصل تَصميمه دافعٌ إلى الطعام وحاجةٌ إليه ، يتمثَّل هذا بالشعور بالجوع وذلك الشعور الذي لا يُقاوَم .



كذلك ليس في الدِّين كلّه أمْرٌ للآباء بِرعاية الأبناء ، لأنّ هذا مركّبٌ في طبْعهم ، وفي أصل تَكوينهم ولكنّ برّ الأبناء للآباء تكليفٌ ، ومعنى انَّه تكليف أنَّهُ ذو كُلْفةً يقتضي كلفةً وإرادةً ، يقتضي بذْلاً ، يقتضي عطاءً ، أن تَفْعَلَ شيئًا وفْق طبْعِكَ شيء وأن تفْعَلَ شيئًا بِخِلاف طبْعِكَ شيءٌ آخر، إنَّك لن ترقى إلا إذا فعلْتَ شيئًا بِخلاف طبْعِك ، قال تعالى

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾

[سورة النازعات الآية:40]

فإذا كان الطَّبْعُ يقتضي أن تنظر إلى ما يُمْتِعُ العين فالذي يرقى بك إلى الله أن تغضّ البصر عمّا نُهيتَ أن تنظر إليه ، وإذا كان الطَّبْعُ يقتضي أنْ تقبضَ المال فإنّ التكليف يقتضي أن تدفعَهُ ، وإذا كان الطَّبْعُ يقتضي أن تتكلَّم بِعَوْرات الناس فالتكليف يقتضي أن تسكت ، لذلك أيها الإخوة ؛ لا يرقى المسلم عند الله عز وجل إلا إذا خالَفَ هواه وطبْعَهُ ، رعاية الآباء للأبناء في أصْل طبْعِهِم ، مركّبٌ في طبْعِهم من أجل اسْتِمرار الحياة وأن تُعْمَرَ الأرض ، ولكنّ برّ الأبناء للآباء تكليف ، ومعنى أنَّه تكليف أيْ ذو كُلفَة يقتضي اختِيارًا ، ويقتضي جُهْدًا ، ويقتضي وقتًا ، ويقتضي أحياناً مشقة .

أيها الإخوة الكرام ؛ الإنسان يُثابُ على أعماله التي تُخالفُ طبْعهُ أكثر ممَّا يُثاب على أعماله التي توافق طبْعَهُ ، لذلك برّ الوالدين يُثابُ صاحبُه عليه في الدنيا توفيقًا ونجاحًا ، وفي الآخرة سعادةً وخلوداً ، ويا أيها الإخوة الكرام ؛ إنّ هذا التكليف أنت أيها الإنسان مُكَلَّفٌ بِبِرّ والِدَيك ، هذا التكليف من الأهَمِيَّة بحيث قرَنَهُ الله عز وجل بِعِبادَتِهِ ، والاقْتِران عن طريق العَطْف يُفيدُ التوافُقَ والمشاكلة ، والمشابهة والاشْتِراك ، قال تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾

[سورة الإسراء الآية:23]

ربّنا جلّ جلاله رفعَ الأمر بالإحسان إلى الوالدين إلى مستوى عبادته ، إذًا هو من الأهَمِيَّة بِمَكان ، الله سبحانه وتعالى هو الذي أوْجَدَكَ ولم تَكُنْ شيئًا مَذْكورًا ، أوْجَدَكَ عن طريق هذا الأب وتلك الأمّ ، إذًا قال تعالى:


الإنسان مُكَلَّفٌ ببِرِّ والديه وقد قرَنَهُ الله عز وجل بعبادتِهِ

﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

[سورة لقمان الآية: 14]

هذا العطف يقتضي المشاركة والتوافق.

أيها الإخوة الكرام ؛ مرّةً ثانِيَةً ، أحْسَنَ في اللّغة العربيّة يتعدَّى بإلِـ ، لو فتَحْتَ المعاجم على فعل أحْسَن يُقال أحْسنَ إليه ، إلا أنّ هذا الفِعْل في القرآن الكريم يتعدَّى بِحَرْفٍ آخر ، هو الباء، قال تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

[سورة الإسراء الآية:23]

أيْ إحْسانًا بالوالدين ، ولا يخفى على كلّ ذي فهْمٍ أنّ هذه الباء تفيد الإلْصاق ، وقد اسْتَنْبطَ علماء التفسير من حرْف الباء أنَّ الإحسان للوالدين لا يُقْبَلُ إلا إذا كان شخْصِيًّا وبالذات من ابنهما لا عن طريق الهاتف ، ولا عن طريق الواسطة ، ولا عن طريق الرسالة ، لا بدّ من أن تحضر إليه ، ولا بدّ أن تقدّمَ إليه الخِدْمةَ بِنَفْسِكَ ، لا تُقْبَلُ إلا أن يكون هذا شخصيًّا منك .


وبالوالدين إحسانا تفيد الإلصاق أي شخصيًّا لا عن طريق الهاتف

أيها الإخوة الكرام ؛ في صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن عبد الله قال سألتُ الصلاة على وقتها ثمّ بر الوالدين ، الجهاد في سبيل الله ، فَبِرُّ الوالدين من خِلال هذا الحديث هو أعظمُ الأعمال في الإسلام بعد الصلاة التي هي عِماد الدِّين وعِصام اليقين ، وسيّدةُ القربات ، وغرّة الطاعات ، ومعراج المؤمن إلى ربّ الأرض والسماوات.

أيها الإخوة الكرام ، ثمّ يقول الله عز وجل:

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

[سورة الإسراء الآية:23]



يا إخوة الإيمان أرأيْتُم إلى كلمة واحدة في الآية الكريمة ؟ كلمة عندَكَ يعني هم عندك ، بعدَ أن كنْتَ أنت عندهم ، الطّفل إذا كان صغيرًا ، الطّفل الصغير الضعيف هو عند والدَيْه مكانًا ونفقَةً ورِعايَةً وتربِيَةً ، تقدَّمَتْ السِنّ بالأب فأصبحَ الأب عند ابنه مكانًا ونفقَةً ورِعايَةً وترْبِيَةً، قال عز وجل :

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ﴾

[سورة الإسراء الآية:23]

هم الآن عندك ، وقد كنت عندهم ، يوم كنتَ صغيرًا كنت عندهم في بيت أبيك ، هو ينفقُ عليك ، هو يرْعاك ، هو يُربّيك ، أما اليوم هو عندك في بيتك عليك أن ترْعاه ، وعليك أن تنفق عليه ، وعليك أن تُعْطِيَهُ أثْمَنَ ما عندك ، قال عز وجل:

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾

[سورة الإسراء الآية:23]

ربّما لا يجد الإنسان مشقَّةً وعنةً في برّ والدِهِ الشابّ ، ولكنّ الأب إذا تقدَّمَت به السنّ أصْبحَتْ حاجاتهُ كثيرة، وقد يُصبحُ كلامه كثيرًا، وقد يصبحُ تدخُّله كثيرًا ، فإذا بلغَ من الكِبَر وهو عندك هو في أمسّ الحاجة إليك ، إلى عطْفكَ ، وإلى حِلْمِكَ ، وإلى رحمتك ، وإلى رعايتك ، وإلى ترْبيَتِكَ ، قال تعالى:



﴿إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾

[سورة الإسراء الآية:23]

برُّ الوالدين تكليف ، ربّما شعرَ الإنسان البعيد عن الله عز وجل أنّ أباهُ عبءٌ عليه، ربّما شعر الإنسان البعيد عن الله عز وجل أنَّه أُمّه عبءٌ عليه ، ومصْلحتُهُ مع زوْجتهِ ، مصْلحتُه مع رفاقه ومع أصدقائه ، فهذا الأب الذي تقدَّمَتْ به السنّ ، وهو في أمسّ الحاجة إليك ربّما أصبحَ عبئًا عليك ، لذلك جاء الأمر الإلهي، قال تعالى:

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

[سورة الإسراء الآية:23]

كلمة أف ليسَتْ كلمة ، إنَّها نَفَسٌ مَسْموع ، زفيرٌ مَسْموع ، زفيرٌ بِصَوْتٍ عالٍ ، وردَ في بعض الآثار أنّه لو أنّ في اللّغة كلمة أقلّ من أفّ لذكرها الله عز وجل ، قال تعالى:

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾

[سورة الإسراء الآية:23]



أُفّ اسم فعل مضارع ، بِمَعنى أتضجَّر ، والإنسان إذا تضجَّر قال: أفّ، أو تنفَّسَ بِصَوتٍ مَسْموع ، أو أرْجَعَ الهواء من رئتَيْهِ بِصَوتٍ مَسْموع أيْ كان زفيرهُ مَسْموعًا.

ويا أيها الإخوة الكرام ؛ العلماء حملوا على هذه الكلمة التي وردَت في نصّ القرآن كلَّ فِعْلٍ كإغلاقٍ باب ، وكلّ كلمةٍ أو كلَّ نظرةٍ تُساويها في الإساءة إلى الأم والأب ، في القرآن منْطوق ، وفي القرآن مفهوم ، فكَلِمَة ولا تقل لهما أُفٍّ يُساويها أنْ تشُدّ نظرك إلى أبيك ، يُساويها أن تغلق الباب بِعُنْف ، يُساويها أن تحرّك يدَيْك تضجُّرًا ، أيّ فِعْلٍ ، أو أيَّةُ كلمة ، أو أيَّةُ إشارة أو أيّة عبارة ، أو أيّة حركة ، أو أيُّ تصرُّفٍ يُساوي كلمة أفّ فهي تأخذ حكمها . لذلك روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال :

((رغم أنف عبد أدرك والديه عند الكبر))

وفي رواية أخرى:

((رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه ؛ أيْ خابَ وخسر، من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثمّ لمْ يدخُل الجنّة))



أما معنى قول الله عز وجل:

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾

[سورة الإسراء الآية:23]

مِن النَّهْر أيْ الزَّجْر والغلظة قال تعالى:

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

[سورة الإسراء الآية:23]

فسَّره العلماء بِقَول العبد المذنب لِسَيِّدِه القويّ الفضّ الغليظ ، تصوَّرْ عبْدًا مُذْنِبًا يتكلّم أمام سيّده الفضّ الغليظ ، ماذا يقول له ؟ كلامٌ أحلى من العسل ، مع تلطّف ، مع ندم ، مع اختيار للألفاظ اللطيفة ، قال تعالى:

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

[سورة الإسراء الآية:23]

كَقَوْل العبد المذنب لِسَيِّدِ القويّ الفضّ الغليظ، قال تعالى:

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾

[سورة الإسراء الآية:23]



عن عائشة :

((لا تمشي أمامه ، ولا تقعد قبله ، ولا تدعهُ باسمه))

معنى تسْتَسِبَّ له أي لا تكن سببًا في سبِّه، أي لا تفعل أعمالاً سيّئة مع الناس تدْعوهم إلى أن يسبُّوا أباك ، لا تمشي أمامه ، ولا تقعد قبله ، ولا تدعهُ باسمه ولا تسْتَسِبَّ له.

أيها الإخوة الكرام ؛ وما دُمنا قد وصلنا إلى كلمة : ولا تسْتَسِبَّ له ، فقد أكَّدَ العلماء أنّ من العقوق أن يشْتم الرجل والدَيْه ، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر...:

((شتْم الرجل والديه ! وهل يشتم الرجل والديه....))

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام ودقّقوا في هذا الحديث:

((من أحْزَنَ والِدَيْه فقد عقَّهما))

إذا فعلْتَ فِعْلاً أدْخَلْتَ على قلبهما الحُزن ، وقد عدَّ النبي صلى الله عليه وسلّم عُقوق الوالدين من أكبر الكبائر .

فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله :

((أكبر الكبائر قالها ثلاثا: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متّكئا فجلس فقال : ألا وشهادة الزور))

[أخرجه البخاري ومسلم]



أيها الإخوة الكرام ؛ قد يقول قائلٌ والديّ ليس على الحق ، ليس مستقيما لا يصلّي ويفعل المنكرات ، اسْتَمِع أيها الأخ الكريم إلى رأي الشرع في هذا الموضوع ، يقول العلماء لا يختصّ بِرُّ الوالدين بأنْ يكونا مسلمين ، ففي صحيح البخاري عن أسماء :

((راغبة عن الإسلام))

برّ الوالدين لا يختصّ بالوالدين المؤمنين المسلمين ، لأنّهما والدان همْ يسْتحقّون منك البِرّ والإحسان .

وقد قال بعض المفسّرين إنّ الله سبحانه وتعالى أنْزل عقب هذه الحادثة قوله تعالى:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

[سورة الممتحنة الآية:8]

وفي الصحيح عن أبي هريرة ...

((مَنْ أحَقُّ الناس بِحُسْن صَحابتي ؟ قال : ' أمُّك ' – ثلاث –))



فحقُّ الأمّ ثلاث أمثال حقّ الأب ، وسئل صلى الله عليه وسلّم من أعظم الناس حقًّا على الرجل؟ فقال : أمّهُ ، فلما سئل : من أعظم الناس حقّا على المرأة ؟ قال : زوجها .

وجاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلّم يستأذنهُ في الجهاد فقال: أحَيٌّ والدك ؟ قال: نعم ، قال : ففيهما فجاهِد ، فَبِرُّ الوالدين يعْدِلُ الجهاد في سبيل الله ، وهذا يذكّرني بِحَديث لِرَسول الله صلى الله عليه وسلّم حينما جاءتْهُ امرأة تشتكي أنّ الرجال بكلّ الخير ، فالجهاد لهم ، والأعمال الطيّبة لهم ، والدعوة إلى الله لهم ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : اِعْلمي أيّتها المرأة وأعْلِمي من دونك من النّساء أنّ حُسْن تَبَعُّل المرأة زوجها يعْدِلُ الجهاد في سبيل الله ، دقّقوا في هذين الحديثين ، حُسْن تَبَعُّل المرأة زوجها يعْدِلُ الجهاد في سبيل الله ؛ أنْ ترْعَى بيْتَ زوْجها، أن ترْعى زوْجها ، أنْ ترْعى أولادها ، هذا عند الله جهادُ المرأة ، وأن يبرَّ الرجل والِدَيه هذا عند الله يعْدلُ الجهاد .



وقد روَتْ الكُتب أنّ رجلاً خاصمّ امرأتهُ على ولدٍ لهما ، أيّهما أحقّ بِحَضانته .

فقالتْ المرأة للقاضي : أنا أحقّ به لأنّني حملْتهُ تسْعة أشهرٍ ثمّ وضَعْتهُ ، ثمّ رضّعته إلى أن ترعْرع بين أحضاني .

فقال الرجل : أيها القاضي أنا حملْتُ قبل أن تحملهُ ، ووضعْتُهُ قبل أن تضعهُ ، فإن كان لها بعض الحقّ فيه ، فَلِيَ الحقّ كلّه أو جلّه .

فقال القاضي : أجيبي أيّتها المرأة .

قالت : لئِنْ حَمَلَهُ خِفًّا ، فقد حمَلْتُهُ ثقلاً ، ولئِنْ وضَعَهُ شهوةً ، فقد وضَعْتهُ كُرْهًا .

فقال القاضي : اِدْفَع إلى المرأة غلامها ودَعْني من سَجْعك .



أيها الإخوة الكرام ؛ وقد يقول قائلٌ ما دام أبي حيًّا فأنا أسْعى لِبرّهِ فإذا أخذ صاحب الأمانة أمانتهُ فماذا بقيَ عليّ من بِرّهِ ؟ لكن أحكام الشريعة السّمْحاء دقيقة دقيقة ، فقد جاء رجلٌ من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال يا رسول الله هل بقي عليّ من بِرّ والديّ مِن بعد موتهما شيءٌ ؟ فقال : نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهْدِهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرّحِمَ التي لا رَحِم لك إلا من قبلهما ، أما الصلاة عليهما ففي بعض الآراء هي صلاة الجنازة ، لكنّ بعض العلماء وسَّعَ هذا المفهوم وقال: الصلاة عليهما هي الدعاء لهما بالرحمة، وقد أمر الله تعالى بذلك فقال :

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾

[سورة الإسراء الآية:24]

الدعاء للوالدين بالمغفرة حتى ما بعد الموت

ففي صحيح مسلم والبخاري ...

((إذا مات ابن آدم انقط عمله إلا من ثلاث....))

من هو الولد الصالح ؟ قد نفْهم هو إنسان متفوّقٌ بِحَياته ، له دَخْلٌ وذكيّ حكيم ! لا، العلماء قالوا : الولد الصالح هو الولد المؤمن ، فإذا دعا ابنك المؤمن لك من بعد الحياة فهذا الدعاء اسْتمرار لِعَملك الصالح ، فقد أكَّدَ العلماء أنّ دعاء الولد المؤمن الصالح لأبيه بعد موته اسْتمرار لِعَمله بِشَرْط أنْ يُرَبّيَهُ تربيَةً ترضي الله تعالى ، إذا أسْهَمَ الأب في إيمانه وتربيَتِهِ ، وجَهِدَ الليالي في تربيته ، وإذ راقبهُ ، إذا ضبطهُ ، إذا درسَ سُلوكهُ ، وقدَّم له النصيحة ، إذا أعانه على أمر دينه ، إذا زوَّجَهُ خوفًا أن يقعَ في الفاحشة ، إذا فعلَ كلّ هذا إلى أن استقام عودهُ وأصبح هذا الابن صالحًا مؤمنًا ، الآن هذا الابن إذا دعا لأبيه بعد موته فَدُعاؤُهُ اسْتِمرارٌ له .

وقد قال بعض التابعين : من دعا لِوَالِدَيه في اليوم خمْس مرات فقد أدَّى حقّهما في الدعاء ، أيْ لا بدّ أن تدْعُوَ لِوَالديك في الصلوات الخمس ربّ اغفر لي ولِوَالديّ ، ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيرًا.



أيها الإخوة ؛ أحدنا أحيانًا يقرأ هذه الأدعِيَة دون أن يعيَ مضمونها ، ودون أن يعي الهدف البعيد منها ، وتصبحُ عادةً من عوائدهِ، يصبح كلامًا لا يفكّر فيه ، قبل أن تُسلِّم من الصلاة قُلْ : ربّ اغفر لي ولوالِديّ ، ربّ ارْحمهما كما ربَّياني صغيرًا ، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؛ إنّ الرجل لَتُرْفعُ درجتهُ في الجنّة ، فيقول يا ربّ أنى لي هذا ؟ فيُقال: باستغفار ولدك لك ، وهو في الجنّة تُرْفع له درجته ، يقول يا ربّ أنى لي هذا ؟ قال : باستغفار ولدك لك .

يا أيها الإخوة الكرام ؛ كلمةٌ من القلب ؛ مَن كان له ولد فَجَهِدَ في تربيتِهِ وفي توجيهه ، وفي حُسْن تربيَتِهِ ، وفي تعليمه القرآن ، وفي تعليمه أحكام الشريعة إلى أنْ أصبح هذا الابن مؤمنًا مستقيمًا برًّا رحيمًا ، هذا الابن هو اسْتمرار إلى الأبد ، اسْتِمرار لك ، وأنت في الجنّة تُرفع منزلتك ، فيقول يا ربّ أنى لي هذا ؟ فيُقال : باستغفار ولدك لك ! فَكُلّ الأعمال مهما كانت جليلةً تنتهي عند الموت ، ولكنّ أعظمَ الأعمال ما اسْتَمَرَّ ثوابها بعد موتِ صاحبها ، ومن أجلّ هذه الأعمال تربية الأولاد تربيَةً صالحة ، فيَنْبغي أن يأخذ ابنك من وقتك الشيء الكثير ؛ من وقتك وجهدك وتفكيرك وتخطيطك وبذْلك ومالك ، هذا الذي يدعُ ابنه ويقول : أنا كنتُ عصاميًا ، فكُنْ مِثلي عِصامِيًّا ، وهو قادر على تَزْويجهِ ، هذا الأب مُقَصِّرٌ في حقّ أولاده ، يجب أن تعينه على طاعة الله ، وعلى غضّ بصرهِ لِتَزويجه ، يجب أن تُعينه على كسب ماله لِتَأمين عملٍ له ، يجب أن يأخذ ابنك من وقتك كلّ الوقت.



أيها الإخوة ؛ أربعة أشياء أنْ تَدْعُوَ لهما ، وأن تستغفر لهما ، وأن تنْفذَ عهْدهما ، العلماء قالوا : إنفاذ العهْد المُراد منه إنجازهُ والوفاء به ، ما دام هذا العهْد من الأمور التي ترضي الله تعالى ، لو أوْصى الأب بأن يُقْتَطَع من مالهِ جزءٌ لِعِمارة المساجد ، أو لِطَلَبة العلم ، أو لِنَشْر بعض الكتب الدِّينيّة ، أو لأعمال البرّ ،

فَمِن واجبات الأبناء أن ينْفذوا عهْد أبيهم ، وإلا وقعوا في معصِيَةٍ كبيرة ، إلا أنّ هناك اسْتِثناءً ، لو أنّ الأب أو الأمّ أوْصَيا بِبَعض المخالفات والبِدَع ، فإنّ وصِيَّتهما لا تُنَفَّذُ لأنَّه لا طاعة لِمَخلوق في معْصِيَةِ الخالق ، إذا كان بالوصيّة أشياء لا تُرضي الله عز وجل ، فيها إجحاف ، وفيها بِدَع ، هذه لا تُنَفّذ ، والابن يطمئنّ إلى قوْل النبي عليه الصلاة والسلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ورد في بعض الأحاديث أنّ صِلَة الرحم تنادي وتقول : اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني ، فيقول الله عز وجل: أنا الرحمن الرحيم ، شققْتُ للرَّحِم من اسمي اسمًا فَمَن وصلها وصلْتُه ، ومن قطَعَها قطَعْتُه ، وقد ورد في الأثر ، أنْ عبْدي ماتَتْ التي كُنَّ نُكْرِمُكَ من أجلها ، فاعْمَل صالحًا نُكْرِمْكَ لأجلك ، أيْ إنّ جزءً من إكرام الله لك في حياة أمّك من أجْل أمِّكَ .



فإذا ماتْ الأمّ فأيُّ عملٍ سيّئ يُعاقب عليه الإنسان أشدّ العقاب ؛ لأنّ الله عز وجل لو عاقب الابن في حياة أمّه وأبيه لكان عقابًا للأم والأب أيضًا لما أوْدَعَ الله فيهما من الرَّحْمة .

أيها الإخوة الكرام ؛ خِتامُ هذا الموضوع ، هذا الحديث الشريف رواه أحمد:

((من سرَّه أن يُمَدَّ له من عُمره ، ويُزاد له في رزقه فلْيَصِلْ رحمه))

[رواه أحمد]

أيها الإخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزِنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطّى غيرنا إلينا فلْنَتَّخِذ حذرنا ، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتْبعَ نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني .

بر الوالدين يحتاج إلى تطبيق عملي .

أيها الإخوة الكرام ؛ النصوص التي بين أيدينا التي على برّ الوالدين لا تخفى على أحد ، ولكنّ الأزْمة التي يعيشها المؤمن ، أنّ هناك مسافةً كبيرة بين ما يُحفظ ، وبين ما يُطبّق ، فالإنسان الذي يريد أن يتألّق وأن يرضى الله عنه ، يجب أن يأخذ بعض هذه الأحاديث ، أو كلّها مأْخَذًا جِدِيًّا ، وأن يُحاوِلَ تطبيقها ، منذ سماع هذه الخطبة ، ولكنّ المحفوظات كثيرة ، والتطبيقات قليلة ، وهذا الذي أهْلك المسلمين ، إذا زاد العلم

على العمل صار العلم عبئًا على صاحبهِ ، وصارَ وبالاً عليه ، وصار حِسابةُ حسابًا خاصًّا ، فالأولى أن يُطابق العلم العمل ، فكلُّ موقفٍ يقفهُ الإنسان من أمّهِ وأبيه قبل أن يتصرّف ، قبل أن يغضب ، وقبل أن يتكلّم ، قبل أن يقف ، وقبل أن يقطع ، وقبل أن يصل ، عليه أن يسترجع هذه الأحاديث الشريفة وهذه الآية الكبيرة التي قال الله فيها:



﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة الإسراء الآية: 23]

هذا القرآن الكريم ما نزل من عند الله عز وجل كيْ نقرأهُ ونكتفي بها ، أو كي نتتبَّعَ معانِيَهُ الدقيقة ونكتفي بذلك ، إنّ هذا القرآن الكريم منهج حياتنا ، وتعليمات خالقنا ، توجيهات سديدة حكيمة مِن ربّنا ، فإذا أخذنا به سَعِدنا في الدنيا والآخرة ، وقد قال الله عز وجل

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

[سورة الإسراء الآية:9]



وقد ورد في بعض الأحاديث : رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلْعنُهُ ، كيف يلْعنُهُ ؟ إذا خالف الأمر والنّهي ، وفي حديث آخر : ما آمنَ بالقرآن من اسْتحلّ محارمه ، فالذي حرّم الله أن نفعله ينبغي أن لا نفعله ، والذي أمرَ به ينبغي أن أْتمِرَ به وإلا انْفصَلَتْ حياتنا عن مبادئنا ، وأصبحَت مبادئنا كلامًا بِكَلام لا تعني شيئًا ، فلِذلك إن أردْتَ أن تُفَسِّر بعض مظاهر الضَّعْف والتَّخَلّف التي يُعاني منها المسلمون أنّ هناك مسافةً كبيرة بين واقعهم وبين معتقداتهم وبين النصوص التي يحفظونها ، وبين المسالك التي يسْلكونها ، هناك مسافة كبيرة ، فكلّما ضاقت هذه المسافة نجَحْنا وسَعِدنا في الدنيا والآخرة ، والأولى أن تنعدمَ هذه المسافة ، وأن يكون التطابقُ تامًّا بين حياتنا في

بيوتنا ، ومع أهلينا ، ومع والِدَينا ، ومع أزواجنا ، وأولادنا ، وبين النصوص التي وردت عن الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

الدعاء

اللهمّ اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيْت ، وتولَّنا فيمن تولّيْت ، وبارك اللّهم لنا فيما أعْطيت ، وقنا واصْرف عنّا شرّ ما قضَيْت فإنَّك تقضي ولا يُقضى عليك ، إنَّه لا يذلّ من واليْت ، ولا يعزّ من عادَيْت ، تباركْت ربّنا وتعاليْت ، ولك الحمد على ما قضيْت نستغفرك اللهمّ ونتوب إليك .

اللهمّ هب لنا عملاً صالحًا يقرّبنا إليك ، اللهمّ أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنّا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارضَ عنَّا ، وأصْلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصْلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصْلح لنا آخرتنا التي إليها مردُّنا ، واجْعل الحياة زادًا لنا من كلّ خير ، واجعل الموت راحةً لنا من كلّ شرّ ، مولانا ربّ العالمين .

اللهمّ اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمَّن سواك ، اللهمّ لا تؤمنَّا مكرك ، ولا تهتِك عنَّا ستزَك ، ولا تنسنا ذكرك ، يا رب العالمين .

اللهمّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهمّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين .

اللهمّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسّنين ، ولا تعاملنا بِفِعل المسيئين يا رب العالمين .

اللهمّ إنَّا نعوذ بك من عُضال الداء ومن شماتة العداء ، ومن السَّلْب بعد العطاء ، يا أكرم الأكرمين ، نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الذلّ إلا لك ، ومن الفقر إلا إليك .

اللهمّ بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحقّ والدِّين وانصر الإسلام وأعزّ المسلمين ، وخُذ بيَدِ وُلاتهم إلى ما تحبّ وترضى إنَّه على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (1-2) : مدخل إلى بر الوالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكُّلي إلا على الله .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً بمن جحد به وكفر .

وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلَّم سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهمَّ صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذُريَّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين .

اللهمَّ ارحمنا فإنَّك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير إنك على كل شيءٍ قدير .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

تمهيد :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ ورد في الأثر أنه : مِن ساعة أن يوضَع المَيت على الجنازة إلى أن يوضع على شَفير القَبر ، يسأل الله بعظمته أربعين سؤالاً ، ويقول الله عزَّ وجل :

((عبدي طهَّرت منظر الخلق سنين وما طهَّرت منظري ساعة ، وكل يومٍ أنظر إلى قلبِك وأقول : ما تصنعُ لغيري وأنت محفوفٌ بخيري ؟! أما أنت فأصم لا تسمع))

[ورد بالأثر]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ يُطَهِّر الإنسان منظرُ الخلق ، يُحسِّن بيته ، يعتني بهندامه ، ينظِّف متجره ، يطلي بيته ، يشتري أثاثاً جديداً ، يتعطَّر ، يتطيَّب ، هذا مَنْظَر الخَلق ، فماذا فعلت بمنظر الحَق ؛ وهو القلب ؟ أفيه غِل ؟ أفيه حسد ؟ أفيه ضغينة ؟ أفيه شرك ؟ أفيه حقد ؟ أفيه بغضاء .

((طهَّرت منظر الخلق سنين وما طهَّرت منظري ساعة ، وماذا تصنع لغيري وأنت محفوفٌ بخيري ؟! أما أنت فأصمُّ لا تسمع))

[ورد بالأثر]

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

[سورة الشعراء الآية:88-89]

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾

[سورة الأعلى الآية:14-15]

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:9-10]



أيها الإخوة الأكارم ؛ طهّروا مَنظر الله عزَّ وجل ، ألا وهو القلب ، لأن الله ينظرُ إليه في كل حين ؛ قد يرى محبوباً غيره فيُعرض عنه ، قد يرى شِركاً ، قد يرى تعلُّقاً بالدنيا ، قد يرى الدنيا أكبر همِّ القلب ومبلغ علمه .

((ما استرذل الله عبداً إلا حظر عليه العلم والأدب))

[ورد بالأثر]

((طهَّرت منظر الخلق سنين وما طهَّرت منظري ساعة))

[ورد بالأثر]

ماذا تصنع ؟ ماذا تنتظر ؟ ما الذي سيأتي بعد أيام ؟ أليس الموت هدفَ كلّ إنسان ؟ أليس الموت نهاية كل مخلوق ، ماذا بعد الموت ؟ أيكون الموت نهاية الحياة ؟ ليته ذلك ، ولكنَّ الموت بداية حياةٍ أبديَّة ، بداية حياةٍ سرمديَّة .

﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾

[سورة الأعلى الآيات:13-16]

((طهَّرت منظر الخلق سنين وما طهَّرت منظري ساعة))

[ورد بالأثر]

وتطهير القلب يحتاج إلى صلةٍ مُحْكمةٍ بالله عزَّ وجل ، والصِّلة المحكمة بالله عزَّ وجل تحتاج إلى استقامةٍ على أمره وفعلٍ للصَّالحات .

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾

[سورة الكهف الآية:110]

ولا يشرك بعبادة ربه أحداً هي الاستقامة

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾

[سورة الكهف الآية:110]

هي العمل الصالح ، شرطان أساسيَّان كي يحقِّقا الصِلة التي بها تشفى القلوب ، وتُمحى بها الذنوب ، وتذهب الأدران ، ويصبغ القلب بصبغة الله الكريم .

أيها الإخوة المؤمنون ... لا تنسوا هذا القول :

((عبدي طهَّرت منظر الخلق سنين وما طهَّرت منظري ساعة ، وكل يومٍ أنظر إلى قلبك وأقول : ما تصنع لغيري وأنت محفوفٌ بخيري))

[ورد بالأثر]

برُّ الوالدين :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في الخُطبة موضوعان ، الأول : برُّ الوالدين ، فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾

[سورة الإسراء الآية:23]



الآية واضحةٌ كالشمس ، لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق ، العبادة لله وحده ، ولا مخلوق في الأرض . كائناً من كان . يُطاع بمعصية الخالق ..

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء الآية:23]

الطاعة لله والإحسان للوالدَين ، ولكنَّ الحالات الصَعبة التي ينبغي أن يحتَمِلَها المؤمن .

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾

[سورة الإسراء الآية:23]

بلغ الأب مِن الكِبَرِ عتيًا ؛ ضعفت ذاكرته ، ضاقت نفسه ، صارت طلباته كثيرة ، وهو عندك في البيت ، عندك وقد كبرت سِنه ، عندك وقد ضاقت نَفسه .

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾

[سورة الإسراء الآية:23]

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((ما برَّ أباه من شدَّ طرفه إليه))

[أخرجه الطبراني]

نظر إليه هكذا ، ما برَّ أباه .

لو أنَّ في اللغة كلمةً أقلّ من كلمة "أفٍ" لقالها الله عزَّ وجل ، أقل كلمة تبرُّم في اللغة كلمة " أف " هي حرامٌ، نهى الله عنها ، فما قولك يا أخي المؤمن بما فوقها ؟ فما قولك بمَن يُقيم دعوى على أمه أو على أبيه؟ ما قولك بمن يسُبُّ والديه ؟ ..

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾

[سورة الإسراء الآية:23-24]

قال عليه الصلاة والسلام :

((إذا ترك العبد الدعاء للوالدين فإنه ينقطع عنه الرزق))

[من كنز العمال : عن أنس]

وقال عليه الصلاة والسلام :

((من هجر أحد والديه ساعةً من نهار))

لا يوماً بكامله ، لا أسبوعاً بكامله ، لا شهراً بكامله بل ساعةً من نهار .

((كان من أهل النار حتى يتوب))

[ورد بالأثر]

عن أبو بكرة رضي الله عنه قال : كُنَّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

((أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاثًا))

[أخرجه البخاري ومسلم]

هناك صغائر ، وهناك كبائر ، وهناك أكبر الكبائر

((قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ))

[أخرجه البخاري ومسلم]

هذه أكبر الكبائر ، كيف أن الله سبحانه وتعالى قَرَنَ الإحسان إلى الوالدين مع عبادة الله عزَّ وجل ..

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء الآية:23]

كذلك النبي صلى الله عليه وسلَّم قال :

((الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ))

[أخرجه البخاري ومسلم]

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((ليعمل العاقُّ ما شاء أن يعمل فلن يغفر له))

((ليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة))

[من كنز العمال : عن معاذ]

عن أبو هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال :

((لا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ))

[أخرجه البخاري ومسلم]

واجب الآباء اتجاه أبنائهم :

أيها الإخوة المؤمنون ، هذا الكلام نقولُه للأبناء ، فماذا يجب أن نقول للآباء ؟ قال عليه الصلاة والسلام :

((رحم الله والداً أعان ولده على برِّهِ))

عن خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة رحمه الله :

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

[أخرجه مسلم وأبو داود]

أن يضيع من يقوت من أولاده ..

((ليس منَّا من وسَّع الله عليه ثم قتَّر على عياله))

عليك إذا وسَّع الله عليك أن توسِّع على عيالك ، عليك أن تتعاهد أولادك ، أن تُراقب سيرتهم ، أن تُراقب اتجاهاتهم ، أن تراقب مَن يصحبون ، عند مَن يسهرون ، مَن يزورون ، مَن يرافقون لأن الرفيق السيئ خطرٌ وبيلٌ على الابن .

صحابيٌ سأل النبي عليه الصلاة والسلام قال :

يا رسول الله ما حقُّ ابني هذا ؟

قال :

((أن تحسن اسمه وأدبه وأن تضعه موضعاً حسناً))

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((لاعب ولدك سبعاً ، وأدِّبه سبعاً ، وراقبه سبعاً ثم اترك حبله على غاربه))



لاعبه سبعاً ، وأدِّبه سبعاً ؛ من واحد إلى سبعة لا يُجدي معه التأديب ، من السابِعة حتى الرابعة عشر أدِّبه ، علِّمه الأمانة ، والصِدق ، والاستقامة ، من الرابعة عشر وحتى الواحدَ والعشرين راقبه ، لا هو شابٌ فيكونُ حكيماً ، ولا هو طفلٌ فيرضى أن يؤنَّب ، وبعد الواحدَ والعشرين اجعله صديقاً لك لأنه قد عرف الخير من الشر ، وبلغ رشده .

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((من قبَّل ولده كتب الله له حسنة ، ومن فرَّحه فرَّحه الله يوم القيامة))

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((أحبُّوا الصبيان وارحموهم فإذا وعدتموهم ففوا لهم ، فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم))

وينبغي للرَجل أن ينزل عن بُرْجِهِ العاجيّ إلى مستوى أولاده الصغار ، فيقول عليه الصلاة والسلام :

((من كان عنده صبيٌ فليتصاب له))

[من الجامع الصغير : عن معاوية]

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلادِكُمْ))

[أخرجه البخاري ومسلم]

((وسووا بين أولادكم في العَطية ، فلو كنتُ مفضلاً أحداً لفضَّلت النساء))

[من كنز العمال : عن ابن عباس]

ويقول عليه أتم الصلاة والتسليم :

((ميراث الله عزَّ وجل من عبده المؤمن ولدُه يعبده من بعده))

ماذا يرث الله منك ؟ هل يرث الله بيتَك ؟ أم أثاث بيتِك ؟ أم المبلغ الذي تركته في الصندوق ؟ الله سبحانه وتعالى يرثُ مِنك ولدك الصالح المؤمن ، الذي يعبده من بعدك . فإذا خَلَّفت عالِماً فالأجر أكبر ، ومن نعمة الله على عبده أن يشبَهَهُ ولده ، إن كنت أخلاقياً وأنعم الله عليك بولدٍ أخلاقي ، إن كنت ديّناً وأنعم الله عليك بولدٍ ديّن ، إن كنت مستقيماً وأنعم الله عليك بولدٍ مستقيم ، إن كنت محباً لله ورسله وأنعَم الله عليك بولدٍ محبٍ لله ورسوله ، إن كُنت تحب القرآن وأنعم الله عليك بولدٍ يحب القرآن فهذه نعمةٌ لا تقدَّر بثمن .

عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل ، فقال :

((يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي مَالا وَوَلَدًا وَإِنَّ أَبِي يُرِيدُ أَنْ يَجْتَاحَ مَالِي فَقَالَ أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ))

[أخرجه أبو داود]

هذا حُكْمُ الشرع ، لكنَّ النبي صلى الله عليه وسلَّم وجَّه الآباء توجيهاً لطيفاً ، قال :

((يأكل الوالدان من مال ولدِهما بالمعروف))

[من كنز العمال : عن جابر]

لأن هذا الشاب يعمل وسوف يبني مُستقبله ؛ عليه أن يشتري بيتاً ، عليه أن يتزوَّج ، أن يدفع مهرَ زوجته ، خُذ من دخله ما يسمح له بتأسيس أسرةٍ في المستقبل ..

((يأكل الوالدان من مال ولدهما بالمعروف ، وليس للولد أن يأكل من مال والديه إلا بإذنهما))

[من كنز العمال : عن جابر]

العكس غير صحيح ، أنت ومالُك لأبيك صحيح ، أما أن تقول : مال أبي لي . لا !!؟

((ليس للولد أن يأكل من مال والديه إلا بإذنهما))

[من كنز العمال : عن جابر]

عن أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[أخرجه الترمذي]

فهذا الكلام موجَّه للزوجات ، أحياناً تريد أن تَسْتَأثر بزوجها وتحرمه من أمه ، وتحرم أمّه منه . قُل لهذه المرأة العاتية ، الظالمة .

((مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[أخرجه الترمذي]

منزلة الخالة والأخ :

من متَمِّمات هذا الموضوع قال عليه الصلاة والسلام :

((الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ ، والأخ الأكبر بمنزلة الأب))

[من سنن أبي داود : عن علي]

هذا هو الأدب . لذلك :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا))

[أخرجه الترمذي]

الخالة بمنزلة الأم ، والعم والد ، والأخ الأكبر بمنزلة الأب .

أيها الإخوة الأكارم ؛ وجِّهوا أبناؤكم الصغار أن يوقِّروا إخوتَهُم الكبار توقيراً يُشبه توقير الآباء ، لأن الأخ الأكبر بمنزلة الوالد ، فإذا غاب الأب . مسافراً . أُتيح لهذا الأخ الأكبر أن يوجِّه إخوته ، وأن يُرشدَهم إلى الطريق الصحيح .

روي عن أبي أمامة أن رجلاً قال :

((يَا رَسُولَ اللهِ ! مَاحَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى وَلَدِهِمَا ؟ قَالَ : هُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ))

[من سنن ابن ماجة : عن علي بن يزيد]

إما أن تدخل ببرهما الجنة ، وإما أن يدخُل بعقوقهما النار .

وهذا الحديث قاله النبي عليه الصلاة والسلام للزوجة ، قال :

((انظري أين أنتِ منه ، إنما هو جنَّتكِ ونارك))

[من كنز العمال عن سعد]

إن أطعته وأحسنت تبعُّله فهو جنتكِ ، أيْ أنَّ طاعتك له وحسن تبعلك له يدخلكِ الجنة ، وإذا عصيته وخرجتِ من غير إذنه ولم تحسني معاشرته قد تدخلين النار بسبب هذا ..

((انظري أين أنتِ منه ، إنما هو جنَّتكِ ونارك))

[من كنز العمال عن سعد]

عن عبد الله بن مسعود سأل النبي عليه الصلاة والسلام فقال :

((أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ))

[أخرجه البخاري ومسلم]

أحب الأعمال إلى الله الصلاة في وقتها وبَرُّ الوالدين .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

((إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه . قال : هل بقى من والديك أحد ؟ قال : أمي . قال قابل الله في برها ، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد))

[أخرجه أبو يعلى والطبراني]

عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

((يا رسول الله شَهِدْتُ أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصلَّيت الخمس ، وأدَّيت زكاة مالي ، وصُمت رمضان ، ما ليَ ؟ أي مالي من الأجر هل بقي شيء ؟ . فقال عليه الصلاة والسلام – اسمعوا ودقِّقوا –. مَن مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا ، وشابك بين أصابعه ، ما لم يعقَّ والديه))

[أخرجه الطبراني]



فإذا عَقَّ والديه لا تنفعه لا صلاته ، ولا صيامُه، ولا حجُّه ، ولا زكاته ، ولا شهادته .

وروي عن أبي بكرِ الصِدّيق رضي الله عنه ، عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال :

((كل الذنوب يؤخِّر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة))

[أخرجه الحاكم]

أيْ أنَّ هناك ذنوب يؤخِّر الله عزَّ وجل عقابها إلى يوم القيامة

((إلا عقوق الوالدين فإن الله سبحانه وتعالى يعجِّله لصاحبه في الحياة قبل الممات))

[أخرجه الحاكم]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ روي عن عبد الله رضي الله عنه بن أوفى قال :

((كنَّا عند النبي صلى الله عليه وسلَّم فأتاه آتٍ قال : يا رسول الله شابٌ يجود بنفسه – أي أنه ينازع – فقيل له : قل لا إله إلا الله فلم يستطع . فقال عليه الصلاة والسلام : أكان يُصلي ؟ قالوا : نعم . فنهض النبيُّ الكريم ونهضنا معه فدخل على الشاب ، وقال : قل لا إله إلا الله . فقال: لا أستطيع . قال : لِمَ ؟ قيل له : كان يَعُقُّ والدته ، فقال النبيُّ : أحيَّةٌ والدته ؟ قالوا : نعم . قال : ادعوها . فدعوها فجاءت فقال النبيُّ الكريم: أهذا ابنكِ ؟ قالت : نعم . قال لها : أرأيتِ إن أُجّجَت نارٌ ضخمة فقيل لكِ إن شفعت له خلَّينا عنه ، وإلا أحرقناه بهذه النار ، أَكُنتِ تشفعين له ؟ قالت : يا رسول الله إذاً أشفع له . فقال : فأشهدِ الله وأشهديني أنكِ قد رضيت عنه . قالت : اللهمَّ إني أشهدك وأشهد رسولك أني قد رضيت عنه . فقال عليه الصلاة والسلام : يا غلام قُل لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله . فقالها الغلام . فقال عليه الصلاة والسلام : الحمدُ لله الذي أنقذه من النار))

[أخرجه الطبراني]

ربَّما كان عقوق الوالدين يُفْضِي بصاحبه إلى النار .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزَن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا وسيتخطَّى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني .

قصة سيدنا عثمان بن مظعون مع نفسه .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ قالت أُمهات المؤمنين : دخلت علينا زوجة عُثمان بن مظعون ، وكان عثمان بن مظعون أغنى رجلٍ في قريش ، فرأَيْنَها في هيئةٍ لا تُرضي . هيئةٍ رثَّة . فسألنها كيف حالكِ على هذا وأنتِ زوجة أغنى رجلٍ في قريش ؟ قالت هذه الزوجة لهن : وماذا أفعل بغناه إنه قَوامٌ في الليل صَوامٌ في النهار . إنها عبارةٌ مهذبة ، وشكوى مؤدَّبة ، وكنايةٌ لطيفة ، وفي التلميح ما يُغني عن التصريح . وماذا أفعل بغناه إنه قوامٌ في الليل صوامٌ في النهار . لقد أدرَكت أمهات المؤمنين أن أحد بيوت المؤمنين فيه اضطرابٌ وشكوى ، فشكَوْنَ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، فلقيه النبي الكريم وقال :

((يا عثمان))

وكان عثمان أخاه من الرضاعة .

((أليس لك فيَّ أسوةٌ حسنة ؟))

قال عثمان :

نفسي لك الفِداء يا رسول الله .

((يا عثمان فماذا أنت فاعل ؟))

فقال :

يا رسول الله نفسي تُحَدِّثني بأشياء . لم يفعلها بعد .

قال :

((وما هي يا عثمان ؟))

قال :

يا رسول الله نفسي تحدثني أن أختصي ؛ أيْ أَن أبتعد عن هذا الموضوع كُلياً .

فقال عليه الصلاة والسلام :

((مهلاً يا عثمان فإنَّ خِصِيَّ أمتي الصيام))

كان النبي الكريم يصوم يوم الاثنين والخميس ، ويقول للشباب :

((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء))

[من الجامع الصغير : عن ابن مسعود]

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

[سورة النور الآية:33]

هذه واحدة .. قال :

((ماذا أنت فاعلٌ يا عثمان ؟))

فقال :

يا رسول الله نفسي تحدثني أن أسيح في الأرض ؛ أَظل ماشياً حتى يدركني الموت .

فقال :

((مهلاً يا عثمان فإن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله والحج والعمرة))

هذه سياحة أمته

((وماذا أنت فاعلٌ أيضاً يا عثمان ؟))

قال :

يا رسول الله نفسي تحدثني أن أعتكف في الجبال ؛ آوي إلى مغارةٍ أتعبَّد الله فيها .

فقال :

((مهلاً يا عثمان فإنَّ رهبانية أمتي))

فقال :

يا رسول الله نفسي تحدثني أن أهجر زوجتي .

قال :

((مهلاً يا عثمان فإن خيركم من أتاني يوم القيامة وله زوجة ، وإن شراركم عذابكم ، وأراذل موتاكم عذَّابكم فبما تحدثك نفسك يا عثمان أيضاً))

قال :

يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلِّق زوجتي .

قال :

((مهلاً يا عثمان تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتزُّ منه عرش الرحمن))

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((ملعونٌ من حلَّف بالطلاق أو حلف به))

[من كشف الخفاء]

((فبما تحدثك نفسك يا عثمان ؟))

قال :

نفسي تحدثني ألا آكل اللحم .

فقال :

((مهلاً يا عثمان إني أحب اللحم وآكله . فبما تحدثك نفسك يا عثمان ؟))

قال :

نفسي تحدثني ألا أستعمل المسك .

قال :



((مهلاً يا عثمان فإن جبريل أمرني أن أستعمله . يا عثمان لا ترغَب عن سنَّتي ، فإنه من رغب عن سنتي فمات قبل أن يتوب صَرَفَت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة))

[من تخريج أحاديث الإحياء]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[أخرجه البخاري ومسلم]

* * *

تزوج ، واسكن في بيت ، واعمل عملاً ينفع عباد الله ، وفكِّر في خلق السماوات والأرض ، اعمل أعمالاً صالحة تَرقى بها عند الله ، ماذا يفعل أن تسكن في رأس الجبل ؟ ماذا تفعل للناس ؟ هذا موقفٌ سلبي ، هذا هروبٌ من المجتمع ، المؤمن يواجه مصاعب الحياة ، المؤمن عنصرٌ إيجابيٌ في المجتمع ، المؤمن يفعل الخيرات ، يعمل الصالحات ، يأمر بالمعروف ، ينهى عن المُنكر ، يعطي الفقير ، يواسي المسكين ، يعودُ

المريض ، يحسن إلى الزوجة ، يربّي أولاده ، هذا هو المؤمن . النبي صلى الله عليه وسلَّم نهى عن هذا كلّه، وإن صَحَّت هذه القصة عن عثمان بن مظعون فهذا موقف النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

الدعاء :

اللهمَّ اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهمَّ لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرَّ ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك .

اللهمَّ أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارضَ عنا .

اللهمَّ إننا بالعلم ، وزينا بالحلم ، وأكرمنا بالتقوى ، وجمّلنا بالعافية ، وطهّر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

اللهمَّ اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، واقبل توبتنا ، وفُكَّ أسرنا ، واحسن خلاصنا ، وبلّغنا مما يرضيك آمالنا ، واختم بالصالحات أعمالنا يا أكرم الأكرمين .

اللهمَّ استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رَخياً وسائر بلاد المسلمين .

اللهمَّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانتين ، اللهمَّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانتين ، اللهمَّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانتين يا رب العالمين .

اللهمَّ بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعزَّ المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحِب وترضى إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : كيف يكون بر الوالدين

الدرس (2-1) : الإحسان للوالدين

الدرس (2-2) : طاعة الوالدين

الدرس (2-3) : الفرق بين العبادة و السعادة

الدرس (2-4) : حقائق مهمة في بر الوالدين

الدرس (2-5) : إسعاد الأبوين

الدرس (2-6) : مصاحبة الوالدين بالمعروف

الدرس (2-1) : الإحسان للوالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثم الحمد لله ، لا عز إلا بالفقر إليك ، و لا أمن إلا في الخوف منك والغنى إلا في الافتقار إليك ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

يقول الله سبحانه و تعالى في الحديث القدس :

عبدي ماتت التي كنا نكرمك لأجلها فاعمل صالحا نكرمك لأجلك .

يتضح أيها الإخوة من هذا الحديث القدسي أن جزءا كبيرا من إكرام الله سبحانه و تعالى للعبد من أجل أمه ، صونا من قلبها من أن يتفطر .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده و رسوله و صفيه و خليله .

قال عليه الصلاة و السلام حينما سئل :

أي الناس أعظم حقاً على الرجل ؟ قال : أمه ، وأي الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ قال : زوجها .

اللهم صل و سلم و بارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن واله ومن تبعه إلى يوم الدين .

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير إنك على كل شيء قدير .

العبادة لله وحده .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ ربنا سبحانه و تعالى في سورة الإسراء يقول :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾

[سورة الإسراء الآية : 23-24]

وقضى ربك ، أي أن الله سبحانه و تعالى أمر أمراً مقطوعا به ، وقضى ربك أي أمر أمراً مقطوعا به ، ماذا أمر ؟ ألا تعبدوا إلا إياه ، قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات الآية : 56]

عَنْ عَلِيٍّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))

[رواه أحمد]



لا عبادة إلا لله وحده ، لأنه أهل العبادة ، لا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله ، لا إله إلا الله أي لا مسير للكون إلا الله ، قال تعالى:

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾

[سورة هودا لآية : 123]

لماذا أمرك أن تعبده وحده ؟ لأن الأمر كله بيده ، أي شيء يخطر في بالك فهو بيده ، عدوك الذي تخشاه بيده ، رزقك الذي تحرص عليه بيده ، صحتك التي تخشى أن يصيبها المرض بيده ، من هم حولك بيده ، من هم بعيدون عنك بيده ، قال تعالى :

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾

[سورة هودا لآية : 123]

والعبادة طاعة تسبقها معرفة تعقبها سعادة ، قال تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾

[سورة الإسراء الآية : 23]

و قال تعالى

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

[سورة الأنبياء الآية : 25]

دعوة الأنبياء جميعا ، علة الخلق الأمر الأول في الأرض .

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾

[سورة الإسراء الآية : 23]

لماذا قرن الله سبحانه وتعالى العبودية مع الإحسان للوالدين ؟

ولكن الشيء الذي يدهش أن الإحسان إلى الوالدين جاء مع توحيد العبودية ، فكيف قرن الله سبحانه و تعالى الإحسان للوالدين مع العبودية لله عز وجل ؟

لا شك أن الإحسان إلى الوالدين عمل عظيم يرقى إلى درجة تشابه أو تقارب العبودية لله عز وجل ، فالله الذي أوجدك وأمدك يستحق العبادة ، وهذه الإنسانة التي تولتك بالعناية والرعاية والتربية حينما كنت مفتقرا إليها ، تستحق الإحسان ، قال تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء الآية : 23]

فعلُ " أحسن " في القاموس يتعدى بإلى : تقول: أحسنت إليك .

لكن هذا الفعل في هذه الآية يتعدى بالباء ، فما علة ذلك ؟ وما الحكمة من أن يأتي حرف الباء بعد الإحسان للوالدين ؟

قال بعض المفسرين : إن من معاني حرف الباء الإلصاق ، و لا يُقبل منك إحسان لوالديك إلا منك شخصيا، مباشرة ، لا يقبل منك أن تحسن إليهما بوساطة ، أو عن طريق إنسان آخر ، قال تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء الآية : 23]

فإذا عبدت الله عز وجل فقد أديت حق نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد ونعمة الربوبية ، وإذا أحسنت إلى والديك فقد أديت حقهما ، وحقُّهما حق التربية والرعاية يوم كنت مفتقرا إليهما .

أيها الإخوة الأكارم ؛ قال تعالى

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء الآية : 23]

بر الوالدين لا يظهر إلا في الشيخوخة .

وقد يكون الأب شابا والأم شابة وعلى جانب كبير من العلم والحكمة ، فظلهما خفيف ومؤنتهما يسيرة ، وهما يعرفان ما يقال وما لا يقال ، عندهما حكمة ، فبرُّ هذين الأبوين سهل يسير ، لا يكلف الكثير ، و لكن الله سبحانه أتى بحالتين صعبتين شاقتين ، قال تعالى :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾

[سورة الإسراء الآية : 23]

أن يكون الأب أو الأم عندك في البيت لا معيل لهما سواك ، لا بيت آخر يؤويهما ، عندك في البيت ، وأن يبلغا من الكبر عتيا ، عندئذ ربما ثقل عليك طلبهما ، ربما تدخل فيما لا يعنيهما ، ربما أفسدا عليك شيئا ، ربما حمَّلاك ما لا تطيق ، ربما أرهقاك ، ربما تدخلا في شؤونك بينك وبين زوجتك ، ربما وجَّهاك وجهة لا ترضاها ، قال تعالى :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾

[سورة الإسراء الآية : 23]



يظهر بر الوالدين من عدمه عند شيخوختهما

وأنت في هذه الحالة الصعبة ، في هذه الحالة التيس يصبح برُّهما عبئا ثقيلا ، و مشقة كبيرة ، في هذه الحالة بالذات ، قال تعالى :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾

[سورة الإسراء الآية : 23]

ما من كلمة في اللغة العربية أهون من كلمة أف ، و لو أن في اللغة كلمة أقل منها لقالها الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾

[سورة الإسراء الآية : 23]

يحمل على كلمة أف أن تغلق الباب بعنف ، يحمل على كلمة أف أن تشد النظر إليهما ، أن تنظر إليهما بقسوة ، يحمل على كلمة أف أن تتبرم بهما ، يحمل على كلمة أف أن تدير وجهك ، استخفافا بأمرهما ، قال تعالى :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

[سورة الإسراء الآية : 23]

اجتهد في أن تلقي على مسامعهما أطيب الكلام ، أرق العبارات أجمل الحديث ، أدق التبجيل ، أعظم التعظيم ، قال تعالى

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

[سورة الإسراء الآية : 23]

الله جل في علاه رافع السماء بلا عمد يأمرك أن تقول لهما قولا كريما ، فما قولك بإنسان موسر تقيم عليه أمه دعوى النفقة ، كيف تُضطر هذه الأم من أجل أن تعيش تقيم على ابنها دعوى أمام القضاء .

البر أن تخفض لهما جناح الذل من الرحمة .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ قال تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾

[سورة الإسراء الآيات : 23-24]

اخفض لهما جناح الذل ، و لو أن الأم أمية و أنت تحمل أعلى شهادة ، و لو أن في كلام سذاجة و أنت أذكى الأذكياء ، و لو كنت في مكان مرموق ، هذا الذي يدخل عليه أبوه فيستحيي به ليس مؤمنا ، هذا الذي يتجاهل أمام الناس أباه ليس مؤمنان قال تعالى :



﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾

[سورة الإسراء الآية : 24]

كنت مفتقرا إليهم ، والآن هما مفتقران إليك ، فما موقفك ، ليعمل العاقُّ ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة ، ليعمل العاقُّ ما شاء أن يعمل فلن يُغفر له ، كأن العقوق أكبر جريمة يقترفها الإنسان ، هذا الذي يلتفت إلى زوجته و ينسى أمه ، هذا الذي يغضب إذا غضبت زوجته ولا يغضب إذا غضبت أمه ، يا رسول من أعظم الناس قال : أمه –لم يقل : زوجته – زوجها – لم يقل : أبوها قال تعالى :

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ ﴾

[سورة الإسراء الآية : 24]

تودد إليهما ، اخدمهما بنفسك ، اجلس معهما ، أصغ إلى حديثهما ، أكثر الإطلالة عليهما ، خذهما معك إلى نزهة ، لا تأكل أكلة طيبة من دونهما ، لا تنس يوم كنت مفتقرا إليهما ن لا تنس يوم كنت صغيرا لا تقوى على تأمين طعامك ، ولا تأمين شرابك ولا تأمين كسوتك ، وكنت في قلبيهما ، قال تعالى :

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾

[سورة الإسراء الآية : 24]

بعض المفسرين فسروا هذه الآية أن الله عز وجل حينما قضى على ابن سيدنا نوح بالغرق بعث موجة كبيرة حالت بين سيدنا نوح و بين أن يرى ابنه يغرق ، قال تعالى :

﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾

[سورة هود الآية : 43]

رحمة بالأب ، صونا لقلبه.

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ قال عليه الصلاة و السلام :

((بر أمك و أباك و أختك و أخاك ، ثم أدناك فأدناك))

[أخرجه الحاكم في مستدركه]

أمر نبوي .

عن أبو هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، مَنْ أحَقُّ الناس بِحُسْن صَحابتي ؟

((قال : ' أمُّك ' ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : ' أمُّك ' ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : ' أمُّك ' ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : ' أبُوك ، ثم أدناك أدناك))

[أخرجه البخاري ومسلم]

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[رواه الترمذي]

والله سبحانه وتعالى كما قلت في مطلع الخطبة إذا توفيت أمه :

عبدي ماتت التي كنا نكرمك لأجلها فاعمل صالحا نكرمك لأجلك .

البر أيضاً بعد موتهما .

((عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ قَالَ بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا قَالَ نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا))

[رواه أبو داود]

فهذا الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما .

أيها الإخوة الأكارم ؛ هناك واجبات تترتب على المؤمن بعد موت والديه ، أن يسأل اللهَ لهما الجنة ، أن يدعو لهما ، أن يستغفر لهما ، أن ينفذ عهدهما ، أن ينفذ وصيتهما ، أن يصل الرحم التي لم تكن لها صلة إلا بهما ، أن يبر صديقهما ، قال عليه الصلاة و السلام :

((دعوة الوالدة أسرع إجابة ، فقيل : يا رسول الله ولِم ذلك ، قال : هي أرحم من الأب))

ودعوة الرحم لا تسقط ، رجل هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من اليمن و أراد الجهاد ، و ذروة الإسلام الجهادِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :



((هَلْ لَكَ أَحَدٌ بِالْيَمَنِ قَالَ أَبَوَايَ قَالَ أَذِنَا لَكَ قَالَ لَا قَالَ ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَاسْتَأْذِنْهُمَا فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا))

[رواه أبو داود عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ]

يعني بر الأم عمل يرقى إلى مستوى الجهاد ، يمكن أن تلقى الله به ، جاءه رجل آخر ليستشيره بالغزو ليغزو معه ، فقال عليه الصلاة و السلام ألك والدة ؟ قال : نعم ، قال : فالزمها فإن الجنة عند قدميها ..." وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة ، فقال : يا رسول الله ما جئت حتى أبكيت والدي ، فقلا : ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهم" هذا هو الكتاب ، وهذه هي السنة ، في الكتاب :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء الآية : 23]

وفي السنة هذه هي الأحاديث التي بيَّن النبي عليه الصلاة والسلام فضل الأم والأب ، و لكن الذي يقع اليوم أن الناس تركوا العمل بكتاب الله وتركوا العمل بالسنة النبوية ، فكان لا بد من أن يُحدث في كل عام يومٌ تُكرم فيه الأم ، و لو أن طبَّقوا الكتاب والسنة لجعلوا في كل عام ثلاثمائة وخمسة وستين يوما تُكرم فيه الأم ، ليس عند المؤمن ، العام كله والسنة كلها عيد للأم لأن باب الجنة مفتوح لمن بر أمه وأباه . أيها الإخوة المؤمنون ؛ يُروى عن أبي يوسف وكان صاحبا لأبي حنيفة رضي الله عنه ، يروي أبو يوسف تلميذُ أبي حنيفة قال : كان أبو حنيفة رضي الله عنه يحمل والدته على دابة إلى مجلس واعظ قصَّاص يُسمى عمر بن ذرعة ، وكانت أمه تحضر دروسه ، وتعتقد بعلمه وتستخف بأبي حنيفة وبعلمه ، قال أبو حنيفة : ربما ذهبت بها إلى مجلس عمر ، و ربما أمرتني أن أذهب إليه لأسأل عن مسألة لها ، فآتيه وأذكر له ما تريد أمي ، وأقول : إن أمي أمرتني أن أسألك عنها ، فيعجب عمر ويقول : أنت تسألني عن هذا وأنت شيخنا وإمامنا ؟! فأقول : هي أمرتني ، فيقول لي بصوت خافت لا تسمعه أمي : قل لي كيف الجواب حتى أفهم الفتوى منك وأخبرك به ، فأخبره بالجواب سرا ، ثم يرفع صوته ويخبرني بالجواب فأخبرهما به ، فترضى بجواب عمر ولا ترضى بجوابي ، وربما أفتاها أبو حنيفة فلا ترضى إلا أن تذهب إلى رجل زرعة القصَّاص فتذهب إليه مع أبي حنيفة ويسأله عن المسألة التي سألته أمُّه ، فيقول : يا شيخنا ما هو الجواب ؟ فيقول :

الجواب كذا ، فيلقن زرعة أم أبي حنيفة الجواب فترضى ، فيرجع بها أبو حنيفة ولم تعلم أن أبا حنيفة أفتاها في المرتين " أي بر الوالدة واجب على كل مؤمن ، أكانت مثقفة أم غير مثقفة ، أعرفت قدرك أم لم تعرف ، أعرفت علمك أم لم تعرف علمك ، هي أمٌّ وكفى ، أدِّ الذي عليك واطلب من الله الذي لك ، ولا تعلق على أنها عرفتك أم لم تعرف ، لا تعلق على تصرفاتها ، أنت مأمور من قِبل الحق جل و علا أن تبرَّها . أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا ، و سيتخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكّيِس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

حليب الأم :

مادام الحديث عن الأم ، وما دام عوَّدتكم في كل خطبة أن أحدثكم عن آية كونية تثبت عظمة الله عز وجل فليكن الحديث عن حليب الأم ، فقد قال العلماء : إن الهوة واسعة جدا بين الإرضاع الوالدي والإرضاع الصناعي ، الهوة واسعة جدا ، ففي حليب الأم مواد نوعية يصعب تقليدها ، فالإرضاع الوالدي كما يقول معظم العلماء آمنُ الطرق لصون الطفل من الأمراض والالتهابات والإنتانات ، ففي حليب الأم – دققوا جيد – ففي حليب الأم مواد مضادة للالتهابات المعوية والتنفسية ، وفي حليب الأم مواد تمنع التصاق الجراثيم بمخاطية الأمعاء ، وفي حليب الأم مواد حالة للجراثيم مركزة فيه تركيزا كبيرا ، وفي حليب الأم كريات بيض مزودة بمضادات حيوية تقي الرضيع أمراض الكوليرا والزحار والشلل والكزاز ، أي أن مناعة الأم كفلها في حليبها ، فإذا رضع ابنها من حليبها اكتسب مناعتها ، كل اللقاحات التي تلقحت بها الأم موجودة في حليبها ، فأن يرضع ابنها منها فهذا ضمانة لصحته ولمناعته من الأمراض الكبيرة .



الحليب الصناعي لا يضاهي الحليب الطبيعي أبداً

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في حليب الأمن مواد حامضية تقتل الجراثيم في الأمعاء ، وقد أحرى بعض العلماء إحصاءات على وفيات الأطفال ، فكانت وفيات الأطفال الذين يرضعون إرضاعا صناعيا أربعة أمثال الأطفال الذين يرضعون إرضاعا طبيعيا ، هذه إحصاءات دقيقة ، تؤكدها البحوث الحديثة ، لذلك كل شركات الحليب المصنعة للحليب المتعلق بالأطفال أُمرت أن تكتب على عبواتها : ننصحكم بالإرضاع الوالدي .

شيء آخر اكتُشف حديثا و تصلب الشرايين ومرض السكري و البدانة إنما بسبب أن هذا الذي أُصيب بهذه الأمراض كان في صغره يرضع إرضاعا صناعيا ، و قد يتوقع الأطباء أن الإنسان لو كانت رضاعته طبيعية لكان في وقاية من هذه الأمراض الوبيلة التي تصيب إنسانا وتبتعد عن آخر ، و لا يدري العلماء ما السبب . أيها الإخوة الأكارم ؛ الإرضاع الوالدي يقي المرأة سرطان الثدي ، بل إن من أسباب سرطان الثدي الامتناع ، إرضاع الطفل .

شيء آخر ؛ العلماء قالوا : إن الإرضاع الطبيعي يُهضم في ساعة و نصف ، بينما الإرضاع الصناعي تزيد مدة هضمه عن ثلاث ساعات ، فضلا عن أن حليب الأم لا تحتاج إلى تبريده و لا إلى تعقيمه ولا إلى شراءه و إلى البحث عنه ، جاهز بالحرارة المطلوبة ، و يصعب أن ترضع طفلا إرضاعا صناعيا بدرجة حرارة ثابتة ، فقد يبدأ الرضاع بحرارة و ينتهي بحرارة و لكن حليب الأم دافئ في الشتاء بارد في الصيف ثابت الحرارة طوال مدة الرضاعة .

شيء آخر يصعب على صانعي حليب الإرضاع أن يغيَّر الحليب كل يوم ، فقد ثبت بالعلم أن حليب الأم يغيَّر كل يوم بحسب نمو الطفل و حسب حاجته إلى المواد و تركيزها في دمه ، و حليب الأم معقم خالٍ من الجراثيم و يقي من سوء التغذية ، ومن التهابات الأمعاء و التهابات القصبات ، و يقي من التحسس و من الأمراض المعدية و سهل الهضم و سهل التحضير ، و لا سيما في الليل ، و لا سيما في السفر ، و يقي الأم الأورام الخبيثة في الأثداء ، بل إن الفطام السريع كما قال بعض العلماء يحدث ردًّا نفسيا وانحرافات سلوكية ، قال تعالى :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾

[سورة البقرة الآية : 233]

يحدث ردا نفسيا و انحرافات سلوكية .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ هذا هو التخطيط الإلهي ، أن يرضع الطفل من أمه ، فإذا غيَّرنا و بدلنا وقعنا في مصيبات و مشكلات لا حصر لها .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، و تولنا فيمن توليت ، و بارك لنا فيما أعطيت ، و قنا و اصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي و لا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، و لا يعز من عاديت، تباركت ربنا و تعاليت ، اللهم أعطنا و لا تحرمنا ، و أكرمنا و لا تهنا ، و آثرنا و لا تؤثر علينا ، و أرضنا وارض عنا ، و اقسم لنا من خشيتك مت تحول به بيننا و بين معصيتك ، و من طاعتك ما تبلغنا بها جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، و متعنا اللهم بأسماعنا و أبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، و انصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، و لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك و لا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب و ترضى ، إنه على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) : طاعة الوالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ثمّ الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنّا لِنَهْتَدِيَ لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكّلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقرارًا لرُبوبيَّته ، وإرغامًا لمن جحد به وكفر ، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدًا صلى الله عليه وسلّم رسول الله سيّد الخلق والبشر ، ما اتَّصَلَت عين بنظر ، أو سمعت أذنٌ بِخَبر ، اللَّهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدّين، اللَّهمّ ارْحمنا فإنّك بنا راحِم ، ولا تعذّبنا فإنّك علينا قادر ، والْطُف بنا فيما جرَتْ به المقادير ، إنَّك على كلّ شيءٍ قدير ، اللّهمّ علّمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علّمتنا وزِدْنا علمًا ، وأرنا الحقّ حقًّا وارزقنا اتّباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممَّن يستمعون القول فيتّبعون أحْسنه، وأدْخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

برّ الوالدين :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لازلْنا في موضوع الرّحمة التي هي سِمَةٌ أساسيّة من سِمات خُلق المؤمن ، كما أنّ حبّ الحقّ وإيثارَهُ سِمَةٌ أولى من سمات المؤمن ، كذلك الرحمة التي هي نتيجةٌ ، ومحصّلة طبيعيّة لاتّصال المؤمن بالله عز وجل ، لأنّ مكارم الأخلاق مخزونةٌ عند الله عز وجل ، فإذا أحبَّ عبدًا منَحَهُ خلقًا حسنًا .


الأب المؤمن يرعى أولاده رعاية تنجهم من العذاب

أيها الأخوة الأكارم ؛ أولى مظاهر الرحمة ، وأوّل مظاهر الرحمة هي بِرُّ الوالدين ، لذلك هذه الرحمة الوَهْبِيَّة التي أوْدَعَها الله جلّ جلاله في قلب الأمّ والأب لِتَستمرّ الحياة ، لئلا يقتل الأب ابنه ، لئلاّ يدَعَهُ بلا طعام حتى يموت ، لئلاّ تُلْقِيَ الأمّ ابنها في التّنور، كي تسْتمرّ الحياة ، وكي يتعاطف الآباء والأمّهات مع الأولاد ، كي يعْمَلا على إطعامهما ، كانت هذه الدَّفْعَة الوَهْبِيَّة من الرحمة إذْ أوْدَعَها الله في قلب الوالدين ، من أجل أن تستمرّ الحياة .

لكن أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه الرحمة الوَهْبيّة لا يرقى بها المؤمن إلا إذا رحِمَ أبناءهُ رحمةً تنقذهم من نار جهنّم ، فإذا اكتفى الأب بإطعام أولاده ، وبإكسائهم ، ورعاية شؤونهم الماديّة ، دون أن يلتفِتَ إلى إيمانهم ، وعقيدتهم ، وأخلاقهم ، واسْتِقامتهم ، وسَعْيِهم لآخرتهم ، فقد قدّمَ شيئًا ماديًا سرعان ما ينتهي بانتهاء الحياة ، لذلك الأب المؤمن فضلاً عن رعاية أولاده الرِّعايَة الماديّة ، يرعاهم رعايةً خلقيّة ، ورِعايَةً دينيّة إلى أن ترقى بهم إلى النجاة من عذاب الدنيا ، وعذاب النار .

هذه الرحمة التي أوْدَعها الله في قلوب الآباء والأمّهات ألا ينبغي لهذا الابن الذي نَعِمَ بها ، وعاشَ في ظِلّها أن يُكافئ أمّه وأباهُ عليها ؟ لذلك من قواعِد اللّغة أنَّ العطْف يقتضي المجانسة ، أنت لا تقول مثلاً : اشْتَرَيْتُ أرضًا وملْعقةً ، لأنّ الأرض لا تنسجِمُ مع هذه الحاجة الصغيرة التافهة ، قليلة الثّمن ، فإذا كان هناك عَطْفٌ في القرآن الكريم ، فالعَطْفُ من شأنِه أن يرقى المعطوف إلى المعطوف عليه ، دقِّقُوا في قوله تعالى :

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة النساء : 36]

أيْ رفعَ الله أمْر الإحسان للوالدين فعَطَفَهُ على الأمر بِعِبادَتِهِ ، وعدم الشِّرْك به ، وهذا مِمَّا يلفت النَّظر ، فكما أمرك الله عز وجل أن تعبُدَهُ ، وكما نهاك أن تشرِكَ به ، أمركَ أن تُحسِنَ للوالدين .

الفرق بين عبادة الله و الإحسان للوالدين :

ولكن بادئ ذي بدْء عبادة الله شيء ، والإحسان للوالدين شيءٌ آخر ، العبادة تقتضي الطاعة التامة ، والخضوع التامّ ، والاسْتِسلام المطلق ، ونهاية الحبّ والفناء ، هذه هي العبادة ، ولكنّ الإحسان لا يقتضي أن تُطيعَ مخلوقًا في معصيَة الخالق ، والإحسان لا يقتضي أن تقترفَ ما نهى الله عنه إرْضاءً لِوَالِدَيك ، فالإحسان شيء ، والعبادة شيء آخر ، وهناك من يخلِطُ بينهما لعدم فقْهِهِ في الدِّين ، قال تعالى :

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾

[سورة النساء : 36]

أما الآية الثانيَة فهي قوله تعالى :

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾

[سورة العنكبوت : 8]



خالق الكون ، الخالق المربّي المُسيِّر ، الذي أبدَعَ السموات والأرض ، يوصيكَ أيّها الإنسان بِوَالِدَيك حُسْنًا ، قال تعالى :

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة العنكبوت : 8]

هذه الآية تناوَلَتْ الإحسان للوالدين من زاوية ثانيَة ، هذه الزاوية أنَّ الإحسان شيء، والطاعة شيءٌ آخر ، وإنْ جاهَدَاك لِتُشْرِكَ ؛ أيْ وإن دفعاك إلى أن تُشْرِكَ . لكنّ الآية الثالثة فيها دِقَّة بالغة ، يقول الله عز وجل :

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾

[سورة لقمان : 14-15]

أيْ وإن حملاك بالقوّة على أن تُشْرك ، إن دفعاك إلى الشّرْك ، إن وجّهاك إلى الشّرْك ، فلا تطِعهما ، وإن ألْزماك على الشّرْك فلا تُطعهما ، فالأب قد يقدّمُ وقد يؤخّر ، وقد يبيّنُ لابنه أنَّه لا بدّ من المُرونة ، ولا بدّ من أن تعيشَ مع الناس في قِيَمِهم ، وفي عاداتهم، كأنَّ الأب يُقْنِعُ ابنهُ بأنْ يسير وفْقَ ما يسيرُ عليه الناس ، هنا وإن ألْزماك على أن تشرك بي ، أما إذا ألْزَمَكَ ، وأصرّ عليك ، ومنعَ عنك كلّ شيء ، وقهَرَكَ ففي كلا الحالتين لا ينبغي أن تُطيعَ مخلوقًا في معصيَة الخالق .

البار بوالديه يرقى عند الله رقياً لا حدود له :

أيها الأخوة الأكارم ؛ آيةٌ ثالثة تُعالِجُ الموضوع من زاويةٍ جديدة ، قال تعالى :

﴿رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾

[سورة الإسراء : 23]



الإنسان إذا تقدَّمَتْ به السنّ ، ورُدّ إلى أرْذَل العمر ، ربّما أصبحَ ظلُّه ليس خفيفًا على من حولهُ ، ربّما حشَر أنفهُ بأمورٍ تافهةٍ جدًّا ، ربّما ضَغَطَ على من حولهُ ضغطًا ليس حكيمًا ، إذا بلغَ هذا الأب هذه السنّ ، من أوْلى الناس بتَحَمُّلِهِ ؟ من أولى الناس بالصّبر عليه ؟ من أولى الناس باستيعابه ؟ إنَّه الابن ، الذي طالما تحمَّل الأب من أجله ، الذي طالما صبرَ الأب عليه ، وطالما أحسنَ إليه ، الحياة دَيْنٌ ووفاءُ دَيْنٍ ، قال تعالى :

﴿رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾

[سورة الإسراء : 23]

الأب الشابّ الذي يعرف ما له وما عليه ، المُحْسنُ لأولاده برُّه سهلٌ جدًّا ، لكنَّه إذا تقدَّمَتْ بالأب السِّن ، وأصْبحَ ضَغْطُهُ شديدًا ، وحاجاته كثيرة ، وتساؤلاتهُ لا نهاية لها ، ودخلَ في كلّ التوافِهِ ، في مِثْلِ هذه الحالة ترْقى عند الله رُقِيًّا لا حُدود له إذا كنتَ بارًّا به ، هذا معنى قوله تعالى :

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾

[سورة الإسراء : 23]

من أطاع الله في شبابه متَّعَهُ الله بِعَقلهِ حتى يموت :

لكن بالمناسبة الإنسان إذا أطاع الله في شبابه متَّعَهُ الله بِعَقلهِ حتى يموت ، الزّمن لِصَالح المؤمن دائمًا ، كلّما كَبِرَت سِنُّه ازْداد عقلهُ ، وازْداد فهْمُهُ ، وازْدادَتْ حِكْمتهُ ، وازْداد شُعورُهُ بالغَيْرِيَّة إن صحّ التعبير ، ولكنّ الذي نشأ على معاصي الله عز وجل ، له خريفُ عُمرٍ لا يُحسدُ عليه ، لذلك كما قال بعض العلماء : يا بنيّ، حَفِظْناها في الصِّغَر فَحَفِظَها الله علينا في الكِبَر ؛ هذه الصّحة ، وهذا العقل ، وهذا التَّمْييز ، وهذا الإدراك ، وتلك الحِكمة ، حَفِظْناها في الصِّغَر فَحَفِظَها الله علينا في الكِبَر ، ومن تعلَّمَ القرآن متَّعَهُ الله بِعَقلِهِ حتى يموت ، قُلْ لن يُصيبنا إلا ما كتب الله لنا من الخير فيما توحي به الآية .

من الرحمة أن يخْفض الابن لِوَالِدَيه جناح الذلّ :

بقيَ شيءٌ في الآية ، قال تعالى :

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾

[سورة الإسراء : 24]



الإنسان أحيانًا يتذَلَّل ، ولكن عن ضَعْفٍ ، يتَذَلّل عن فقْر ، يقفُ الفقير أحيانًا أمام الغنيّ فيتَضَعْضَعُ له ، يقِفُ الضعيف أحيانًا أمام القويّ فيَتَضَعْضَعُ له، يقف المريضُ أحيانًا أمام المريض فيَذِلّ له ، يشْكوهُ آلامه ، وأنّ هذا المرض مُسْتَعْصٍ ، ولكنّ الله عز وجل أمرنا أن نقف أمام آبائنا وأمّهاتنا أذِلاء لا عن ضَعْفٍ ، ولكن عن رحمةٍ ، وهذا سِرُّ الآية ، فقد يكون الابن قويًّا ، يتمتَّعُ بأعلى درجات عقْلِهِ ، وقوّته ، ومركزه الاجتماعي ، وقد يحْمِلُ أعلى الشهادات ، وقد يكون من أغنى الأغنياء ، وقد يكون قويًّا في مجتمعه ، ومع ذلك يجِبُ أن يخْفض لِوَالِدَيه جناح الذلّ لا عن ضَعْفٍ ، ولا عن فقْر ، ولكن من الرّحمة ، من هذه الرحمة التي أوْدَعَها الله في قلب الأمّ ، لِيَرْحَمَ أباهُ وأمَّه حينما يحْتاجان إلى الرّحمة ، بل حينما يكونان في أشدّ الحاجة إلى هذه الرّحمة ، قال تعالى :

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾

[سورة الإسراء : 24]

الإحسان إلى الوالِدَين ينبغي أن يكون مباشرةً من الابن :

شيءٌ آخر ، فِعْلُ أحْسَنَ في اللُّغَةِ يتَعدّى بإلى ، إلا أنّه هنا هذا الفعل يتعدَّى بالباء، ومن معاني الباء الإلصاق ، واسْتَنبطَ بعض العلماء أنَّ الإحسان إلى الوالِدَين لا ينبغي أن يكون بالواسطة ، ينبغي أن يكون مباشرةً من الابن ، أي أن تذْهبَ إليه وأن تخْدِمَهُ بِنَفْسِكَ ، وهذا مِمَّا يُسْتنبط من قوله تعالى :

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة الإسراء : 23]

آية رابعة ، قال تعالى :

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة العنكبوت : 8]

قال تعالى :

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾

[سورة الأحقاف : 15]

الفرْق بين بِرِّ الابن لأبيه وبين رحمة الأب بابنه :

العلماء قالوا : هناك فرْقٌ كبير بين خِدْمة الأب لابنه حينما يكون صغيرًا ، وبين خِدْمة الابن لأبيه ، الأب حينما يخْدِمُ ابنهُ ، لا ينتظرُ منه شيئاً ، لكنّ الابن إذا خدَمَ والِدَيه كأنَّه يتمنّى أن يُقَدِّمَ ما عليه ، وأن ينتهي هذا الأمر ! فرْقٌ كبير بين مشاعر الأب ، وبين مشاعر الابن ، لذلك حملتْهُ أمُّه كرهًا ، ووضَعَتْهُ كرهًا ، وهي تتمنَّى حياتهُ ، تتمنَّى نماءهُ ، تتمنَّى أن يكون إنسانًا لامعًا في المجتمع ، ولكن إذا كانت خِدمة الابن لأبيه فيها ضَغْطٌ ، وفيها صُعوبة ، وفيها عبءٌ ، لا يُرافِقُ هذه الشعور بالخِدمة الشعور بالتوفيق ، والشعور بكلّ خيرٍ ، هذا هو الفرْق بين برِّ الابن لأبيه ، وبين رحمة الأب بابنه .

أيها الأخوة الأكارم ؛ قال تعالى :



﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[سورة الأحقاف : 15]

ومن يدَّعِي أنَّ القِيَم تتبدَّل من مجتمعٍ إلى آخر، فهذه الدَّعوة مرفوضة ، لِقَول الله عز وجل :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة البقرة : 83]

هناك قِيَمٌ ثابِتَة لا تتأثّر ؛ لا بِزَمان ، ولا بِمَكان ، ولا بِبيئةٍ ، ولا بِمُعطياتٍ ، ولا بِفِكْرٍ ، ولا بأيّ شيءٍ من هذا القبيل ، الله جلّ جلاله وصفَ نبيًّا عظيمًا ، وهو سيّدنا يحيى عليه السلام ، من أوصافه أنَّه كان تقيًّا وبرًّا بوالديه ، صِفَةٌ اتَّصفَ بها نبيّ عظيم ، سيّدنا عيسى عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام ، قال كما قال تعالى :

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ والزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾

[سورة مريم : 30-32]

توجيهات نبَوِيَّة تَدْعونا إلى برّ الوالدين :

أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه آيات القرآن الكريم ، مررْنا عليها مُرورًا سريعًا وبقِيَ ما في السنّة الشريفة من توجيهات نبَوِيَّة تَدْعونا إلى برّ الوالدين ، فقد روى البخاري ومسلم :

((. . .الصلاة على وقتها : قلت : ثمّ أيّ ؟ قال : بر الوالدين ، قلت : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله))

[متفق عليه عن ابن مسعود]

أوّلاً : عليك أن تؤدّي حقوق الله عز وجل ، والصلاة نوعٌ من أداء حقوق الله عز وجل ، العمل العظيم الثاني أن تؤدّي حقّ أعظم الناس عليك ، ألا وهو الأب والأم ، والحقّ الثالث أن تؤدِّيَ حقّ هذا الهدى الذي أكرمَكَ الله به ، وهو نشْرُ الهُدى ، فأوّل عمل هو الصلاة على وقتها ، والعمل الثاني بِرُّ الوالدين ، والعمل الثالث الجهاد في سبيل الله .

وقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ ؟ قَالَ :

((أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أَبُوكَ ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

هذه أحاديث صحيحة والنبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى . بعض العلماء فهم من هذا الحديث أنّ نِسْبة واجبك نحو أبيك إلى أمّك نِسْبة الرّبع إلى ثلاثة أرباع ، أمُّك ثمّ أمُّك ثمّ أمُّك ، ثمّ أبوك ، وبعضهم قال : الحديث فيه تأكيد أوّل ، وتأكيد ثانٍ ، وتأكيد ثالث ، لأنّ الأمّ حينما

تكبُر هي أضعفُ من الأب ، لِضَعْفها ، إما أنّ هذه النِّسْبة لِضَعفها ، أو أنَّ هذه النِّسْبة رياضيَّة ، على كلٍّ أمُّك ثمّ أمُّك ثمّ أمُّك ، ثمّ أبوك.

روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلْ الْجَنَّةَ))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

ومعنى رغِمَ أنفهُ أيْ حُكِمَ عليه بالذلّ ، والمهانة ، والصَّغار ، والخَيْبة ، ويُستنبطُ من هذا الحديث أنَّ بِرَّ الوالدين عملٌ يكفي لِدُخول الجنّة ، وكنتُ أقول دائمًا : الأبوَّة المِثالِيَة عملٌ تلقى الله به ، الأمومة المِثاليَّة عملٌ تلقى الله به ، ومعنى تلقى الله به ، يمكن أن يكون كافيًا لِدُخولك الجنّة ، وإذا قمْت بِحِرفتِكَ ، بِشَكلٍ مِثالي كما أراد الله عز وجل فحِرْفتُكَ إن كانت في الأصل مشروعةً ، ومارسْتها بِطَريقةٍ مشروعة ، وابْتَغَيْتَ بها كِفايَةَ نفسِكَ وأهلك ، وابْتَغَيْتَ بها خِدمة المسلمين ، ولم تشْغَلْكَ عن فرضٍ أو طاعةٍ أو عن واجبٍ ، انْقَلَبَتْ هذه الحِرْفة إلى عبادةٍ تُدْخلُك الجنّة ، فالأُبُوَّة المِثاليّة ، والبنوَّة المِثاليّة ، والأمومة المِثاليّة ، وحرفتك إذا أدَّيتها على الوجه الصحيح تُدْخلك إلى الجنّة ، وهنا يُشير النبي عليه الصلاة والسلام إلى أنّ بِرَّ الأب أو الأم كلاهما أو أحدهما عملٌ يُدْخِلُكَ الجنّة ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال : من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثمّ لم يدخل الجنّة .

وروى الإمام مسلم عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ أَنَّ نَاعِمًا مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ :

((أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنْ اللَّهِ ، قَالَ : فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ بَلْ كِلَاهُمَا ، قَالَ : فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنْ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

هذا الحديث له عِدَّة روايات ، من هذه الروايات ؛ قال : أحَيٌّ والِدَيك ؟ قال : نعم فقال : ففيهما فجاهِد ، وفي رواية ثالثة : فالْزَمْهُما فإنّ الجَنّة عِنْدَ رِجْلَيْهِما ، لكنّ العلماء وقفوا عن هذه الأحاديث التي تؤْثِرُ بِرَّ الوالدين عن الجهاد في سبيل الله .

العلماء اسْتَنبطوا أنَّه إنْ كانت بالوالدين حاجات مُلِحَّة ، كأن يكون الأب عاجزًا ، أو مريضًا ، ليس له أحد إلا ابنهُ ، حينما تكون هناك حاجات مُلِحَّة عند الوالدين ، وحينما يكون الجهاد مندوبًا ، وليس مفروضًا ، إذا اقْتَحَمَ العدوّ دِيار المسلمين ، يُصْبحُ الجهاد فرضًا ، إذا كان الجهاد فرضًا ، وإذا كانت حاجات الآباء والأمّهات مُلِحَّة ، عندئذٍ النبي عليه الصلاة والسلام يؤْثِرُ برّ الوالدين عن الجهاد في سبيل الله . وما قولُكم أنَّ الإنسان مأمورٌ أن يتابعَ بِرَّهُ لِوَالِدَيْه بعد موتِهما ، فجاءَ رجلٌ إلى رسول الله وقال : توفّي والدايْ فهل بقيَ عليّ مِن بِرّهما شيء ؟ قال : نعم ، أربعة أشياء ؛ أن تُصَلِّي عليهما ، وأن تَدْعُوَ لهما ، وأن تُنْفِذَ عهْدهما ، وأن تَصِلَ صديقهما ، وأن تَصِلَ الرَّحِمَ التي لمْ يكن لها صِلَة إلا بهما فهذا الذي بقِيَ عليك منْ بِرّهما بعد موتهما .



وروى الإمام مسلم عَنْ ابْنِ عُمَرَ :

((أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ أَلَسْتَ ابْنَ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ قَالَ بَلَى فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ وَقَالَ ارْكَبْ هَذَا وَالْعِمَامَةَ قَالَ : اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ ؟ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ أَعْطَيْتَ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ))

[مسلم عَنْ ابْنِ عُمَرَ]

أنت أيُّها الإنسان مأمور أن تَصِلَ أصدقاء والدِكَ ، من كان يُحِبّهم ، من كان يزورهم ، من كان يأْنسُ بهم ، هذا من أبَرِّ البِرّ ، وهذا طبعًا في نِطاق المجتمع الإسلامي .

تعجيل العقوبة لعاق والديه في الدنيا قبل الآخرة :

أما الشيء الخطير فهو ما رواه البيهقي عن أبي بكْرة أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم يقول :



((كلُّ الذُّنُوبِ يَغْفِرُ الله منها ما شاء – يغفر ما يشاء ويعذِّبُ ما يشاء – إلا عُقوق الوالدين ، فإنَّه يُعَجّل لِصَاحبِهِ في الحياة قبل الممات))

[البيهقي عن أبي بكْرة]

عاقّ الوالدين يُعاقَبُ مرَّتين ؛ مرّة في الدنيا ، ومرّة في الآخرة ، كلُّ الذُّنُوبِ يَغْفِرُ الله منها ما شاء – يغفر ما يشاء ويعذِّبُ ما يشاء – إلا عُقوق الوالدين فإنَّه يُعَجّل لِصَاحبِهِ في الحياة قبل الممات .

وروى أحمد عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجِّلَ بِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ مَعَ مَا يُؤَخَّرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ بَغْيٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ ، قَالَ وَكِيعٌ : أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ ، وَقَالَ يَزِيدُ : يُعَجِّلُ اللَّهُ ، وَقَالَ مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ))

[أحمد عن أبي بكْرة]

أيْ عقوق الوالدين ، والظلم ، هذان الذَّنْبان يُعَجَّل لِصاحِبِهما قبل الآخرة .

وروى البخاري ومسلم عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ ثَلَاثًا أَوْ قَوْلُ الزُّورِ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ))

[البخاري عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ]

قرنَ الله عز وجل بين عبادة الله ، وبين الإحسان للوالدين ، ونهى عن الشِّرْك ، وعن عقوق الوالدين .

ما يُجْزِي عن الولد فضْل والِدِه :

وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ :

((وَلَدٌ وَالِدَهُ))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ]

وقد يُحملُ هذا الحديث على أنّ الابن بِسَعْيِ حثيث ، وبِجُهْدٍ كبير ، وعملٍ دؤوب ، وإحسانٍ كبير ، إذا تمكَّن من هداية أبيه ، ونقلهِ من الضلالة إلى الهدى ، ومن الشّقاء إلى النّعيم ، فهذا ممَّا يُجْزِي عن الولد فضْلَ والِدِه .

من الكبائر شتم الرجل والديه :

أيها الأخوة الأكارم ؛ روى الإمام البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((مِنْ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ))

[متفق عليه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ]

ويُحْمَلُ على هذا الحديث أنَّ أيّة إساءةٍ من الابن قد تُسَبّب شتْمًا للأب ، قد يسبّ الناس أباه على هذه التربيَة، فإذا أراد الابن أن يحْفظ حقّ أبيه ، وأن يحْفظَ سُمْعةَ أبيه فلْيَكُن مستقيمًا مُحْسِنًا ، يُحْمَلُ على الشَّتْم الإساءة .

وروى البخاري ومسلم عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ ، وَمَنَعَ وَهَاتِ ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ))

[متفق عليه عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ]

بِرُّ الوالدين لا يتعلّق بإيمانهما :

بقيَ شيئان قليلان ، فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ :

((قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُدَّتِهِمْ مَعَ أَبِيهَا فَاسْتَفْتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ صِلِيهَا))

[البخاري عن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ]

إذًا بِرُّ الوالدين لا يتعلّق بإيمان الأب أو عدم إيمانه ، أنت مكلَّفٌ أن تكون بارًّا به ، مؤمنًا كان أو غير مؤمن ، إلا إذا أمركَ بِمَعصيَة ، أما البرّ فلا يتعلّق بالإيمان أو عدمه .

برّ الخالة و العم :

وقْفةٌ أخيرة ، وهي أنّ النبي عليه الصلاة والسلام قال : فيما رواه الترمذي عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ))

[الترمذي عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ]

وقال :

((عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ))

مِمَّا يتْبَعُ موضوعنا ، هو بِرُّ الخالة ، وبرُّ العمّ ، لأنّ العمّ صِنْوُ الأب ، والخالة بِمَنزلة الأمّ .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزِنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أنَّ ملك الموت قد تخطَّانا إلى غيرنا ، وسيتخطَّى غيرنا إلينا ، فلْنتَّخِذ حذرنا ؛ الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبَع نفسه هواها ، وتمنَّى على الله الأماني ، والحمد لله رب العالمين .

القشرة المخية :

أيها الأخوة الكرام ؛ في الدِّماغ شيءٌ يُسَمَّى القِشْرة المخيّة ، سُمّيَت كذلك لأنَّها قِشْرة فِعلاً ، لا يزيدُ سمكها عن ميليمترين ، هذه القشرة المخيّة فيها أربعة عشر مليار خليّة ! مُرتَّبةً في سِتِّ طبقات ، متوالِيَة ، لا يزيدُ

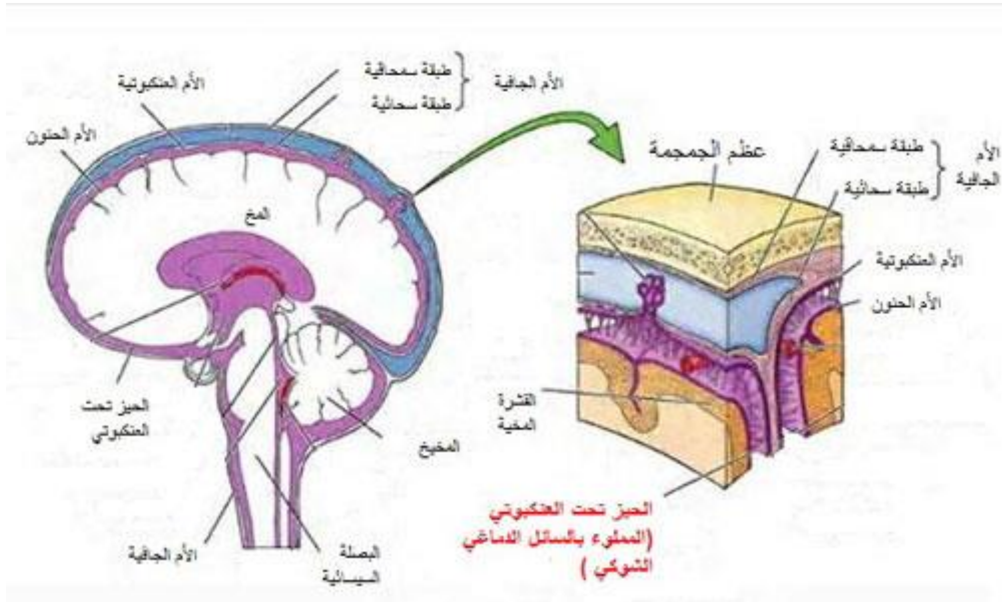
وزْنها الكليّ عن مئة غرام ، تبْدو معرّجة نتيجة ترتيبها على هذا الشكل ، حيثُ تُسمّى بالتلافيف ، من أجل أن تقلّ المساحات .

أيها الأخوة الأكارم ؛ مِمَّا يُلْفِتُ النَّظر أنّ في هذه القِشْرة أليافًا عصبيّة يزيدُ طولها عن ألف كيلو متر !!! هذه الطبقة الرقيقة جدًّا تتحكّم بأخْطَر الوظائف ، بل هي تُحَدّد سُلوك الفرد وميُولَهُ ، وتُعينُهُ على النّطق والبيان ، تُعينُهُ على التّعلم ، والحِفظ ، والتذكّر ، والإبداع ، والاختراع ، والتدبير ، تُعينُهُ على الإحساس ، والتحرّك ، والسّمع ، والبصر ، وفي هذه القشْرَة من خمسين إلى مئة مركز ، هذا الذي عُرِفَ حتى الآن ؛ مركز السَّمع، مركز البصر ، مركز التذكّر ، مركز المحاكمة ، مركز الحركة ، قِشْرةٌ لا يزيدُ سُمْكها عن ميليمترين ، فيها أربعة عشر مليار خليّة ، وفيها ألياف عصبيّة يزيدُ سمْكُها عن ألف كيلو متر ، ووزْنها مئة غرام ، وتتحكَّمُ بأخْطَر الوظائف ، في الإحساس ، وتلقّي الأحاسيس الخارجيّة ، في الحركة ، في السّمع ، في البصر ، في التعلّم ، في النّطْق ، في البيان ، في الحفْظ ، في التذكّر ، في الإبداع ، في الاختراع ، في التدبير .

أيها الأخوة الأكارم ؛ كما قيل :

أتَحْسبُ أنَّك جُرْمٌ صغير وفيك انْطَوى العالم الأكبر ؟

***



الدماغ أعقد ما في الكون

ولِخُطورة الدِّماغ وُضِعَ بينه وبين الجمجمة سائلاً لِيَمْتصّ الصَّدمات ، ولِخُطورة الجمجمة رُكِّبَت على شكل مفاصِلَ ثابتَة لِتَمْتصَّ الصَّدمات ، فالجُمْجُمَة لها مفاصل ثابتة على شكل مُتَعَرِّج ، وسائل بين الدّماغ والجمجمة ، وقِشْرةٌ يزيد عدد خلاياها على أربعة عشر مليار ، بينما خلايا الدّماغ تزيدُ عن مئة وأربعين

مليار خليّة اسْتِنادِيَّة لمْ تُعْرَف وظيفتها بعْدُ ، ربّما نقول: إنَّ الدِّماغ هو أعْقَدُ ما في الإنسان ، بل هو أعقَدُ ما في الكون ، وقد قيل : إنّ الدِّماغ بإمكانه أن يسْتَوْعِبَ من المعلومات بِعَدد ذرّات الكون ، وإنَّ أكْبرَ العباقرة ، وأكبر المخترعين لم يستخدم من دماغِهِ إلا الجزء اليسير ، فهذا الدِّماغ إذا عطَّلْناه ، أو أسأْنا اسْتخدامهُ ، وكان أداة معرفة الله عز وجل ، وكان أداةً توصِلُنا إلى السلامة في الدنيا ، والسعادة في الآخرة ، كم تكون الخسارة عظيمةً حينما نُعَطِّلُ عقولنا ، ونَنْساقُ وراء شهواتنا .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شرّ ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين . اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك . اللهم لا تؤمنا مكرك ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين . اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب . اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبذلها بالإقتار ، فنسأل شرّ خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، وذم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء . اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين . اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

الدرس (2-3) : الفرق بين العبادة و السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر. وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته، ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرِنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممـن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الفرق بين العبادة و الإحسان :

أيها الأخوة الكرام: ربنا سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يقول:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾

[سورة الإسراء: 23-24]



لمجرد أن الله سبحانه وتعالى رفع الإحسان للوالدين إلى مستوى عبادة الله عز وجل، كان لبرِّ الوالدين في الإسلام شأن كبير..

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

ولكن بادئ ذي بدء ينبغي أن نفرق تماماً بين العبادة والإحسان.

العبادة لله وحده، والإحسان للوالدين، هناك أناس تختلط عندهم الأوراق ينصرفون إلى طاعة والديهم ولو في معصية الله، وهم يتوهمون أن هذا من البرّ للوالدين. ربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))

[متفق عليه عن علي رضي الله عنه]

سيدنا سعد بن أبي وقاص، قالت له أمه: إما أن تكفر بمحمد وإما أن أدع الطعام حتى أموت؟ فقال: يا أمي لو أن لك مئة نفس فخرجت واحدة واحدة، ما كفرت بمحمد، فكلي إن شئت أو لا تأكلين.. فرق كبير بين العبادة والإحسان، الله جل جلاله رفع أمر الإحسان وجعله إلى جانب الأمر بعبادته، لأن أعظم عمل على الإطلاق بعد عبادة الله أن تحسن لوالديك، ولكن فيما لا يتعارض مع منهج الله، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

الحالات الخاصة التي يشتدّ بها البر للوالدين :

أيها الأخوة الكرام: يشتد الأمر ببرِّ الوالدين في حالات خاصة، قال تعالى:

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾

الأب يقول: عندي ولدان، عندي ثلاثة أولاد، لكن يأتي حين من الزمان يصبح الأب عند ابنه، ضعفت قواه، ترك العمل، أصبح عند ابنه، ابنه هو الآمر والناهي، قال تعالى:

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾

إذا كان أحدهما قد بلغ من الكبر عتياً وكان عندك، فهو في أمسِّ الحاجة إلى رعايتك.

الأب الشاب القوي قد لا يحتاج إلى ابنه إطلاقاً، ولكن إذا تقدمت السن، وقلَّ العمل، وهُمش الإنسان، الآن الأب والأم في أشدّ الحاجة إلى الرعاية، والعطف، والإكرام.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾

يا أيها الأخوة الكرام: أعجب أشد العجب ممن اختصر برَّ الوالدين إلى يوم واحد في العام، مع أنك مأمور ببرِّ الوالدين وإكرامهما على مدار العالم، ثلاثمئة وخمسة وستون يوماً في الثلاثمئة والخامسة والستين يوماً أبداً.. كل يوم ينبغي أن تقدم شيئاً لوالديك.



الوالدان سبب وجودك فعليك أن تشكرهما على هذه النعمة

أيها الأخوة الكرام: فلسفة ذلك أن الله سبحانه منحك نعماً ثلاث هي من أجلِّ النعم، النعمة الأولى نعمة الإيجاد.. قال تعالى:

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾

[سورة الإنسان: 1]

أوجدك من عدم، عن طريق من؟ عن طريق والديك؛ لأن أجلَّ نعمة على الإطلاق أن الله أوجدك، أوجدك ليرحمك، أوجدك ليسعدك، أوجدك ليدخلك جنة عرضها السموات والأرض، أوجدك ليتفضل عليك، وكان الوالدان سبباً وجودك. فلأن نعمة الإيجاد من أجلّ النعم، كان شكر الذي كان الإيجاد بسببهما ينبغي أن يكون أجلَّ الشكر، هذه ناحية.

الناحية الثانية: أن النعمة الثانية الكبرى التي أنعم الله بها عليك هي نعمة الإمداد، أمدك بكل ما تحتاج، لكن في فترة الطفولة كنت ضعيفاً لا تقوى على شيء، لا تعلم شيئاً، لا تحسن شيئاً.. محبة الله، ورحمة الله، ورأفة الله، ولطف الله تجسدت في محبة الأم والأب..

إذاً نعمة الإيجاد بسبب الأم والأب، ونعمة الإمداد عن طريق الأم والأب.

هذا الحليب الذي في ثدي أمك، إنه يتبدل تركيبه في الرضعة الواحدة نسب الماء تقل في أثناء الرضعة الواحدة، ونسب المواد الأساسية تزداد في الرضعة الواحدة، فلأن يتبدل تركيب الحليب كل يوم من باب أولى، حليب دافئ شتاءً، بارد صيفاً، معقم، فيه كل مناعة الأم، قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

[سورة البلد: 8-10]

قال ابن عباس: النجدان هما الثديان.. فنعمة الإمداد جاءت عن طريق الأم والأب، والنعمة الجليلة الثالثة هي نعمة الهدى والرشاد، وفي أغلب الأحيان تأتي التربية، ويأتي التوجيه - أقول في أغلب الأحيان- ويأتي الحض على أن تكون على حق، وأن تبتعد عن الباطل، وأن تتحلى بمكارم الأخلاق عن طريق الأب والأم، فالنعم الجليلة الثلاث هي من فضل الله عليك، ولكن قدرها الله أن تكون من خلال الأم والأب، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه:

((مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ))

[أحمد عن أبي سعيد]

إن جاءك خير من إنسان أو من مخلوق مخير، أي أعطاك باختياره، الله سبحانه وتعالى هو الأصل في هذا الخير؛ لأنه خلقه، وألهم فاعله، وسمح لفاعله، وجمعك معه، لكن هذا الذي قدم لك شيئاً بمحض اختياره ينبغي أن تشكره:

((مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ))

[أحمد عن أبي سعيد]

أيها الأخوة الكرام: درس ثالث: لعل الله سبحانه وتعالى أراد من نظام الأبوة والأمومة - هكذا سنته، وهذا قانونه- أن نتوالد من أب وأم، وأن نلحظ رحمة الأب والأم، وأن نلحظ حرص الأب والأم، وأن نلحظ رأفة الأب والأم، وأن نلحظ أن الناس مهما كثروا ليس فيهم إلا إنسانان، هذان هما الأم والأب، يتمنيان أن تكون فوقهما علماً، ومكانةً، وغنىً، ونجاحاً، وتوفيقاً.. ليس في الأرض كلها إنسان يقبل أن تتفوق عليه إلا الأب والأم.

أيها الأخوة الكرام: لعل الله جل جلاله أراد أن يطلعنا، وأن يعرفنا برحمته التي لا حدود لها، بعفوه الذي لا حدود له، برأفته التي لا حدود لها، بلطفه الذي لا حدود له من خلال مثلين أمامك هما الأم والأب.

أيها الأخوة الكرام: ثلاث حقائق؛ العبادة شيء، والإحسان شيء آخر، العبادة لله وحده والإحسان للوالدين، بكل التفاصيل، بكل الوسائل، بكل الإمكانات المتاحة، أما أن تخلط بينهما فهذا ليس من الصواب في شيء، لو أمرت الأم، وقد تكون جاهلة، وقد تكون مقصرة، وقد تكون بعيدةً عن الله، لو أمرتك بما يغضب الله لا ينبغي أن تطيعها في ذلك، ولكن تلطف معها قال تعالى:

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة لقمان: 15]

لذلك قالوا: هناك أب أنجبك، وهناك أب زوجك، وهناك أب دلك على الله.

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾

[سورة الكهف: 28]

الرّحمة العامة و الخاصة :

الشيء الثاني في هذه الخطبة أن أجلّ نعم على الإطلاق نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والرشاد، وشاءت حكمة الله أن يكون الأصل في ذلك أن الأب والأم سببا وجودك، وأن الأب والأم سببا الإمداد، لذلك قال بعض المفسرين حينما قال الله عز وجل:

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾

[سورة طه: 39]

لولا أن الله سبحانه وتعالى ألقى في قلب الأم هذه الرحمة التي لا توصف ما عاش طفل، تروي الآثار– والقصة رمزية كلياً، لكن لها مدلولاً– أن أماً تخبز خبزها وطفلها إلى جانبها، فكلما وضعت الرغيف في التنور قبلت ابنها وضمته، مرَّ سيدنا موسى، قال: يا رب ما هذه الرحمة؟ قال: سأنزعها، فلما نزع الله الرحمة من قلب الأم ألقت ابنها في التنور.



أليس بعض الحيوانات تأكل أطفالها؟ فهذه الرحمة التي في قلب الأب والأم وضعها الله في قلوب الأمهات لتستمر الحياة، لذلك لن تجد أمراً في كتاب الله يأمر الآباء والأمهات بالعناية بأولادهن؛ لأن هذا العمل من طبع الإنسان.. هل هناك أمر أن تأكل؟.. لا، طبعك يقتضي أن تأكل عندما تجوع، كذلك جعل الله الرحمة بالأولاد شيئاً مركباً في جبلة الأمهات والآباء،

لكن حينما يرحم الإنسان كل الناس هنا يرقى.. الرحمة العامة، الرحمة الخاصة يتمتع بها كل مخلوق، وهي ليست كسبية بل فطرية، لكن الرحمة التي تؤجر عليها وترقى بها أن ترحم كل الخلق، أن ترحم البعيد والقريب، أن ترحم الصغير والكبير.

أيها الأخوة الكرام: الرحمة شيء بكل ما في هذه الكلمة من معنى؛ لأن الأم حينما تنام الساعة الثانية عشرة وهي متعبة أشدّ التعب، ثم يبكي ابنها بعد ساعة، جسمها، وتركيب جسمها، وطبيعة جسمها يقتضي أن تنام، ما الذي يوقظها؟.. رحمة في قلبها، ما الذي يجعل الأم تجوع ليأكل ابنها؟ وتمرض ليشفى؟ وتسهر لينام؟.. رحمة أودعها الله في قلوب الأمهات.

أرحم الخلق بالخلق على الإطلاق رحمة النبي عليه الصلاة والسلام.. أرحم الخلق بالخلق، هؤلاء الذين كذبوه، وآذوه، وضربوه، هؤلاء الذين استخفوا به، وسخروا من دعوته، وقد قصدهم من مكة مشياً على رجليه، جاءه جبريل قال: يا محمد، لو شئت لأطبقت عليهم الجبلين قال:

((اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون..))

[متفق عليه عن عائشة]

أرحم الخلق بالخلق النبي عليه الصلاة والسلام، ومع ذلك قال الله عنه:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾

[سورة آل عمران : 159]

رحمة نكرة.. وقال عن ذاته:

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾

[سورة الكهف: 58]

الرحمة كلها عند الله عز وجل.

المسلم الحق يبرُّ أمه وأباه كل يوم في العام :

أيها الأخوة الكرام: الفكرة الأولى أن العبادة شيء والإحسان شيء آخر، لا ينبغي أن نخلط بينهما، وأن نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والرشاد هي من أجلّ النعم، وشاءت حكمة الله أن تكون هذه النعم من خلال الأب والأم في الأعمّ الأغلب.
وهناك شيء آخر: لعل الله أراد من نظام الأبوة والأمومة أن نتعرف بشكل غير مباشر إلى رحمة الله، وإلى عطفه، وإلى رأفته، وإلى لطفه، وإلى أنه أراد الخير لنا.

أيها الأخوة الكرام: بقي شيء آخر: لا ينبغي لمسلم أن يختصر برَّه بأمه يوماً في العام بل إن المسلم الحق يبرُّ أمه وأباه كل يوم في العام، إلى أن يلقى الواحد الديان، هذا هو الدين، ليس عندنا يوم في السنة.. إلى أن يلقى الواحد الديان..

ما يحرم على المسلم :

أيها الأخوة الكرام:

((إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ))

[متفق عليه عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ]

((حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ..))

((ليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يغفر له))

[الحاكم في تاريخه عن معاذ]

((وَوَأْدَ الْبَنَاتِ..))



والوأد له أنواع كثيرة، المعنى الضيق أن تحفر حفرة وأن تضعها فيها، والمعنى الموسع أن تضيعها، أن تفسد عليها دينها، أن تطلقها بلا حدود، وبلا قيود، وبلا توجيه، وبلا رعاية. أن تسمح لها أن تخرج كما تشاء، إلى أن تلقى الله وهي عاصية يوم القيامة تقول: يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي؛ لأنه كان سبب فسادي. فهذا الذي تأتيه بنت فيحسن تربيتها، إلى أن يزوجها أو يتوفى عنها فله الجنة.

أيها الأخوة الكرام:

((وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ))

وعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ))

[متفق عليه عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ]

دققوا في الآية:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء: 23]

يقابل هذه الآية . أكبر الكبائر أن تشرك لا أن توحد، وأن تسيء لا أن تحسن.. الإشراك بالله وعقوق الوالدين..

((وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ))

[متفق عليه عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ]

من أبرِ البرّ أن يبرئ الإنسان ذمة أبيه وأمه بعد موتهما :

وعن سَعْد بْن عُبَادَةَ رَضِي اللَّه عَنْه:

((تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا أَيَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطِيَ الْمِخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا))

[متفق عليه عن سعد بن عبادة]

حائطي: أي بستاني، حديث ورد في صحيح البخاري، معنى ذلك أن الصدقة عن الأم والأب تصل إليهما.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا:

((أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِي اللَّه عَنْهم اسْتَفْتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا نَذْرٌ، فَقَالَ: اقْضِهِ عَنْهَا))

[متفق عليه عن ابن عباس]

من أبرِ البرّ أن تبرئ ذمة أبيك وأمك بعد موتهما.. هناك أولاد أنا أعدهم أبطالاً، يعطيهم أبوهم في حياته زيادة عن إخوتهم ظلماً، ومحاباة، فبعد موت أبيهم يعيدون قسمة التركة إلى أصلها، برؤوا ذمة والدهم من الظلم.. عن النُّعْمَانَ بْن بَشِيرٍ قال:

((إِنَّ أَبِي بَشِيرًا وَهَبَ لِي هِبَةً فَقَالَتْ أُمِّي: أَشْهِدْ عَلَيْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَأَخَذَ بِيَدِي فَانْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ هَذَا الْغُلَامِ سَأَلَتْنِي أَنْ أَهَبَ لَهُ هِبَةً فَوَهَبْتُهَا لَهُ فَقَالَتْ أَشْهِدْ عَلَيْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُكَ لِأُشْهِدَكَ فَقَالَ رُوَيْدَكَ أَلَكَ وَلَدٌ غَيْرُهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ كُلُّهُمْ أَعْطَيْتَهُ كَمَا أَعْطَيْتَهُ قَالَ: لَا، قَالَ: فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا إِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ إِنَّ لِبَنِيكَ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تَعْدِلَ بَيْنَهُمْ))

[متفق عليه عن النعمان بن بشير]

من أبرِّ البرِّ أن تبرئ ذمة أبيك وأمك بعد موتهما، لتصحيح أخطائهما فيما يتعلق بإرثهما.

الأم أولى الناس بالمودة و الرحمة :

أيها الأخوة الكرام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ:

((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]



من علامة آخر الزمان نجد الشاب لطيفاً إلى أقصى الدرجات مع أصدقائه، أما مع أمه وأبيه فهو فظ غليظ، لا يُحتمل.. يقول هذا الرجل للنبي عليه الصلاة والسلام:

((.....مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ))

أي أولى الناس على الإطلاق بمودتك، ولطفك، وأدبك، وخدمتك، واهتمامك، أمك وأبوك. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[البخاري عن أبي هريرة]

وأمه هي الرحم الحقيقية التي أنجبته.. أي إذا كان الأمر بصلة الرحم له هذا الجزاء، فمن باب أولى أن تكون الأم في الدرجة الأولى.

((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[البخاري عن أبي هريرة]

ومعنا آلاف القصص، عن شباب برُّوا آباءهم وأمهاتهم، فوسع الله عليهم أرزاقهم، ولهم أخوة ما فعلوا مثل ذلك، فكان رزقهم قليلاً وحياتهم نكدة.

أفضل الأعمال على الإطلاق :

أيها الأخوة الكرام: وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِي اللَّه عَنْه قال:

((سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَسَكَتُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي))

[متفق عليه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ]

أفضل الأعمال على الإطلاق الصلاة على وقتها، ثم برُّ الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله.

الاستقامة في معاملة الناس لحفظ الأب و الأم :

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:



((مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ))

[متفق عليه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو بن العاص]

هذا الحديث دقيق جداً، أي أية إساءة ترتكبها مع الناس من دون شعور منهم يصلون إلى أبويك الذين ربوك هذه التربية، فالذي يخاف أن يسبب لأمه وأبيه مسبةً، وحرجاً، وعاراً، فليستقم في معاملة الناس لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ: نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ))

[متفق عليه عن عَبْد اللَّهِ بْنِ عمرو بن العاص]

كيفية برّ الوالدين :

أيها الأخوة الكرام: حديث آخر دقيق جداً: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ:

((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ حَدَّثَنَا))

[متفق عليه عن عَبْد اللَّهِ بْنِ عمرو]

أي برُّ الوالدين رفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مرتبة الجهاد، والجهاد كما تعلم ذروة الإسلام. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ))

[مسلم عن أبي هريرة]



هما جنتك ونارك

إن أدركت أحد أبويك، أو كليهما، وبررتهما كما ينبغي فهذا العمل كافٍ لدخول الجنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

الحديث تعرفونه. الآن له استنباط آخر، الولد الصالح يكون صالحاً إذا دعا لوالديه، فمن لوازم الولد الصالح أن يدعو لوالديه، لذلك المسلم في كل صلاة يقول: رب اغفر لي ولوالدي، رب ارحمهما كما ربياني صغيراً.

عن مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ قَالَ:

((بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا قَالَ: نَعَم ؛ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا))

[أبو داود عن مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ]

وهذا كله من برّ الوالدين.. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((إِنِّي جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا))

[النسائي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

أتى النبي ليجاهد معه، قال:

((تَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا))

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى وَلَدِهِمَا قَالَ هُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ))

[ابن ماجه عَنْ أَبِي أُمَامَةَ]

ببرهما تدخل الجنة، وبعقوقهما تدخل النار.. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ وَلَا عَاقٌّ وَالِدَيْهِ وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ))

[أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

أيها الأخوة الكرام: مرةً ثانية، نحن المسلمين نبرُّ أمهاتنا وآباءنا طوال العام، وهذا هو سلوك المسلم الذي يتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيها الأخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني..

من التعاون على البرِّ صلاح الدنيا :

أيها الأخوة الكرام: هناك مشكلة كبيرة يعاني منها فقراء المسلمين، وهي أن أحدهم إذا أُصيب – لا سمح الله – بمرض عضال يقتضي علاجه مبالغ طائلة لا يجدها، فإذا قضى بسبب هذا المرض أثم المسلمون جميعاً؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

[سورة المائدة:2]

من التعاون على البرِّ صلاح الدنيا، وصلاح الدنيا توفير العلاج لكل المسلمين.



وإذا أوكل أمر هذا المريض ذي المرض العضال إلى جهة لتغطي نفقات المعالجة، فإن هذه الجهة لا تستطيع؛ لأن المبالغ فوق طاقتها، وإن استطاعت مرةً أو مرتين، لن تستطيع أن تستمر، هذه هي المشكلة. وأحياناً يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى من مرض عضال تقتضي معالجته مئات الألوف ولا يملكها، يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى ولا يستطيع أن يتحرك.

وأقول لكم ولا أزكي على الله أحداً إن من بين رواد هذا المسجد أناساً طيبين يعملون بصمت، سعوا في السنوات العشر الماضية لإنقاذ عشرات عشرات المرضى ممن يقتضي علاج الواحد منهم مئات الألوف، ولكن على الرغم من أن هذا الأمر فوق طاقتهم، وفوق إمكاناتهم، لكنهم في النهاية وفقوا نظير صدقهم مع الله، ومساعدة من حولهم ممن هم على شاكلتهم، وُفقوا إلى تأسيس صندوق اسمه صندوق العافية، هذا الصندوق يشرف عليه اتحاد الجمعيات الخيرية، مهمته معالجة المرضى الذين يقتضي علاجهم عمليات جراحية باهظة التكاليف داخل سورية وخارجها، وقد صدر قرار بتأسيس هذا الصندوق من الجهات المعنية ونُشر في الجريدة الرسمية، وعُمل به بدءاً من هذا الأسبوع. ولهذا الصندوق أن يجبي التبرعات من مساجد دمشق بكتب رسمية، لهذا الصندوق أن يجبي التبرعات من مساجد دمشق وفق كتب رسمية، ومن الجمعيات الخيرية، ومن اشتراكات الفعاليات الاقتصادية والمالية، ومن التبرعات الفردية، ومن الوصايا والهبات والمنح والزكاة، ومما تساهم به الدولة دعماً لهذا الصندوق.

ومن أهداف هذا الصندوق إحداث مشفى عام، ومستوصفات متفرعة، والاتصال بجميع المشافي والأطباء بغية أخذ حسم مناسب، وتأمين القطع الأجنبي بالسعر الرسمي لسفر المرضى، والسعي لقبول بعض المرضى في المستشفيات التخصصية، وتأمين الدواء اللازم بالأسعار المخفضة، والسعي لدى شركات الأدوية لأخذ قسم من إنتاجها مجاناً، ثم السعي لدى المخابر الطبية ومراكز التصوير لأخذ حسوم معقولة على أجورها، والسعي لدى شركات الطيران لأخذ بطاقات مجانية لسفر المرضى.

أيها الأخوة الكرام: شيء آخر أزفه إليكم، أن هذا الصندوق سيختار نخبة من الأطباء المتفوقين في اختصاصاتهم، والمتفوقين في دينهم، ممن يخافون الله ويرحمون خلقه، هؤلاء الأطباء يقررون ما إذا كانت العملية يمكن أن تجري داخل القطر وخارجه، ويتولون هم الاتصال بالمستشفيات وبالأطباء الجراحين لأخذ أفضل الشروط وأقل التكاليف، ثم يتولى هذا الصندوق الدفع مباشرة إلى الجهة المعالجة، لا إلى المريض، ضبطاً للأمور.

أما إذا اتخذ الأطباء قراراً لإجراء العملية خارج سوريا فإنهم يمنحون الفقير مرافقاً معه يرافقه لإنجاز هذه العملية، يمكن أن تكون هذه بشرى لفقراء المسلمين، يمكن أن ندعم هذا الصندوق، وأنا –لا أزكي على الله أحداً– أتوسم الصلاح والخير في أن هؤلاء المشرفين أيديهم نظيفة وأمينة، وأن الأطباء الذين سيختارونهم أطباء يخافون الله ويخافون التقصير في حق مرضى المسلمين.

أيها الأخوة الكرام: نحن في أول أسبوع يمكن أن نجبي التبرعات لصندوق العافية في هذا المسجد، وفي أي مسجد في دمشق، فمشكلة المرض العضال الذي يصيب الفقير والذي لا يملك تغطية لمعالجة هذا المرض، هذه مشكلة كبيرة أرجو الله سبحانه وتعالى أنها قد حلت عن طريق هذا الصندوق حلاً جذرياً، والله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

نبدأ التبرعات في هذا الأسبوع وفي هذا المسجد بالذات لهذا الصندوق وفق إيصالات رسمية، ووفق إدارة حازمة تدير هذا الصندوق، وهي خاضعة للمحاسبة والتدقيق، وإلى كل الطرق السليمة والمشروعة والرسمية في وضع الأمور في نصابها.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا

وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك. اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا اللهم بأسماعنا، وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا، مولانا رب العالمين. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ودنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك. اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين. اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وآمنا في أوطاننا، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً، وسائر بلاد المسلمين. اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك، ومن الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك، نعوذ بك من عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء. اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب. اللهم صن وجوهنا باليسار، ولا تبذلها بالإقتار، فنسأل شر خلقك، ونبتلى بحمد من أعطى وذم من منع، وأنت من فوقهم ولي العطاء، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء. اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين. اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-4) : حقائق مهمة في بر الوالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

أيها الإخوة الكرام ، مع الدرس السابع والستين من دروس سورة الأنعام ، ومع الآية التي بدأنا بها في الدرس الماضي ، وهي الآية الواحدة والخمسون بعد المئة ، وهي قوله تعالى :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

تذكير :

أيها الإخوة الكرام ، في الدرس الماضي بينت لكم كلمة :

﴿ تَعَالَوْا ﴾

وبينت أن المحرمات على نوعين ، محرمات في المطاعم ، وهي تفسد الجسم ، ومحرمات في الاعتقادات ، وفي المعاملات ، وهي تفسد النفس ، وهذه الآية متعلقة بالمحرمات في الاعتقادات وفي العلاقات .

أيها الإخوة ، وكان الحديث أيضاً عن الشرك بالله ، هذا في الدرس الماضي ، وننتقل اليوم إلى موضوع :

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

مقدمة في بر الوالدين :

أيها الإخوة ، بادئ ذي بدء كان من الممكن أن نأتي جميعاً إلى الدنيا دفعة واحدة ، وأن نغادرها دفعة واحدة، لأن كل ما سوى الله ممكن ، ممكن أن نكون ، وممكن ألا نكون ، وإذا كنا يمكن أن نكون على ما نحن

عليه، ويمكن أن نكون على خلاف ما نحن عليه ، يمكن أن لا يكون هناك آباء وأمهات إطلاقاً ، البشر جميعاً يُخلقون دفعة واحدة على وجه الأرض ، معنى ذلك أن الدرس ألغي ، و ألغي معنى قوله تعالى :

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾



ولكن كما يقال : حكمة الله بليغة ، أراد الله أن نكون من أب وأم ، هذا الدرس علاقتك بالأب والأم ، أولاً بشكل مجمل ينبغي أن تكون العلاقة بينك وبين أبيك ، وبينك وبين أمك علاقة إحسان ، لا علاقة ندية ، أنت لك في التعامل التجاري علاقة ندية ، وقد تقيم علاقة مع أخيك علاقة ندية ، وهناك العلاقات لا تعد ولا تحصى ، إلا أن العلاقة بينك وبين أبيك أمك ينبغي أن تكون علاقة إحسان ، إحسان منك إليهم ، لماذا ؟ لأن الله سبحانه وتعالى يحبك ، ومحبة الله عزوجل سبقت محبتك له ، لماذا ؟ لقوله تعالى :

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾

(سورة المائدة الآية : 54)

لأنه أحبنا خلقنا ، ولأنه خلقنا أحبنا ، هذا الحب جُسد ، وترجم بمحبة الآباء والأمهات لأولادهم ، ولا يزال قلب الأب وقلب الأم آية دالة على عظمة الله ، تتمنى أن تمرض لتصح ، تتمنى أن تجوع هي لتأكل ، تتمنى أن تخاف هي لتطمئن ، تتمنى أن تقدم لك كل شيء ، ومن دون أن تطمعك منك بشيء .

حقائق مهمة في نظام الأُبُوَّة :

الحقيقة الأولى : الأبوة آية من آيات الله :

كيف أن الكون آية من آية الله الدالة على عظمته ، كيف أن الشمس والقمر آيتان ، والليل والنهار آيتان ، قلب الأم ، وقلب الأب آية ، وفي الأعم الأغلب أن الإنسان لا يعرف قيمة الأب إلا إذا أصبح أباً ، ولا تعرف المرأة قيمة الأم إلا إذا أصبحت أماً ، كيف أن المحبة والحرص والعطف والحنان من أجل أن يسعد ابنها .

أيها الإخوة ، إن صح أن الكون يدل عليه يصح أيضاً أن قلب الأم ، وقلب الأب يدل على الله ، هذا الملمح في قوله تعالى :

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾

(سورة البلد)


محبة الآباء للأبناء تجسيد لمحبة الله عز وجل

نظام الأبوة يدلك على الله ،

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾

حينما يكون ابنه كما يتمنى الأب يشعر بسعادة لا يوصف ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾

(سورة الفرقان)

فقلب الأب وقلب الأم إلا حالات قليلة جداً وشاذة ، وهي في آخر الزمان تتفاقم ، هناك آباء ليسوا كما ينبغي ، لكن في الأعم الأغلب أي أب في كل القارات ، وفي كل العصور الأب أب ، والابن ابن .

إذاً : أول نقطة أن الله سبحانه وتعالى حينما خلقنا أحبنا ، أو أحبنا فخلقنا والليل :

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾

محبة الله تجسدت ، أو ظهرت ، أو ترجمت في محبة الأم لابنها ، أو محبة الأب لابنه .

أيها الإخوة ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾

(سورة طه الآية : 39)

إذا ألقيت عليك محبة مني ، هذا الذي ألقيت محبتك في قلبه يقدم حياته من أجلك ، لذلك ورد أن نبياً من أنبياء الله الصالحين رأى أمًّا وهي تخبز الخبز ، وكلما وضعت رغيفاً في التنور أمسكت ابنها ، وضمته وشمته ، فتعجب هذا النبي من هذا الحب ، ومن هذه الرحمة ، فقال : يا رب ، ما هذه الرحمة ؟! فكان الجواب الإلهي : أن يا عبدي ، هذه رحمتي أودعتها في قلب أمه وسأنزعها ، والقصة رمزية طبعاً ، فلما نزعت الرحمة من قلب الأم ، وبكى ابنها ألقته في التنور .

عندنا أمثلة على بعض الحيوانات ، بعض القطط تأكل أولادها إذا جاعت ، مع أنها تعطف عليهم عطفاً لا حدود له في مرحلة ما ، وبعد هذه المرحلة تأكل أولادها .

إذاً : إن رأيت أمك أو أباك يرحمانك ، ويعطفان عليك فاعلم علم اليقين أن هذه رحمة الله .

الحقيقة الثانية : محبة الأباء للأبناء طبع :

النقطة الدقيقة الثانية : أنك لم تجد في القرآن كله آية إلا آية واحدة متعلقة بالمواريث ، لكن بشكل عام لن تجد في القرآن الكريم كله آية توصي الآباء بأبنائهم ، لماذا ؟ لأن محبة الآباء لأبنائهم ، ومحبة الأمهات لأبنائهم طبع مركب في أصل خلقهم ، وهل سمعت في الأرض أن رئيس وزراء يصدر مرسوماً تشريعياً يحض المواطنين على تناول طعام الإفطار ؟ هذا كلام لا معنى له إطلاقاً ، لأن الحاجة إلى الطعام طبع في الإنسان ، لا تحتاج لا إلى قانون ، ولا إلى مرسوم ، ولا إلى أمر ، ولا إلى تفتيش ، كل واحد منا يستيقظ، ويقول : أين الطعام ؟ ولأن محبة الآباء ومحبة الأمهات لأبنائهم طبع مركب في أصل وجودهم ، الدليل : اذهب إلى مستشفى الأطفال ، المثقفة تبكي ، والجاهلة تبكي ، والبدوية تبكي ، والمتفلتة من منهج الله تبكي ، والملتزمة تبكي ، والمحجبة تبكي ، إن كان ابنها مريضاً ، كل أمهات الأرض عدا قلة قليلة جداً شاذة لا علاقة لها بهذا الحكم .

إذاً : محبة الآباء والأمهات إلى أولادهم طبع في أصل تركيبهم ، لكن بر الأبناء لآبائهم تكليف ، هكذا شاءت حكمة الله تكليف ، لما يتزوج الابن مصلحته مع زوجته وأولاده ، فإذا بر أباه فمن باب التكليف ، فمصلحته ليست مع أمه ، مصلحته مع زوجته الشابة ، أمه في سن الثمانين ، أمه عبء عليه بالميزان المادي ، لذلك في العالم الغربي الآباء والأمهات في مأوى العجزة ، لكن في العالم الإسلامي لأن برّ الأبناء بآبائهم وأمهاتهم تكليف ديني تجد أن المتقدم في السن في بلاد المسلمين في حالة نتميز بها عن كل أنحاء العالم ، بل إنه في البلاد الإسلامية عار وأيّ عار أن يدفع الابن أباه إلى مأوى العجزة ، الأب في هذه السن لا يتمنى أن يأكل ، ولا أن يشرب ، يتمنى أن يكون بين أولاده ، يتمنى أن يراهم ، عنده حاجة ، لذلك حينما قال الله عزوجل :

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

لو فتحنا المعاجم في اللغة عند(أحسن) إلى ، ليس في اللغة أحسن(بـ) بل أحسن إلى ، أما في القرآن ففعل أحسن تعد بالباء ، وهذه الباء تفيد الإلصاق ، يعني إحسانك لأبيك لا ينبغي أن يكون عن طريق

السائق ، أو عن طريق الموظف إلى أو عن طريق ابنك ، ينبغي أن يكون عن طريقك شخصياً مباشرة ، يجب أن تذهب أنت إليه لتقدم له الحاجة التي طلبها منك ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

يجب أن يكون إحسانك لهم لصيقاً ، لا عن طرق سائق أو عن طريق موظف في المكتب ، خذ أبي إلى نزهة ، فأنا مشغول ، خذ أمي إلى نزهة ، أنا مشغول ، لا ،

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

مشاعر الأب هي مشاعر الحب ، مشاعر العطف سعادته أن يكون عند ابنه ، لا أن يكون في مأوى العجزة، فلو أن الخدمة في مأوى العجزة بالتعبير الفندقي خمس نجوم ، وخدمة الابن لأبيه الفقير نجمة واحدة ، أو نجمة مطموسة لتمنى أن يكون مع أولاده ، أو مع أحفاده ، من أن يكون في مأوى العجزة . لذلك امرأة غنية جداً لها أولاد شباب ، تخاصموا على من تكون عنده ، وأصغوا إلى صوت زوجاتهم ، وكل زوجة تأففت ، لذلك وضعوها في مأوى العجزة من فئة الخمس نجوم ، فلما علمت إلى أين آلت أتت بكاتب العدل ، وكتبت كل ما تملك من أموال منقولة وغير منقولة بمئات الملايين إلى الجمعيات الخيرية عقاباً لهم على موقفهم .

فلذلك أيها الإخوة ، محبة الآباء والأمهات لأبنائهم طبع ، وأي أب ، وأيّة أم على اختلاف المشارب والاتجاهات ، والالتزام ، وعدم الالتزام ، والثقافة وعدم الثقافة واحدة ، لأنها طبع ، كيف أن كل إنسان يشعر بالجوع ويأكل ، أي إنسان ، أخي هذا مثقف لا يأكل ، لا ، يأكل هذا جاهل يأكل كثير ، لا ، كل إنسان يأكل ، مثقف أو غير مثقف ، ملتزم أن غير ملتزم ، الله عزوجل أودع في إنسان حاجة إلى الطعام ، كذلك أودع في قلب الآباء والأمهات محبة لأولادهم ، ولو فكرت الآن تجد رجلا مصروفه بضعة آلاف هو وزوجته، لكن كل سعيه ليدير معملا ، يدير مؤسسة ، يتحمل المشاق ، الظروف الصعبة ، البيع الضعيف ، الضرائب الكثيرة ، صعوبة التخليص ، كل هذه المتاعب من أجل أولاده ، هو عندهم يخدمهم دون أن يشعروا.

لذلك أيها الإخوة ، محبة الآباء للأبناء طبع مركب في أصل وجودهم ، بينما خدمة الأبناء لآبائهم وأمهاتهم تكليف ، مصلحته مع زوجته ، لذلك من علامات قيام الساعة الإنسان يعق أباه ويبر صديقه ، يعق أمه ويسيخ أمام زوجته ، هذه حالة واضحة ، أكثر الأمهات تشتكي أحياناً من جفاء ابنها ، مصلحة ابنها مع زوجته لا مع أمه .

لذلك الملخص أن محبة الآباء لأبنائهم ، ومحبة الأمهات لأبنائهم طبع مركب في أصل وجودهم ، بينما بر الأبناء لآبائهم وأمهاتهم تكليف .

لا بد من ملاحظة : تكاد تكون رحمة الأب بابنه أجرها قليل ، لأنها طبع ، ليست كسبية ، أما إذا اهتم بأخلاقه وبدينه فهذا هو العمل الصالح ، أما أن يهتم بطعامه ، وشرابه ، ومدرسته ، وتحصيله ، فأيّ أبٍ في الدنيا يهتم بذلك ، ويكاد يكون الأجر قليل جداً ، لأنه شيء مركب في أصل تكوينه ، وأنت تشعر أنك عملت عملا عظيمًا ، فهل إذا صليت وبكيت بكاء شديداً لأنك تناولت طعام الغذاء ؟! مستحيل ! لأن تناول الطعام طبع ، أما حينما تؤثر أباك على شيء فأنت في أمسّ الحاجة إليه ، وتقدمه له تبكي في الصلاة ، لأن هذا تكليف ، وأنت قمت بالتكليف ، وأديت الأمانة .

الحقيقة الثالثة : نظام الأبوة طريق إلى معرفة الله :

أيها الإخوة ، إذاً : أراد الله أن يكون وجودنا في الدنيا عن طريق آباءنا وأمهاتنا ، وهناك نقطة دقيقة جداً : أنت من نظام الأبوة تعرف الله ، يمكن لمخلوق يتمنى سعادتك ، يتمنى سلامتك يتمنى ، أن تكون صحيحاً ، يتمنى أن تكون غنياً ، يتمنى أن تكون متفاهماً مع زوجتك ، يتمنى أن يكون لك أولاد أبرار ، هذا حال الأب والأم ، إن دخلت الأم على أبيها ضاحكة فكأنه في جنة ، وإن دخلت البنت على أبيها باكية من زوجها فكأنه في جحيم ، هذا شعور الأب والأم ، كذلك لا تقرّ عين الأب وعين الأم إلا إذا كان الابن والبنت سعداء ، ولا يريد الأب من أبنائه شيئاً ، أحياناً يكون الأب مكتفيًا ، وضعه المادي جيد ، ليس بحاجة إلى أولاده ، لكن عنده حاجة لأولاده ، لكن عنده حاجة إلى سلامتهم وسعادتهم .

الحقيقة الرابعة : علاقتك الابن مع الوالدين إحسان محض :

شيء آخر ، نحن عندنا في اللغة حرف عطف ، حرف العطف يقضي المشاركة ، وليس مقبولا في اللغة أن تقول :

اشتريت أرضاً مساحتها ألف دنم وملعقة ، لا تناسب بينهما ، تقول : اشتريت أرضاً وبيتاً ، أرضاً ودكاناً ، أرضاً ومزرعة ، بيتاً ومركبة ، لابد في العطف من التناسب ، الآن فإذا قال الله عزوجل :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

(سورة الإسراء الآية : 23)



إنّ أعلى عمل تقوم به أن تعبد الله ، بل إن سر وجودك في الأرض أن تعبد الله ، بل إن علة وجودك في الأرض أن تعبد الله .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(سورة الذاريات)

فإذا بالإحسان إلى الوالدين يرتفع إلى مستوى عبادة الله ،

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

إذاً علاقتك مع أبيك وأمك ينبغي أن تكون إحساناً محضاً ، وكل ابن يشكو لي أباه ، لي كلمة أرددها من ثلاثين عامًا : أدِّ الذي عليك ، واطلب من الله الذي لك ، لا تربط برّك بأبيك بموقفه منك .

الحقيقة الخامسة : بطولة الأب في محبة أبنائه له :

لكن أقول لكم حقيقة لعلها من أدق حقائق هذا اللقاء وهذا الدرس : كل أب محترم في بيئتنا ، وفي ثقافتنا ، وفي ثقافة المؤمنين ، الأب محترم ، محسن أو مسيء ، منصف أو ظالم ، الأب محترم ، كل أب محترم ، لكن الأب الذي يحبه الله هو الأب المحبوب ، فرق كبير بين أن يحترم ابنك ، وبين أن يحبك ، إن أحبك فأنت محسن إليه .

((رحم الله والدا أعان ولده على بره))

[أخرجه أبو الشيخ <ابن حبان> في الثواب عن علي]



بطولتك كأب لا أن يقدم لك ابنك آيات التبجيل والاحترام ، والخضوع ، ويقبل يدك صباحاً ومساء، بطولتك كأب أن يذوب قلب ابنك محبة لك ، وأن يتمنى بقاءك ، أن يتمنى حياتك ، لا أن يستعجل موتك ، لا إن إذا جاء الطبيب ، وقال له : قضية عرضية يتألم أشد الألم ، يريدها قاضية ، لذلك الأب البخيل يكره

الأبناء بقاءه ، ويتمنون موته ، وكذا الأب القاسي ، علامتك أبوتك أنك إذا دخلت إلى البيت كان البيت عيداً ، وإذا خرجت من البيت كان مأساة ، أما الأب الظالم فإذا خرج من البيت صار البيت عيداً ، وإذا دخل إلى البيت ارتبك البيت ، وكلٌّ آوى إلى غرفته ، وابتعد عن أبيه ، فبطولتك لا أن تُحترم ، فكلّ أب محترم ، بطولتك أن تُحب .

((أفضل كسب الرجل ولده))

[أحرجه الطبراني في الكبير عن أبي برزة بن نيار]

أعظم عمل أن يكون ابنك استمراراً لك ، لذلك قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾

(سورة الطور الآية : 21)

كل أعمال ذريتك في صحيفتك يوم القيامة ، لذلك كل واحد منكم متاح له أن يصل إلى الجنة عن طريق تربية أولاده ، كل واحد منكم بإمكانه أن يصل إلى الجنة فقط عن طريق تربية أولاده .

الحقيقة السادسة : على الأبناء الإحسان إلى الوالدين لا عبادتهما :

لكن حينما قال الله عزوجل :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

تبيّن أن هناك فرقًا كبيرًا بين العبادة وبين الإحسان ، والعبادة طاعة .

((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))

[أخرجه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك عن عمران والحكم بن عمرو الغفاري]

وأحد أكبر الصحابة الكرام سيدنا سعد ابن أبي وقاص ، تقول له أمه : يا سعد ، إما أن تكفر بمحمد ، وإما أن أدع الطعام حتى أموت ، قال : يا أمي ، لو أن لك مئة نفس فخرجت واحدةً واحدة ما كفرت بمحمد ، فكلِ إن شئتِ أو لا تأكلي ، ثم أكلت بعد لك ، ليس هناك مساومات في الدين ،

((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))

لكن لو أمر بمعصية فلا ينبغي أن تنفجر عليه ، قال :

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾

(سورة لقمان الآية : 15)

حتى لو أمرك بمعصية ، حتى لو أمرك بالشرك ينبغي أن تكون متلطفاً معه برفضك ، لذلك زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : أن أمي مشركة أفأصلها ؟ قال : صليها ، فأنت مكلف أن تبر أمك وأباك ، مؤمنين ، غير مؤمنين ، منصفين ، غير منصفين ، قاسيين رحيمين ، أدِ الذي عليك واطلب من الله الذي لك .

أيها الإخوة ، إذاً العبادة شيء والإحسان شيء آخر ، أمرك أن تطلق زوجتك وزوجتك مؤمنة ، محجبة ، صادقة ، تحبك ، وتؤدي واجبها تجاهك ، أريد أن أطلقها لا أقدر لأن أبي أمرني

((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))

وكل واحد يطلب مني هذا الطلب أن ينفذ أمر والده بتطليق زوجته يحتج أن سيدنا عمر أمر ابنه أن يطلق زوجته ، فطلقها ، أقول له بجوابي على هذا السؤال : إن كان أبوك عمر فطلقها ، أبوك ما له عمر ، لا يمكن أن يأمر عمر ابنه بتطليق زوجته إلا لحكمة بالغةٍ بالغة .

فلذلك تطلق ، أوامر الأمهات أحياناً والآباء في القسوة على الزوجات كثيرة جداً فإن كانت زوجتك صالحة فعاملها بأرقى معاملة ولو أن الأب أو الأم غضبت عليك ، لا غضب لها في هذا المعنى ، لكن ليس من الحكمة أن تبالغ في مدح زوجتك أمام أمك أو أمام أبيك لئلا تُتهم أنك مستسلم لها ، ليس من الحكمة ، كيفها يا بني ؟ والله ما شي الحال نصيب هذا ، هذه منتهى الحكمة ، أما أن تبالغ في مدحها ليلاً نهاراً ، يظنان أنك همت بها ، وليس عيباً أن تهيم بزوجتك ولكن قلب الأم أحياناً لا يحتمل ، أنت لها في الأصل ، فإذا بامرأة تأخذ قلبك منها .

إذاً العبادة شيء ، والإحسان شيء آخر ، من تكريم الأب في القرآن الكريم أنه لا يجوز أن يُقتل الابن أمام أبيه ، ولو كان مجرماً ، الدليل أن سيدنا نوح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام حينما أغرق الله ابنه قال :

﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾

(سورة هود)

لأن قلب الأب لا يتحمل ، لا قلب الأب ، ولا قلب الأم .

أيها الإخوة ، فليس من البر أن يقول لك أبوك : طلق زوجتك ، أو لو أمرك بمعصية ، البر شيء ، والعبادة شيء آخر ، العبادة لله ، والبر للوالدين ، البر أن تطعم أباك وأمك ، أن تهيئ لهما الظروف ، في الشتاء يحتاجون إلى معاطف ، إلى تدفئة ، إلى طعام ، أما أن يقلبا حياتك جحيماً فهذا غير مقبول منهما ، أن يقلبا حياتك جحيماً من أجل نزوة عندهما فهذا شيء غير مقبول أبداً ، لأن أكثر الأبناء والله أيها الإخوة ، وأنا لا أنطلق من فراغ ، أنطلق من قصص واقعية ، هو متفاهم مع زوجته 100 % ، إلا أن تدخل الأب والأم أحال البيت جحيماً لا يطاق ، إذاً :

((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))

لكن الرد ينبغي أن يكون لطيفاً ومهذباً ، وفيه تسديد وتقريب ، قال الله عزوجل :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾

(سورة الإسراء الآية : 23)

الحقيقة السابعة : الإحسان إلى الوالدين عند حاجتهما لذلك في الكبر :

من السهل جداً أن تبر أباك الشاب ، القوي ، الغني ، ليس بحاجة إليك ، بحاجة إلى مودتك ، إلى سلام ، إلى زيارة فقط ، لكن لا سمح الله ولا قدر أب مُقعد في البيت ، وهو عندك في البيت ، وله طلبات كثيرة ، والإنسان مع تقدمه في السن قد يصاب بالتخلف الفكري الخرف ، لكن أنا أسأل الله لي ولكم أننا إذا كنا في طاعة الله ألا نخرف ، لأنه من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت ، والنبي عليه الصلاة والسلام قال :

((بادروا بالأعمال سبعا : هل تنتظرون إلا فقرا منسيا ؟ أو غنى مطغيا ؟ أو مرضا مفسدا ؟ أو هرما مفندا))

[رواه الترمذي عن أبي هريرة]



الهرم يقابله خرف أحياناً ، فكلما جاء ضيف يقول هذا الأب أو الأم : لا يطعمونني ، يفضحهم ، والقصة يعيدها مليون مرة ، ويتدخل تدخلا لا يحتمل ، لذلك البطولة لا أن تبر أباك وهو صحيح ، قوي شاب ، غني ، البطولة أن تبر أباك وهو عندك في البيت ، واسأل أيّ أب الآن : كم ولدًا عندك ؟ يقول

لك: عندي خمسة أولاد ، لكن اسأله وهو في الخامسة والثمانين أين هو ساكن ؟ عند ابني ، كان أولاده عنده فأصبح عندهم ،

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ ﴾

كبير في السن ، طلباته صعبه ، أدويته كثيرة ، حاجاته غير معقولة ، له أسئلة كثيرة ، تعليقات ، والذي نشأ عليه في الثلاثينات يجب أن يلتزم به مَن هم في التسعينات ، هذا لا يصح ، علموا أولادكم ، وأدبوهم فإنهم خلقوا لزمن غير زمنكم ، وكثير من الآباء مع تقدمهم في السن الذي نشأ عليه في العشرينات يريد أن يلزم ابنه أن يطبقه بعد ثمانين سنة ، هذا شيء غير معقول ، فكلما وجدت أبًا مرنًا أعطى أولاده حرية في شؤون لا علاقة لها بالدين إطلاقاً فهذا جيد ، الآن أكثر المشكلات بين الأم وبين زوجة الابن أنه يجب على الزوجة أن تنفذ تعليمات الأم التي نشأت عليها قبل عشرين أو خمسين عامًا ، هناك معطيات جديدة ، وأساليب بالحياة جديدة ، وأكلات معينة ، وترتيب معين ، لذلك كل ما كان الأب والأم ظلمها خفيفاً على أولادهما ازدادت محبة الأبناء للآباء .

إذاً :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾

لذلك أحياناً يكون الأب عند أحد أولاده ، الأبناء الآخرون يتمتعون بحرية ، وبرضا الأب ، لأنه ليس بينهما احتكاك أبداً ، أما الابن الذي عنده أبوه فهو في مشكلات كثيرة معه ، في طعامه ، وشرابه ، وضيوفه ، وغرفته ، لذلك البطولة أن تحتمل ، وأنا أؤكد لكم أن الابن البار بأبيه يمكن أن ينال عند الله مكانة كبيرة جداً.

أنا أذكر أن أخًا ظهر في إصبع رجل أبيه سواد ، فعرضوه على طبيب فقال : لا بد من قطع إصبعه فوراً ، له خمسة أولاد ، الأربعة أولاد قالوا : قضاء وقدر ، ماذا نفعل ؟ حسبنا الله ونعم الوكيل ، إلا أن ولده لم يرضَ أن تقطع إصبع أبيه وتألم ، ورجا الطبيب حتى علا صوته ، الطبيب احترمه ، قال له : والله هناك حل ، لكن هذا نجاحه بالمئة عشرة ، قال له : ما الحل ؟ قال له : ستة أشهر صباحاً ، وظهراً ، ومساء يحتاج إلى أدوية وتطهير بالماء ، ومواد معينة ، قال له : أنا أقوم بذلك ، فالابن بيته بالمزرعة ، والأب في المهاجرين بالجادة الخامسة ، والابن موظف ، فكان يستيقظ باكراً جداً ، ويذهب إلى أبيه الساعة السابعة ، ويؤدي الواجب بتنظيف إصبع رجل أبيه ، والظهر يأتي ، والمساء يأتي ، وبعد ستة أشهر شفي الأب ، ولم يحتج إلى قطع إصبعه ، والابن والله شيء لا يصدق ، مع أن دخله محدود ، ووضعه صعب فتح الله عليه ، شيء لا يصدق ، وأنا لا أعرف واحدًا بار بوالديه إلا الله أغناه ، أغناه وأكرمه .

((ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه))

[أخرجه الترمذي عن أنس]

والذي عق أباه عقه أولاده ، والذي بر أباه بره أولاده ، والقضية دين ، فكما تعامل أباك في الأعم الأغلب يعاملك أبناءك .

إذاً :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾
﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾

(سورة الإسراء الآية : 23)

ما معنى أف ؟ اسم فعل مضارع ، أتضجر ، إذا قال لك : بس ، اسم فعل أمر اكتفِ ، حي على الصلاة اسم فعل أمر أقبل ، عندنا في اللغة أسماء أفعال ، لا هو اسم ، ولا هو فعل ، الصيغة اسم ، المعنى فعل ، عندنا اسم فعل ماضي ، وعندنا اسم فعل مضارع ، وعندنا اسم فعل أمر ، فحي على الصلاة أقبل ، اسم فعل أمر ، أف ، اسم فعل مضارع ، أتضجر ، زفير مسموع ، لو أن في السلوك سلوكا أقلّ من أف لقاله الله، لا أقل منه ، أف ، الزفير مسموع ، أنت متضجر ، بعض العلماء حملوا على أف أكثر من ثلاثين حالة.

((ما بر أباه من شد طرفه إليه))

[رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق ، وابن مردويه ، عن عائشة]

هذه مثل أف ، أو من أغلق الباب بعنف أمام أبيه ، من مشى قبل أبيه ، لا تمشِ أمامه ، ولا تجلس قبله ، ولا تستسب له ، لا تسبب أن يسب الأب من أجلك .

((فَلا تَمْشِ أمامَهُ ، ولا تَسْتَسِبَّ لَهُ ، وَلا تَجْلِسْ قَبْلَه))

[رواه ابن السني، عن أبي هريرة رضي الله عنه]

لذلك :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾
﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(سورة الإسراء)

وأنا أقول دائماً للأبناء الذين امتحنهم الله بمرض آبائهم : الأب فاكهة مولية ، فإذا قمت بواجبك خير قيام متعك الله في حياتك .

أيها الإخوة ، الآية الكريمة :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

أيضاً العطف يقتضي التشابه ، يعني كيف أن الشرك ، النهي عن الشرك والأمر بالإحسان للوالدين ، لكن دائماً أحب أن أفرق ، أن الإحسان شيء والطاعة شيء آخر ، وإذا رفضت أمراً لأبيك فينبغي أن ترفضه بلطف ، وبتواضع ، وبابتسامة ، وبرجاء ،

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

فكل عملك مع الأب إحسان ، وكذا مع الأم .

والفرق بين إكرامك لأبيك أو أمك ، وبين إكرام الأب لابنه فرق كبير ، أنت تكرمهما ، وتتمنى في حال المرض العضال أن يخفف عنهما ، أليس كذلك ؟ ولو في قلبك تكرمهما ، لكن في أعماقك تتمنى أن يخفف الله عنهما ، وهناك أبناء غير مهذبين يسمعون هذه الكلمة لآبائهم ، لكن أباك وأمك حينما كانا يكرمانك يتمنون حياتك ، وفرق كبير بين هذا وذاك .

وقد ورد أن صحابياً جليلاً كان يجلس أمام النبي عليه الصلاة والسلام وعنده ابن جميل الصورة ، كان يضعه على كتفيه ، ابنه على كتفيه أمام النبي الكريم ، النبي إنسان عظيم ، أُعجب بهذه المحبة ، فسأله مداعباً : أتحبه ؟ الصحابي الكريم بأعلى درجات الأدب قال : يا رسول الله ، أحبك الله كما أحبه ، أحبه حباً شديداً ، بعد يومين غاب الصحابي عن مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فتفقده ، وسأل عنه ، فقيل له : لقد مات ابنه ، فاستدعاه ، وعزاه ، وقال له : قال يا فلان ، أيهما أحب إليك أن تمتع به عمرك ؟ يعني أن يكبر ، وهو ظلك ، ورفيق حياتك ، ومتفوق بالدراسة ، وبار بك ، ومحسن ، وفهيم ، ونجيب ومعك دائماً إلى أن تغادر الدنيا ؟ أيهما أحب إليك أن تمتع به عمرك ، أو أن يسبقك إلى الجنة ؟ فأيهما أحب إليك ؟ قال : بل الثانية ، قال : هي لك ، أرأيت إلى حكمة النبي عليه الصلاة والسلام كيف عالج هذه الحالة ؟ .

طلبٌ وأمنية :

إذاً :

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

والذي أتمناه عليكم أن ينقلب هذا الدرس إلى سلوك ، أنت حينما تبر أمك وأباك فأنت في أعلى رجات القرب من الله ، لأنهما سبب وجودك ، فالذي كان سبب وجودك ينبغي أن يكون ولاءك لهما .



إذاً بر الآباء والأمهات عمل عظيم ، بل من أرقى الطاعات لله عزوجل ، والقصص الكثيرة التي تروى عن أناس نجحوا نجاحاً باهراً في الدنيا بفضل دعاء والديهم لهم ، والأب لا يملك إلا أن يدعو لك بالتوفيق ، والنصر ، والتأييد ، والقصص مرة ثانية التي تتحدث عن بر الأبناء ، وعن توفيق الله لهم ، وعن حفظهم له لا تعد ولا تحصى .

ورد في بعض الآثار القدسية :

((أن الله U يسأل عبدين من عباده يوم القيامة ، أن يا عبدي ، أعطيتك مالا فماذا صنعت فيه ؟ قال : يا رب ، أنفقته على كل محتاج ومسكين لثقتي أنك خير حافظاً وأنت أرحم الراحمين ، فقال : عبدي أنا الحافظ لأولادك من بعدك ، ولما سأل الثاني قال : يا عبدي ، أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه ؟ قال : لم أنفق منه شيئاً مخافة الفقر على أولادي من بعدي فقال : إن الذي خشيته على أولادك من بعدك قد أنزلته بهم))

[ورد في الأثر]

ما معنى هذا الكلام ؟ حينما يتوهم الابن أن بر أبيه بمعصية الله فهو مخطئ ، وأن الأب حينما يتوهم أن خدمة ابنه بمعصية الله مخطئ الابن

((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-5) : إسعاد الأبوين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

انتبه إلى معنى هذه الآية :

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في رياض الصالحين، من كلام سيد المرسلين، عليه أتم الصلاة والتسليم، وننتقل اليوم إلى باب: بر الوالدين، وصلة الأرحام .

قال تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة النساء الآية: 36]

هناك معنى دقيق في هذه الآية: العبادة لله، والإحسان للوالدين، أما أن يُعبد الوالدان من دون الله، فإذا أمر الوالدان بما يغضب الله عز وجل, فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قالت أم سعد لابنها:

((يا بني إما أن تكفر بمحمد، وإما أن أدع الطعام حتى أموت، فقال يا أمي: لو أن لكِ مئة نفس, فخرجت واحدةً واحدة, ما كفرت محمد، فكلي إن شئت أو لا تأكلي))



يجب أن تفرق بين العبادة والإحسان، الوالدان يجب أن تحسن إليهما، يجب أن تؤثرهما على نفسك، يجب أن تكون في خدمتهما طوال حياتك، هذا هو الإحسان، أما أن تقول لك أمك: طلق امرأتك, وإلا أغضب عليك، لا غضب لها ولا رضا، أما أن يحملك أبوك على كسب مال حرام، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

هذا المفهوم ينبغي أن يكون واضحاً، ولا أتكلم من فراغ، هناك آلاف القصص، وآلاف القضايا تُعرض عليَّ، سببها: أن الأب يجبر ابنه على المعصية، إن لم تظهر زوجتك أمام كل الأقرباء, فلن أعطيك شيئاً .

آباء مسلمون، يصلون في المساجد، يجبرون أبناءهم على الاختلاط، ويربطون رضاهم بالاختلاط، أمهات وقد يكن محجبات, يجبرن أولادهن على ما لا يرضي الله عز وجل, لجهل أو لبعد عن الدين .

المفهوم الساذج: أنه يجب أن أطيع أمي، من قال لك ذلك؟ يجب أن أحسن إلى أمي، الطاعة لله، والإحسان للوالدين .

ما المراد بحرف الباء في كلمة:

﴿وبالوالدين إحساناً﴾

وماذا قال العلماء حول هذه الآية؟ :

أيها الأخوة, الآية واضحة، قال تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة النساء الآية: 36]

هذه الباء باء الإلصاق، أمسكت به، من معاني الباء: أنها للإلصاق، وقد تأتي الباء للسببية، قال تعالى:

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾

[سورة النساء الآية: 160]

بسبب ظلمهم، وقال عز وجل:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾

[سورة آل عمران الآية: 159]

بسبب رحمة من الله لنت لهم، هذه الباء سببية، وعندنا باء الظرفية، مررت بدمشق، هذه الباء ظرفية، هناك باء للإلصاق، أمسكت به، لو فتحنا معاجم اللغة، الفعل أحسن يتعدى بـ, إلى، أحسنت إليه، ليس هناك في اللغة أحسنت به، لكن في القرآن:

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة الإسراء الآية: 23]

أي: إحساناً بالوالدين، فهذا الفعل ورد في كتاب الله على خلاف القاعدة، القاعدة: أحسن إليه، وفي القرآن:

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة الإسراء الآية: 23]

قال العلماء:

((معنى ذلك: أن الإحسان للوالدين ينبغي أن يكون بالذات مباشرة، وكأنك ملصق به))

قد يكون الإنسان مشغولاً، وقد يكون عنده سائق، يقول له: خذ أبي إلى المكان الفلاني، هذا لا يجوز، يجب أن تأخذه أنت، يجب أن تخدمه بذاتك، أو يكلف إنساناً, يسأل عن حاجات أمه فيأتيها بها، قال تعالى:

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة الإسراء الآية: 23]

يجب أن يكون إحسانك إلى والديك بالذات مباشرة، يجب أن تلتصق بهما إذا أحسنت إليهما، السبب: أن الأب والأم أحياناً, يتجاوزان أمور الدنيا، يحتاجان إلى وجودك، إلى مؤانستك، إلى أن تكون معهما، لا إلى أن تقدم لهما كل الحاجات، يتمنى الأب أن يرى ابنه أمامه، وهذا أفضل عنده ألف مرة, من أن يرسل له فاكهة، أبوك يريدك أن تكون أمامه .

هذه هي حضارة العصر ! :

أيها الأخوة, العالم الغربي الآن, يعاني ما يعاني، إنسان مرض يؤخذ إلى مأوى العجزة مباشرة، هذا المتقدم في السن, يسعده أن يكون بين أولاده .



هناك امرأة ثرية جداً، ولها أولاد كثر، أصيبت بالشلل، فالأولاد تبرموا منها بضغط من زوجاتهم، كل واحد منهم رفض أن يستقبلها، فاتفقوا على أن يضعوها في مأوى العجزة.

والآن: هناك مستويات عالية جداً، فندق خمس نجوم، خدمات من أعلى مستوى، غرفة مكيفة، طعام من الدرجة الأولى، نظافة، أناقة، جمال، مبلغ كبير جداً، تقريباً من ثلاثمئة ألف سنوياً، المبلغ فلكي، كل هذا الرفاه لا يعدل أن يكون هذا الإنسان العاجز بين أولاده، فهذه المرأة الثرية, وجدت نفسها في مأوى العجزة، في رفاه عال جداً، طلبت كاتب العدل، وكتبت كل أموالها من دون استثناء للجمعيات الخيرية، وانتقمت من أولادها .

ما الذي يسعد الأبوين؟:

أيها الأخوة, هناك الآن علم اسمه: علم نفس الشيوخ، صار للإنسان المتقدم في السن نفسية خاصة، علم نفس الشيوخ, يبيّن أن هذا الإنسان عنده حساسية بالغة جداً، ما الذي يسعده ؟ أن يكون بين أولاده، فالخدمة من الدرجة العاشرة, وهو في بيت أولاده أفضل عنده من خدمة من الدرجة الأولى, وهو في مأوى العجزة، قد يكون الابن ميسوراً، وجوده عند والديه لا يعدله وجود، فلذلك قال تعالى:

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾

[سورة الإسراء الآية: 23]

التقدم في السن

يقول الإنسان: والله أنا عندي خمسة أولاد في بيتي، يأكلون من رزقي، أنا أربيهم، هم عندي، ولما يكبر في السن تنعكس الآية، أنا أبي عندي، كنتَ أنت عنده، والله عندي ثلاثة أولاد، أربعة أولاد، لما تقدم الابن في السن, صار يقول: أنا عند ابني، من عندك؟ عندي أبي ، والحمد لله، كبر في السن, قال تعالى:

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾

[سورة الإسراء الآية: 23]

إذا كان والد أحدنا شاباً, فهيماً، مثقفاً، يكون إرضاؤه سهلاً جداً، ليس بحاجة إليه بالهاتف والزيارة، يسأل عنه، أما إذا كبر الأب، وتقدمت به السن، وضعفت ملكاته، ويحتاج إلى خدمة عالية المستوى، وإلى تنظيف، وإلى طعام خاص، صار الأب عبئاً، الرضا هنا، قال تعالى:

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾

[سورة الإسراء الآية: 23]

هو كبير، وهو عندك، وما معنى كبير؟ .

ابدأ واعمل قبل أن تصل إليك هذه الأمور السبعة :

أخواننا الكرام، الحديث الذي يقصم الظهر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ, أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، وْالدَّجَّالَ، والدجال شَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، وْالسَّاعَةَ، والسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟))

[أخرجه الترمذي والنسائي في سننهما عن أبي هريرة]



هناك بدوي في شمال جدة، له أرض، فلما توسعت جدة, وصلت إلى أرضه، فباع أرضه عن طريق مكتب عقاري خبيث جداً، اشتراها بربع قيمتها، وأنشأ عليها بناية من اثني عشر طابقاً، هم ثلاثة شركاء، والقصة واقعية، وقعت في جدة، أول شريك وقع من رأس البناء على الأرض، فنزل ميتاً، والشريك الثاني دهسته السيارة، وانتبه الثالث إلى أن موت الشريكين بسبب احتيالهما على صاحب الأرض، فبحث عن صاحب الأرض ستة أشهر حتى عثر عليه ، ونقده ثلاثة أضعاف ما قد أعطاه من قبل, فقال له هذا البدوي: ترى أنت لحقت حالك، كلمة بليغة جداً .

وأنا أحب ذكر هذه القصة، حتى نلحق حالنا نحن، الإنسان ما دام قلبه ينبض، ما دام هناك بقية من الحياة, فإنه يمكنه أن يتدارك نفسه، يقول عليه الصلاة والسلام:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ))

أي أدركوا أنفسكم، فماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟ هذه الدنيا أمامكم، أنتم كلكم واقعيون ، ماذا أمامنا؟ ممكن أن أستيقظ كل يوم كالبارحة على طول؟ مستحيل، لا، في أحد الأيام تجد في نفسك مشكلة، لأن الإنسان لا بد أن يغادر الدنيا، كيف يغادرها؟ بمرض .

عُقد في دمشق مؤتمر أطباء القلب، ثبت أن هناك مورثاً, يحدد طريق موت الإنسان، حينما يولد، أحد المورثات طريقة موته، والله فلان مات، خيراً، ما المرض الذي مات به؟ تشمع كبد، الثاني فشل كلوي، والرابع جلطة في القلب، الخامس خثرة في الدماغ، السادس ورم خبيث في العظام، كل واحد له طريقة, يغادر بها الدنيا، هذا سماه النبي: مرض الموت.

لو كان صاحبه صدِّيقاً, فلا بد أن يموت، يتفاقم، فهل يمكن أن أستيقظ كل يوم كاليوم السابق إلى ما شاء الله؟ مستحيل .

يقول عليه الصلاة والسلام:

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ))

ما الذي ينتظر أحدكم من الدنيا؟ ما الذي أمامك؟ أيّ إنسان شارد, ساهٍ لاهٍ .

هذا ما أشار إليه النبي:

((هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا))

هناك الآن محلات ضخمة جداً، وليس هناك بيع، بقيت تجارة البناء أربح تجارة خلال ستين سنة، قبل سنتين وقفت، بيت دفِع ثمنه خمسة عشر مليون ونصفاً، بيع قبل أيام بخمسة ملايين ونصف، فالذي يحمل أبنية وبيوتاً قرش ونصف، أحياناً: يأتي الفقر فجأة، الوضع صعب، وليس هذا من باب التشاؤم، هناك وضع غريب في العالم، الأموال كلها تجمّع بيد الأقوياء .

في حرب الخليج, انتقل من الشرق إلى الغرب سبعمئة وخمسون ملياراً، كان في أمريكا عجز من خمسين سنة، فترمّم عجزهم، عندهم رواج الآن, يفوق حد الخيال، وعندنا كساد يفوق حد الخيال .

((هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا))

قد يأتي فقر مفاجئ .

هناك أخ من أخواننا قال: كنت وسيطاً في زواج، رجل عنده في المنطقة الحرة معامل ومشاريع، خطب ابنته مهندس راق جداً، صاحب دين، فقابله بكِبر ليس بعده كِبر، قال له: أنت كم معاشك في الشهر؟ قال له: عشرة آلاف، قال: هذا لا يكفي ابنتي يوماً واحداً، اذهب لا حظّ لك عندنا، فصرفه، الله كبير، والرجل راوي القصة من أخواننا، لأن هناك قرابة، فجأة صدر قانون ألغى عمل المناطق الحرة، وكان عليه التزامات بالملايين، هناك تفاصيل ليس هذا مقامها، فجأة افتقر، وصار مكشوفاً، تفاقم الأمر لدرجة أنه سأل الوسيط, وقال له: هذا الذي خطب ابنتي في زمانه، هل تزوج أم لم يتزوج؟ فقال: لم يتزوج، قال: هل تقنعه أن يخطبها مرة ثانية؟ فأقنعه، خطبها مرة ثانية، ووافق، بعد ذلك عمِل العمُّ عند الصهر محاسباً، هذا فقر منسٍ مفاجئ، هناك قصص كثيرة جداً، فمثلما يعطي الله فيدهش، فإنه يأخذ ويدهش .

واللهِ حدثني أخ، قال: كان عندي مئات الملايين، لم يعد معي ثمن رغيف خبز، الله عز وجل رتب له ترتيباً, جعله يتمنى أن يأكل، أُخِذ منه هاتفه .

((هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا, أَوْ غِنًى مُطْغِيًا))

كان بالدخل المعقول مستقيماً، من مسجد إلى مسجد، فلما اغتنى صار من ملهى إلى ملهى، اختلف وضعه، هذا الغنى المطغي أحد المصائب، أحد أكبر المصائب: أن تغتني غنى يحملك على المعصية .

((هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا, أَوْ غِنًى مُطْغِيًا, أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا))

هناك أمراض مفسدة، لا يستطيع صاحبها الأكل، ولا أن يمشي، يعيش معلولاً.

((أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا))

يخرف، يعيد القصة مليون مرة، يكون قد أكل من لحظات، فيأتي الضيف فيقول له: لا يطعمونني، هذا هرم مفند، وهناك مرض مفسد، وغنى مطغٍ، وفقر منسٍ .

((أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا))

نعيه على الجدران، ماذا ينتظر أحدكم من الدنيا؟ الذي لا يريد الله، أعرض عن ذكر الله، أعرض عن العمل الصالح، أعرض عن هذا الدين، ماذا ينتظره؟ أحد السبعة .

أدرك نفسك بهذا الخير :

((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، وْالدَّجَّالَ، والدجال َشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، وْالسَّاعَةَ، والسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟))

[أخرجه الترمذي والنسائي في سننهما عن أبي هريرة]

بادروا: أي أدركوا أنفسكم، مثل ذاك البدوي، قال: ترى أنت لحقت حالك، أدرك نفسك بتوبة، أدرك نفسك بعمل صالح، أدرك نفسك بإنفاق، أدرك نفسك بطلب علم، أدرك نفسك بضبط أمورك، بإقامة الإسلام في بيتك، في عملك، أدرك نفسك بتلاوة القرآن، بتربية أولادك ، أدرك نفسك .

ما المراد بكلمة:



في هذه الآية؟ وما هو الأمر الإلهي الموجه إلينا من خلال هذه الآيات؟

قال تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾

[سورة الإسراء الآية: 23]

ما هو الأفّ؟ الأف زفير، صوت مرتفع، تأفف، التأفف فصاعداً محرم، ماذا يقابل الأف؟ غلق الباب في وجههم بقوة، هذا أقلّ شيء ممكن، وهناك أبناء –والعياذ بالله– يقول لأمه: كل البلاء منكِ، أسأل الله أن يخلّصنا منك، وهناك أبناء يضربون آباءهم، فما دامت كلمة أف محرمة، فما قولك فيما فوق الأف؟

قال بعض العلماء:

((لو أن في اللغة كلمة أقلّ من أف, لذكرها الله عز وجل))

قال تعالى:

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾

[سورة الإسراء الآية: 23-24]



بصراحة: الأم تتمنى حياة ابنها، فإذا كبرت قال: الله يخفف عنها، إذا قالها في قلبه, فلا شيء .

لذلك: لا تجد آية قرآنية, يوصي الله فيها الآباء بأولادهم، لماذا؟ لأن محبة الأولاد فطرة وطبع، هل يمكن أن يصدر مرسوم جمهوري, أنّ على المواطنين تناول طعام الفطور، وإلا فهم تحت طائلة السجن؟ لا داعي، كل الناس جائعون، ولا بد أن يأكلوا، فكل شيء مركب في الفطرة, لا يحتاج إلى قوانين، حب الأبناء مركب في فطرة الإنسان، أيّ أم مسلمة، فاجرة ، فاسقة، منحرفة، تحب ابنها، ولكن ليس كل ابن يحب أباه، لذلك: جاء الأمر ببرّ الآباء، لا ببرّ الأبناء، قال تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾

[سورة لقمان الآية: 14]

سبحان الله! موضوع الجنين، الجنين يحتاج إلى كلس، الأم لا تشرب الحليب، والجنين يأخذ حاجته من الكلس من عظام أمه، فأغلب النساء الحوامل اللواتي لا يأكلن الحليب والجبن بكميات معقولة, يصبن بنخر في أسنانهن، وهشاشة عظامهن، لأن الجنين أخذ حاجته من الكاس من عظام أمه، قال تعالى:

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾

[سورة لقمان الآية: 14]

ورد في بعض الآثار:

((ليعمل العاق ما شاء أن يعمل, فلن يدخل الجنة))

وأنا أنصحك, ألاّ تشارك عاقًّا، لو كان فيه خير, لكان لأمه وأبيه، لا تشاركه، ولا تعامله، هذا عديم الخير .

هذا هو ديننا :

عَن عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

((سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تعالى؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قلت: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ –يا لطيف، بعد الصلاة– قلت: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]

أعظم الأعمال: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، ثم ماذا؟ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثم ماذا؟ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ, مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَبُوكَ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]

لذلك سئل النبي صلى الله عليه وسلم:

((من أعظم النساء حقاً على الرجل في حياتك؛ أمّ ، وأخت، وزوجة، وبنت، وخالة، وعمة؟ أعظم امرأة لها حق عليك أمك، فلما سئل: من أعظم الرجال حقاً على المرأة؟ قال: زوجها))

هذا كلام النبي، أعظم النساء حقاً على الرجل أمه، وأعظم الرجال حقاً على المرأة زوجها .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ:

((أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ, أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنْ اللَّهِ تعالى, قَالَ: هَلْ لك من وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ, بَلْ كِلَاهُمَا, قَالَ: فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنْ اللَّهِ تعالى؟ قَالَ: نَعَمْ, قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

خدمة الوالدين جهاد في سبيل الله .

خاتمة القول :

أيها الأخوة, هذا الدرس عن بر الوالدين، الذي أتمناه أن يُترجم إلى واقع، وإلا فلا قيمة لهذا الدرس إطلاقاً، قل: ألف مليون، هذا كلام، تملّكُ هذا المبلغ شيء، وأن تنطق بهذا الرقم شيء آخر .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-6) : مصاحبة الوالدين بالمعروف

بسم الله الرحمن الرحيم

منح الله الإنسان نعمة الإيجاد و الإمداد :

أيها الأخوة الكرام؛ تمنى عليّ أحد الأخوة الكرام أن أعالج موضوع بر الوالدين، والحقيقة الدقيقة الخطيرة أن الله جلّ جلاله رفع بر الوالدين إلى مستوى عبادته فقال تعالى:

﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلّا تَعبُدوا إِلّا إِيّاهُ وَبِالوالِدَينِ إِحسانًا ﴾

[سورة الإسراء: ٢٣]

من مسلمات علم اللغة أنه لابد من تقارب بين المتعاطفين، أي لا أحد يقول: اشتريت بيتاً ومعلقة، بيتاً ومزرعة، بيتاً وسيارة، لابد من التقارب بين المتعاطفين، فالله جل جلاله رفع بر الوالدين إلى مستوى عبادته فقال تعالى:

﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلّا تَعبُدوا إِلّا إِيّاهُ وَبِالوالِدَينِ إِحسانًا ﴾

[سورة الإسراء: ٢٣]



فلذلك الله عز وجل منحك نعمة الإيجاد، الدليل: كل واحد من الأخوة الكرام له تاريخ ميلاد، لو فتح كتاباً كان قد طبع قبل ولادته، هناك أسماء طبعت الكتاب، أسماء نظمت كلام الكتاب، أين أنت؟ أو من أنت؟ لا شيء، لذلك قال تعالى

﴿هَل أَتى عَلَى الإِنسانِ حينٌ مِنَ الدَّهرِ لَم يَكُن شَيئًا مَذكورًا﴾

[سورة الإنسان: ١]

ليس لك وجود، أنا من عادتي حينما أتصفح أي كتاب أنظر إلى تاريخ طبعه، فإذا كان تاريخ طبع هذا الكتاب قبل ولادتي أقول: أثناء طبع هذا الكتاب من أنا؟ لا شيء، هذا معنى قوله تعالى:

﴿هَل أَتى عَلَى الإِنسانِ حينٌ مِنَ الدَّهرِ لَم يَكُن شَيئًا مَذكورًا﴾

[سورة الإنسان: ١]

فأنت لا شيء، تفضل الله عليك بنعمة الإيجاد، فأنت الآن موجود، وتفضل الله عليك بنعمة الإمداد، أمدك بالوالدين، صدق ولا أبالغ حينما أرى عطف أم على ابنها، مرة زرت مشفى أطفال، ولفت نظري أن المرأة المحجبة تضم ابنها وتبكي، وأن المرأة السافرة تضم ابنها وتبكي، وأن المرأة المثقفة تضم ابنها وتبكي، سبحان الله! أي أم مؤمنة، غير مؤمنة، متفلتة، منضبطة، عاقلة، مثقفة، غير مثقفة، الله عز وجل أودع محبة هذا الطفل في قلب أبويه، وهذه محبة الله، قال تعالى:

﴿ وَأَلْقَيتُ عَلَيكَ مَحَبَّةً مِنّي ﴾

[سورة طه: ٣٩]

لذلك ورد في بعض السير: " أن نبياً كريماً مرّ بأم تخبز على التنور، فكلما وضعت الرغيف في التنور مسكت ابنها الصغير وضمته وشمته، هذا النبي الكريم قال: يا رب ما هذه الرحمة؟ ورد في الآثار القدسية: أن يا عبدي هذه رحمتي وضعتها في قلب أمه، وسأنزعها، فلما نزع الله الرحمة من نفس الأم وبكى ابنها ألقته في التنور وارتاحت منه".

يوجد عندنا بعض الأمثلة من حياة بعض الحيوانات؛ تعطف القطة على أبنائها عطفاً لا مثيل له، لكن في بعض الأحيان تأكل أولادها، فهذه الرحمة أودعها الله في قلب الأم والأب، هي رحمة الله أودعها في قلب أمه:

﴿ وَأَلْقَيتُ عَلَيكَ مَحَبَّةً مِنّي ﴾

[سورة طه: ٣٩]

لولا هذه المحبة التي أودعها الله في قلب الأم والأب، الأم والأب يشقيان في إسعاد ابنهما، يتعبان من أجل راحة ابنهما، يسهران من أجل نوم ابنهما، شيء عجيب، أقسم لك بالله ما من آية في حياتنا أعظم من قلب الأم، قلب الأم الذي يعد من آيات الله الدالة على عظمته، أي أم السافرة تقبل ابنها، والمتفلتة تبكي وتقبل ابنها، والمحجبة تبكي وتقبل ابنها، والمثقفة تبكي وتقبل ابنها، هذه رحمة الله أودعها في قلب الأم والأب.

الإحسان إلى الوالدين شيء و طاعتهما في معصية شيء آخر :

لذلك الآية الدقيقة:

﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلّا تَعبُدوا إِلّا إِيّاهُ وَبِالوالِدَينِ إِحسانًا ﴾

[سورة الإسراء: ٢٣]

الإحسان إلى الوالدين شيء، وأن تطيع أمك وأباك في معصية شيء آخر، سيدنا سعد بن أبي وقاص صحابي جليل، وكان خال رسول الله، فإذا دخل على مجلس النبي كان النبي عليه الصلاة والسلام يداعبه يقول: هذا خالي، وما فضل النبي صلى الله عليه وسلم أحداً إلا سعد بن أبي وقاص في المعركة قال:

((ارم سعد فداك أبي وأمي))

[أخرجه البخاري ومسلم]

ومع ذلك هذا الصحابي الجليل طلبت منه أمه أن يكفر بمحمد، فقال: يا أمي لو أن لك مئة نفس فخرجت واحدة واحدة ما كفرت بمحمد، فكلي إن شئت أو لا تأكلي، القضية قضية مبدأ.

العصور التي مرت بها البشرية ثلاثة :

ذكرت لكم أن البشرية مرت بعصور ثلاثة، مرت بعصر المبادئ، وعصر الأشخاص، وعصر الأشياء، نحن الآن في عصر الأشياء، قيمتك تستمدها من موقع بيتك، قيمتك تستمدها من أثاث بيتك، من موقع البيت ثم من مساحة البيت ثم من أثاث البيت ثم من مركبتك، هناك مارسيدس مئة و ثمانون، ومارسيدس ستمئة، لا تستمدها من المادة فقط بل ومن الرقم جانب الماركة، هذا عنده مارسيدس ستمئة، يستمد المرء قيمته الآن من الأشياء لذلك ورد: " قيمة المرء متاعه".



أما في عصر المبادئ يأت ملك الغساسنة إلى مكة مسلماً يطوف حول البيت، بدوي من قبيلة فزارة خطأ داس طرف ردائه أثناء الطواف فانخلع رداء هذا الملك عن كتفه، فالتفت إلى هذا البدوي الأعرابي الذي هو في المصطلح الحالي من دهماء الناس، من سوقتهم، من سوادهم، ضربه ضربة هشمت أنفه، فالأعرابي ما كان منه إلا أن شكاه إلى عمر، سيدنا عمر استدعى هذا الأعرابي قال له: أرض الفتى لابد من إرضائه مازال ظفرك عالقاً بدمائه، أو يهشمن الآن أنفك، وتنال ما فعلته كفك، صعق، قال: كيف ذلك يا أمير أي هل هذا معقول؟ هو سوقة من عامة الناس، من دهماء الناس، من الطبقة الدنيا، وأنا عرش وتاج، كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً؟ فقال له سيدنا عمر: نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها، ووضعنا فوقها صرحاً جديداً ويتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً،

فقال جبلة: كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز، أنا مرتد إذا أكرهتني، فقال: عنق المرتد بالسيف تحز، عالم نبنيه كل صدع فيه يداوى وأعز العبد بالصعلوك تساوى.

هذا عصر مبادئ، هذا أعظم عصر أي قيمة المرء مبدؤه، قيمة المرء اعتقاده، هذا عصر المبادئ والقيم قد ولى.

جاء بعده عصر الأشخاص، سيدنا صلاح الدين، الأشخاص الكبار الذين قادوا الأمة، أي أن الإنسان يقف أمام سبع و عشرين دولة أوروبية في الحروب الصليبية، حروب الفرنجة، سيدنا صلاح الدين يقف أمام سبع و عشرين دولة أوروبية وينتصر عليها انتصاراً حاسماً، والله التاريخ يروي أشياء صدقوا ولا أبالغ إنها الخيال أما وعد الله فقائم بأي زمان، بأي مكان، قال تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِي الأَرضِ كَمَا استَخلَفَ الَّذينَ مِن قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دينَهُمُ الَّذِي ارتَضى لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعدِ خَوفِهِم أَمنًا﴾

[سورة النور: ٥٥]

هذا الوعد مرة ثانية زوال الكون أهون عند الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، والحقيقة المرة التي أراها أفضل ألف مرة من الوهم المريح.

الحرب العالمية الثالثة المعلنة على الإسلام جهاراً نهاراً :

نحن كأمة إسلامية لا أعني دولة معينة أعني المسلمين في الأرض، نحن كدولة إسلامية لسنا مستخلفين في الأرض، بل نواجه حرباً عالمية ثالثة، كانت تحت الطاولة، والآن فوق الطاولة جهاراً نهاراً، انتخابات الجزائر أفرزت أناساً مسلمين، انتخابات حرة نزيهة ألغيت، في فلسطين انتخابات حرة نزيهة ألغيت، والشيء العجيب الذي لا يصدق أن إنساناً قتل أربعة آلاف شخص في ست ساعات يحاكم شخصاً قتل ثلاثة أشخاص، شيء عجيب، والله شيء غير مستوعب إطلاقاً، أربعة آلاف قتلوا في رابعة، و عشرون ألف جريح، هذا يحاكم شخصاً قتل في عهده ثلاثة أشخاص وليس له علاقة بهم، فلذلك إذا رأيت شحاً مطاعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فالزم بيتك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصتك، ودع عنك أمر العامة، شيء غير مستوعب إطلاقاً ما يجري في العالم اليوم حرب عالمية ثالثة، معلنة جهاراً نهاراً على الإسلام، كما تسمعون وترون لذلك وضعنا وضع نكون أو لا نكون، ليس بوضع نكون بمستوى ونبحث عن مستوى أعلى، نكون أو لا نكون، مرة زارنا رئيس أمريكي لفت نظري في برنامجه زيارة تل أبيب، رام الله، دمشق، وهناك بند رابع يلفت النظر زيارة أسرة الأسير إسرائيلي، ولنا عنده أحد عشر ألفاً و ثمانمئة أسير، لم يخطر في باله أن يختار

أسرة واحدة عربية ليحفظ فقط ماء الوجه فقط، إننا لا نعنيهم إطلاقاً، فما لم نكفر بهم لن نؤمن بالله، قال تعالى:

﴿ فَمَن يَكفُر بِالطّاغوتِ وَيُؤمِن بِاللَّهِ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقى ﴾

[سورة البقرة: ٢٥٦]

ما لم نكفر بهم لن نؤمن بالله.

مصاحبة الوالدين بالمعروف :

أيها الأخوة الكرام؛ جعل الله لنا طرائق، وقد قيل: الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، ضمن بيتك يوجد ألف طريق إلى الله، بر الوالدين أحد هذه الطرق، خدمة الوالدين، إكرام الوالدين، العناية بالوالدين، طلب رضا الوالدين، هذه كلها طرق إلى الله إلا أنه:

﴿وَإِن جاهَداكَ عَلى أَن تُشرِكَ بي ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ فَلا تُطِعهُما ﴾

[سورة لقمان: ١٥]



لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق:

﴿ وَصاحِبهُما فِي الدُّنيا مَعروفًا وَاتَّبِع سَبيلَ مَن أَنابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ ﴾

[سورة لقمان: ١٥]

فلا بد من المصاحبة بالمعروف، تبدأ من التلطف، العلماء قالوا: لو أنه يوجد كلمة أقل من أف لقالها الله، و لكن لا يوجد:

﴿ فَلا تَقُل لَهُما أُفٍّ وَلا تَنهَرهُما ﴾

[سورة الإسراء: ٢٣]

حتى في بعض الأحاديث، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ما بر والديه من شدّ النظر إليهما))

[الثقات لابن حبان عن سفيان الثوري]

لم يتكلم بحرف فقط نظر، شدّ نظره إلى والديه، أو خبط الباب، هذا عقوق، طلب منك حاجة، مثل دقيق لو أن إنساناً تأخر للساعة الواحدة ليلاً، وأمه تعاني من ألم في رأسها طلبت منه دواء لتسكين الألم، قال لها: الآن أغلقت الصيدليات، قالت له: شكراً، لكنه يعلم أن هناك صيدلية مناوبة بكل مدينة، لم يقل لها وهي لم تتكلم، أما لو أنه خرج من البيت وبحث بكل الصيدليات المناوبة ولم يجد هذا الدواء ورجع، في الحالتين الأم لم تأخذ الدواء، أديت الذي عليك، لذلك قالوا: أدّ الذي عليك واطلب من الله الذي لك. فلذلك أيها الأخوة؛

((ما بر والديه من شد النظره إليهما))

برّ الوالدين سبيل دخول الجنة :

الحديث عن بر والوادين حديث طويل، إلا أن الشيء الذي أعرفه يقيناً من خلال علاقاتي الاجتماعية لا يوجد شاب بار لوالديه إلا كان موفقاً في عمله بشكل لا حدود له، أعرف والله أخوين من أم وأب، أخوان شقيقان، هناك أخ لأب وأخ لأم وهناك أخ شقيق، أعرف أخوين شقيقين الواحد يأتيه الرزق من دون حساب، والثاني لا يكاد يكفيه دخله، يضطر كل شهر أن يستدين، الأول كان باراً بوالديه والثاني كان عكس ذلك، فلذلك بر الوالدين سبيل إلى دخول الجنة، والله عز وجل كما يقال دائماً جعل الله الجنة تحت أقدام الأبوين.

برّ الوالدين أحد أكبر إيجابيات هذا الدين العظيم :

إلا أنه يوجد شيء دقيق؛ إنسان عنده بر الوالدين بلا حدود، لكن سوى ذلك هو متفلت، هذا بر الوالدين لا يلغي معاقبة الله له، هناك شخص هذا الموضوع مقتنع به تماماً، عنده بر الوالدين بلا حدود، لكن في الشأن الآخر هو إنسان متفلت، يبحث عن ملذاته وشهواته، منضبطة أو غير منضبطة موضوع آخر، فهذا الذي يكتفي ببر والديه ولا يستقيم على أمر الله قد لا يمنعه هذا البر من معاقبة الله له، لكن إرضاء الأب والأم هذه القضية ليست سهلة إذا الشخص كان غنياً، حتى من بعض ملاحظاتي لو أن الأب طلب حاجة من ابنه، يوجد شخص غني عنده موظفون كثر يقول: خذ هذه الفواكه لوالدي، ليس هذا هو البر، البر أن تذهب إليهما بنفسك، وأن تقدم هذا الطلب بنفسك لوالديك، أما إذا كان عندك سائق، او موظفون كثر، ممكن أن تكلف شخصاً خذ هذه الحاجة إلى أمي وبلغها سلامي، يجب أن تذهب إليها.

يمكن لن تصدقوا لي صديق ذهب إلى ألمانيا، إلى معرض صناعي، هو صناعي لا يوجد فندق واحد فيه غرفة فارغة، إلى أن وصل إلى بيت فيه غرفة، لكن يوجد في هذا البيت نباتات تفوق حدّ الخيال، هذه المرأة صاحبة البيت تعتني بالنباتات طوال العام رجاء أن يتفضل عليها ابنها وأن يزورها في العام مرة، في هذا العام لم يأت ابنها، فبكت بكاء مراً، أنا أتصور وضع الشرق في بلادنا أي إذا لم تزر أمك يومياً عندك مشكلة، بين أن تزورها يومياً وبين أن تبخل عليها بلقاء في العام كله، فلذلك بر الوالدين أحد أكبر إيجابيات هذا الدين العظيم.


بر الوالدين أحد أكبر إيجابيات هذا الدين العظيم

فلذلك عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: بينا نحن جلوسٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاءه رجُل من بني سَلِمة، فقال: يا رسول الله:

((هل بَقِيَ من برّ أبَوَيَّ شَيءٌ أبَرَّهُما بعد موتهما؟ فقال : نعم، الصلاةُ عليهما، والاستغفار لهما، وإنْفَاذُ عهدهما من بعدهما))

قال: يا بني عينك على أختك؛ عنده ثلاث أخوات؛ اثنتان متزوجات والثالثة لم تتزوج، قال له: عينك على أختك .

((وصِلَةَ الرَّحِمِ التي لا تُوصَلُ إلا بهما، وإكرامُ صديقهما))

[أخرجه أبو داود]

فهذا الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما، أن تدعو لهما، أن تصلي عليهما، أن تصل الرحم التي لم يكن لها صلة إلا بهما، وأن تنفذ عهدهما، فهذا الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما.

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق :

أنا أقول: بر الوالدين أوسع باب ندخل به على الله، وأقرب طريق إلى الله، والذي عنده أب وأم ينتبه، وأنا ألاحظ الذي يبكي على أمه كثيراً كثيراً لعل هذا البكاء يعكس تقصيره في حياتها، لذلك ورد في بعض الآثار: "أن يا عبدي ماتت الذي كنا نكرمك لأجلها فاعمل صالحاً نكرمك لأجلك" فالأم لها دور كبير، أما إذا أمرتك بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، مرة قال لي أخ: أبي أمرني أن أطلق زوجتي، قلت له: كيف

حال زوجتك؟ قال: والله ممتازة، و صاحبة دين، ومحجبة، وتخدمني ليلاً نهاراً إلا أن أبي لا يحبها، قلت له: لا تطلقها، قال: ألم يأمر عمر ابنه أن يطلق زوجته وطلقها؟ قلت له: أبوك عمر؟ قال: لا، قلت: إذاً انتهى الأمر، إذا كان أبوك عمر لا يوجد مانع لكن أباك ليس عمر، عمر عنده أهداف بعيدة:

((ما بر والديه من شدّ النظر إليهما))

[الثقات لابن حبان عن سفيان الثوري]



الآن ضرب الباب من نفس النوع، لذلك العلماء قالوا: لو أن في اللغة كلها كلمة أقل من أف لذكرها الله:

﴿ فَلا تَقُل لَهُما أُفٍّ ﴾

[سورة الإسراء: ٢٣]

ما معنى أف؟ زفير بصوت مرتفع فقط:

((ما بر والديه من شدّ النظر إليهما))

[الثقات لابن حبان عن سفيان الثوري]

فمن كان له والدان على قيد الحياة فليغتنم هذه الفرصة، وليبالغ في إكرامهما إلا في معصية، حتى لو الأمر في معصية فلا تقل لهما أف:

﴿وَإِن جاهَداكَ عَلى أَن تُشرِكَ بي ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ فَلا تُطِعهُما ﴾

[سورة لقمان : 15]

ولكن:

﴿ وَصاحِبهُما فِي الدُّنيا مَعروفًا ﴾

[سورة لقمان : 15]

أتمنى أن أنفذ طلبك يا أمي، ولكن إن كان هذا خلاف الدين فلا، لذلك:

((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))

[الطبراني في المعجم الكبير والطبراني في المعجم الأوسط والإمام أحمد في مسنده]

هذا هو الدين العظيم الذي أكرمنا الله تعالى به.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : الحقوق المتبادلة بين الأبناء والآباء

الدرس (3−1) : مفهوم الحقوق بين الأبناء والآباء

الدرس (3-1) : مفهوم الحقوق بين الأبناء والآباء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

[سورة الإسراء: 23-24]

هكذا صدر الأمر الإلهي من الله سبحانه وتعالى في قرآن يتلى إلى يوم الدين إلى الأبناء، بالإحسان إلى أبويهما، بالإحسان إلى الأب والأم، لماذا؟ لأنهما ربوهم وهم صغار، فكيف يعامل الآباء الأبناء إذا فهمنا أن الآباء قد يعقون أبناءهم؟ كيف يكون هذا العقوق؟ وهل يعق الآباء أبناءهم؟ أم أن الأبناء هم الذين يعقون الآباء والأمهات؟ كيف نترجم هذا العقوق؟ وكيف نحاول إصلاح هذا العقوق من خلال الشرع الرباني؟ وكيف نقوم من سلوكياتنا وشريعتنا نحن والعرف الاجتماعي الذي جبلنا عليه؟ وكيف يتوافق الآباء والأمهات مع تعليم الله سبحانه وتعالى؟ وهل لهذا العقوق من الآباء للأبناء صور من القديم أو من الحديث؟

ما قصة الرجل الذي اشتكى لسيدنا عمر بن الخطاب أن ابنه يعقه، فقال له سيدنا عمر: عققته قبل أن يعقك، كيف عق الرجل ولده؟ وكيف أصدر عمر بن الخطاب هذا المنهج ليجد لنا في الحياة منهجاً من برنامج:" ديناً قيماً"، مشاهدينا الكرام حلقة جديدة في برنامج:" ديناً قيماً " عقوق الآباء.

مشاهدينا الكرام نحييكم بتحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهلاً بكم معنا إلى حلقة جديدة في برنامج:" ديناً قيماً " نرحب بحضراتكم، ونرحب بضيفينا الكريمين العالمين الجليلين السبتين العدلين أصحاب المعالي والفضيلة، فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عمر عبد الكافي، وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي، مرحباً شيخنا.

الدكتور عمر :

مرحباً، أهلاً وسهلاً.

الدكتور راتب :

بارك الله بكم، ونفع بكم.

المذيع:

وفيك بارك، فضيلة الإمام قلت في الحلقة المنصرمة عقوق الآباء للأبناء، اتهمت نفسي بالسماع خطأ لكن استمعت الحقيقة ماذا تقصد بهذا المصطلح؟

توضيح مصطلح عقوق الآباء للأبناء :

الدكتور عمر :

حمداً لله وصلاة وسلاماً على رسولك، درج الناس أن يستمع الواحد منا إلى العلماء الأجلاء والدعاة الفضلاء في قضية بر الوالدين، وهذا شيء جميل، ولكن يبدو أطلنا الحوار أو الحديث عن حقوق، وما تحدثنا عن واجبات، والدين حقوق وواجبات، فإذا كان للأب والأم حقوق فإن عليهم واجبات، في هذه الحلقة مع شيخنا الجليل أن نتكامل ونتواصل في قضية هل يعق الأب أولاده؟ وهل تعق الأم أولادها وبناتها؟ هذا منطق مهم جداً.

المذيع:



سؤال مطروح توافق فضيلة الشيخ الدكتور محمد على هذا؟

الدكتور راتب :

أوافق نعم.

المذيع:

ورد في آية في القرآن الكريم: ووصينا الإنسان بولديه، قال تعالى:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

[سورة الإسراء: 23]

إلى آخر هذه الآيات والأحاديث، كيف نفهم عقوق الآباء؟

الدكتور راتب :

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

[أبو داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

يطعمه، يسقيه، يشتري له الثياب، يضعه في أحسن المدارس، لكن لا يهتم بدينه، ولا بإيمانه، ضيعه، فالبطولة أن تهتم بالإيمان، أي يدخل الأب مساءً هل كتب الأولاد؟

المذيع:

عذراً على المقاطعة، الضياع هنا عدم تعليم تعاليم الدين؟

الدكتور راتب :

طبعاً.

المذيع:

أنا أكلت أفضل الطعام، وسكنت في أفضل البيوت، ولبست أفضل الثياب.

أنواع القراءات و الغاية منها :

الدكتور راتب :

ماذا قال الله عز وجل؟

﴿ اقْرَأْ ﴾

[سورة العلق: 1]

أول كلمة لأول آية في أول سورة اقرأ، ما معنى اقرأ؟

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾

[سورة العلق: 1]

تعلم كي تؤمن.

المذيع:

علمه في الفرير، أفضل المدارس.

الدكتور راتب :



تعلم كي تؤمن، القراءة الأولى قراءة البحث والإيمان، وهناك قراءة الطغيان لا سمح الله، وقراءة الوحي والإذعان، وقراءة الشكر والعرفان، أربع قراءات، قال تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

[سورة العلق: 1]

قراءة بحث وإيمان، تعلم من أجل أن تؤمن، من أجل ان تعرف علة وجودك، وغاية وجودك، ثم تعلم أيضاً من أجل أن تشكر خالقك على نعم ثلاث، نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والرشاد، أول قراءة بحث وإيمان، الثانية شكر وعرفان، الثالثة وحي وإذعان، هناك منهج إلهي، خالق السموات له منهج، أما الطرف الآخر فعدوان وطغيان، القنبلة الانشطارية والعنقودية والحارقة الخارقة هذا كله شيء آخر.

المذيع:

شيخنا الدكتور عمر، باع كبير في مسألة التاريخ وتراثه عن رجل عق أبناءه، هل تتحفنا بهذا.

قصص عديدة عن عقوق الأب لأبنائه :

الدكتور عمر :

القصص كثيرة من هذا النوع حتى يقال في الطرائف إن رجلاً كبيراً في السن حتى صار في السبعين تزوج وأنجب، قالوا: عجباً ما الذي أخرك عن الزواج والإنجاب؟ قال: أعاجله باليتم قبل أن يعالجني بالعقوق. الولد يحصل على لقب يتيم أحسن من أن يكون عاقاً.

عمر رضي الله عنه وضع نقطة فوق حرف في التربية عندما جاءه من يشكو أباه، لأن أباه قد تزوج أمة يعير بها أمام أصحابه، ما حفظه القرآن، سماه جعراناً، والجعران هو نوع من الخنافس، الولد يستحي من اسمه، هنا قال عمر: عققت ولدك قبل أن يعقك، المسألة أصبحت معكوسة، هذا أمر، الأمر الثاني الآباء والأمهات نوعان، نوع يعتبر أن عنده كياناً إنسانياً يجب أن ينتج منه إنتاجاً صالحاً، ويترحم الناس عليه، ويقولون: رحم الله فلاناً، رحم الله فلانة، وتترحم زوجة الابن على والد زوجها، وتترحم زوجة الابن على أم

زوجها، بارك الله فيكما، نعم أحسنتما التربية، وفيهم من يدعو، هنا هذا المنتج، هل أضفت بصمة إنسانية تضاف إلى تاريخ البصمات؟ هذا أمر، النوع الثاني يعتبر أن عنده معذرة عاهة، هذه العاهة تضاف إلى العاهات، ويضاف الصفر إلى الأصفار، وسبحان الله العظيم يخرج لنا إنساناً معاقاً سلوكياً، معاقاً سلوكياً، والله ليست الإعاقة في فقد نظر، لا، لا ، سبحان الله هذا ابتلاء، لكن الإعاقة الحقيقية إعاقة تربية، هل يخرجون لنا سبحان الله معلماً أم بنوا مدرسة للتربية؟ كما أنت ذكرت فضيلة الشيخ أنا وضعته بأفضل مدرسة، وعلمته أحسن تعليم، هذا من باب ألف باء من الأول، لكن هو ما ربى، لم يحسن التربية، لماذا؟ لأن نتيجة هذه التربية يثني على الإنسان جيرانه في الحضر، ورفقاؤه في السفر، ومعاملوه في الأسواق، هل أثنى الأساتذة في المدارس على أبنائنا أدباً وعرفاناً؟ هل شعروا سبحان الله لما سلمنا البنت إلى زوجها هل سجد لله شاكراً؟ قال: الحمد لله الذي نشأت في هذا البيت؟ الذي تربت أحسن تربية؟ أحد الصالحين عبد الله بن زيد من التابعين لما تزوج وقفت العروس في أول لحظة على مصطبة عالية في البيت قالت: يا أبا عبد الله أريد ان أخطب فيك خطبة، ليلة العرس، أنا لا أعرفك وأنت لا تعرفني فخبرني بالله عليك ماذا تحب من الأمور حتى آتيه؟ وما تكره حتى أجتنبه؟ المهم بعد عام كاملة يقول أبو عبد الله: رأيت امرأة عجوز في بيتي، قلت: من هذه؟ قالت: أنا أمها – أي حماته– بعد سنة وليس الساعة السابعة في اليوم الثاني، قالت: يا أبا عبد الله هل أحسنا التربية فنسجد لله شاكرين أم أسأنا التربية تعطينا إياها كي نكمل التربية؟ أما أنا فأسلم عاهة إلى عاهة، ماذا تكون النتيجة؟

المذيع:

سيئة بالفعل، فضيلة الشيخ محمد راتب بارك الله بك، حتى نكون في التقارب وكل يعرف ما له وما عليه، ما حقوق الآباء على الأبناء وواجبات الأبناء تجاه الآباء، كيف حددها الشرع الحنيف؟

حقوق الآباء على الأبناء :

الدكتور راتب :

أولاً: هناك مقولة نحتاجها في هذا اللقاء الطيب، لاعب ولدك سبعاً، وأدبه سبعاً، وراقبه سبعاً، ثم اترك حبله على غاربه، هناك مرحلة لا بد من الملاعبة، لاعب ولدك سبعاً، وأدبه سبعاً، وراقبه سبعاً، مرحلة المراهقة إن عاقبته يوجد مشكلة، إن أهملته يوجد مشكلة، راقبه سبعاً.

الدكتور عمر :

أو صادقه.

الدكتور راتب :

إذا كبر ابنك خاويه، فلاعبه وأدبه وراقبه، الإنسان عندما يسلك هذا الطريق الصحيح يسلم من عقوق الأبناء، هذه كلمة دقيقة جداً، فلذلك قال تعالى:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

[سورة الإسراء: 23]



لاعب ولدك سبعاً وأدبه سبعاً وراقبه سبعاً

دقق هل يمكن أن نعطف شراء مزرعة على ملعقة؟ من لوازم العطف التماثل، الله عز وجل رفع بر الوالدين إلى مستوى عبادته، وبالوالدين هذه باء الإلصاق، ممكن أن تقول للسائق: خذ هذه الفاكهة لأبي، الأصل أن تزوره أنت بنفسك الإلصاق، الحقيقة بر الوالدين أحد أكبر العبادات تأتي إلى جانب العبادة لله عز وجل، الله هو الخالق، وكان الأب والأم سبب وجودك.

المذيع:

هذا من حقوق الآباء على الأبناء، واجبات الأبناء تجاه الآباء؟

واجبات الأبناء تجاه الآباء :

الدكتور عمر :

أولاً: الآباء يجب أن يعين أحدهما أو كلاهما أبناءهم على برهم، أي لا ينفع أن أعطي الولد أوامر ونواه أن يبرني وأن يطيعني، من واجب الأب والأم أن يكون عندهم شيء يسمى الذكاء الاجتماعي، الذكاء العاطفي، الرسول صلى الله عليه وسلم أعلى قيمة الذكاء العاطفي في البيئة التي كانت لا تعرف العاطفة، كيف؟ أنا عندما أريد أن آمر ابني أو ابنتي أمراً، الأب والأم يتفقدون ماذا يعني يتفقدون؟ يجعل بينه وبين ابنه وابنته مسافة كي لا يقال له: لا، عند القطع أتوقف وأنظر، وأقرأِ الوجه، هذا ذكاء الأب والأم، لماذا؟ أعين ابني كي يقول لي: نعم، لم يستطع أن يقول لي: نعم، أسكت، أنا هنا أتنازل عن جزء من حقوقي، هذا في الفقه الإسلامي الذي هو يدور حول ماذا؟ حول الاعتساف في طلب الحق، أنت من أجل أنك أب تأمر وتنهى في كل وقت، لا ينفع، من أجل أنك أب تملي إرادتك، الولد لا يحب عمه، يأتينا بعض الناس يقول: أنا لا أحب زوجة ابني، أحب طلاقها، لماذا يا عم؟ يقول: أنا لا أحبها، عدم حبك لها لا يبيح لك أن تطلب من ابنك تطليقها، يقول: أبو بكر أمر ابنه أن يطلق، عندما تصل إلى درجة أبي بكر سوف نطلق زوجة ابنك، أنت وصلت إلى أبي بكر قائد السيارة وليس إلى أبي بكر الصديق، فالقضية حق الابن على أبيه سبحان الله أنا أرى والله أعلم هل يتجرأ أحد المشاهدين والمشاهدات الآن ويقول: ابني عمره أربع سنوات أو خمس سنوات سوف أفرغه أو سأفرغ ابنتي لحفظ القرآن قبل أن تدخل الدراسة، والله سوف يتفوق هذا الولد أو هذه البنت على أقرانهما إذا التحق بالدراسة ولو تأخر عنهما سبحان الله كمثال.

المذيع:

الوقت معكم يمر سريعاً، أصحاب الفضيلة فضيلة الدكتور محمد راتب بارك الله بك، في القرآن الكريم:

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

[سورة الإسراء: 23-24]

الربط بين التربية في الصغر وبين عدم أن نقول لهما أف كيف نفهم هذه العلاقة؟

الربط بين التربية في الصغر وبين عدم أن نقول لهما أف :

الدكتور راتب :

بل لو أن في اللغة كلمة أقل من أف لذكرها الله، لذلك العلماء حملوا على كلمة أف ما برّ أباه من شدّ نظره إليه.

الدكتور عمر :

أي ينظر إليه شذراً.

للابن حق على أبيه أن يحسن اختيار أمه :

الدكتور راتب :

يحمل على هذه الكلمة مئات الحالات، هذا من بر الوالدين، لذلك أقول كلمة دقيقة: للأبناء حق على الآباء، هذا الحق قبل أن يولدوا أن يحسن الأب اختيار أمهم.

الدكتور عمر :



والعكس كذلك الأم.

الدكتور راتب :

أن يحسن الأب اختيار أمهم، فإذا لم يحسن اختيار الأم.

المذيع:

تخيروا لنطفكم.

الطبع و التكليف :

الدكتور راتب :

النقطة الدقيقة عندنا طبع وتكليف، محبة الآباء للأبناء طبع، لا يوجد آية تلزم الأب أن يطعم أولاده .



لكن هناك آيات كثيرة في بر الوالدين، يوجد فرق بين الطبع والتكليف، لا يوجد أمر لأي جهة حكومية أن تلزم المواطنين بتناول طعام الإفطار، هذا طبع، لكن هناك أشياء كثيرة فيها إلزام.

المذيع:

هذا طبع وهذا تكليف.

الدكتور راتب :

لذلك الطبع:

((يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ))

[أحمد عن أبي أمامة]

المذيع:

لكن التكليف قدر من الله للأبناء بالإحسان إلى الآباء هذا تكليف.

الدكتور راتب :

إحسان الأب للابن طبع، وإحسان الابن للأب تكليف، الإنسان عندما يتزوج هواه مع زوجته، وأمه عبء عليه، يوجد أمر أن يعتني بأمه، هذا تكليف، أما الأم فعنايتها بابنها طبع، ادخل إلى مستشفى المحجبة تبكي لأجل ابنها، السافرة كذلك، وأي امرأة، هذا شيء أودع في نفوسنا، أكاد أقول: الأجر ما كان طبعاً أقل مما كان تكليفاً.

المذيع:

في عجالة هل عقّ جريج أمه حتى يصيبه ما أصابه؟

ضرورة الإنصات للأبناء و الاهتمام بهم :

الدكتور عمر :

جريج فهم نصاً معيناً وتوقف عنده، انظر مازلت أؤكد نعين أبناءنا على برنا، قال تعالى:

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾

[سورة يوسف: 4]



لو قالت الآية: إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر لي ساجدين، لكانت الجملة صحيحة، الرؤيا مكررة مرتين، إني رأيت، رأيتهم، من شدة إنصات يعقوب لولده واهتمامه به، نحن نستمع لأبنائنا لا ننصت لأبنائنا، هو أنصت، فلما أنصت سأل عن كيفية الرؤيا، قال تعالى:

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾

[سورة يوسف: 4]

كأنما يعقوب من شدة إنصاته يسأل كيف رأيتهم يا يوسف؟

﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾

[سورة يوسف: 4]

هذا تناغم هرموني ما بين الأب وابنه، هذا الأب عندما يقول لولده كذا سوف يطيعه، لأنه عمل أرضية، نحن نجيد الاستماع لأبنائنا ولكن لا نجيد الإنصات، وهناك طرفة سريعة، يا أبت ما اسم الحفرة التي أمام بيتنا؟ قال: أشاهد مباراة كرة قدم اذهبي واسألي أخاك، ذهبت لأخيها وهو جالس على الكومبيوتر، ما اسم الحفر؟ قال: اسألي أختك، ذهبت للأخت اسألي أمك، قالت: أنا أطبخ، ذهبت لأختها الصغيرة، الحفرة اسمها بئر، قالت: أخي الصغير حبا ووقع في البئر. والكل مشغول.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : حقوق الآباء عى الأبناء

الدرس (4-1) : أهمية بر الوالدين

الدرس (4-2) : حدود طاعة الوالدين

الدرس (4-3) : بر الوالدين عند الكبر

الدرس (4-4) : صلة أصدقائهم بعد وفاتهم

الدرس (4-1) : أهمية بر الوالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الدرس:

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة المؤمنون... لا زلنا في الحديث النبوي الشريف، ولا زلنا في موضوع الحقوق والواجبات، وقد مضى درسان أو أكثر في الحديث عن حقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها، واليوم ننتقل إلى حقوق الآباء على الأبناء، ومن ثَمَّ . إن شاء الله تعالى . نتحدث عن حقوق الأبناء على الآباء.

مفهوم العدل والإحسان:

الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(سورة النحل: آية 90)

العدل قسري، والإحسان طوعي:

أي أن أداء الحقوق لا بدَّ من أن تفعله، أيها المؤمن، أما أن تحسن، فهذا بحسب رغبتك وإمكاناتك وطموحك في القرب من الله عزَّ وجل، فالحديث في الحقوق والواجبات لا يتعلّق بما هو طوعي، بل يتعلق بما هو قسري، إلا أن المؤمن مأمور بالإحسان كما هو مأمور بالعدل. أضرب على هذا مثلاً للتوضيح: لو أنك بعت بضاعةً وكان البيع وفق الشرع تماماً، وتمَّ الإيجاب والقبول، وعُلِم الثمن، وعُلِمت حالة البضاعة، وقبضتَ الثمن، وسلَّمتَ البضاعة، وكان الرضا، وكان الشهود.. هذا بيعٌ شرعي، بيعٌ ملزم، فلو أن أحد الطرفين امتنع عن دفع بقية الثمن، ورفع الآخر أمره إلى القاضي، فالقاضي يلزم الممتنع.. هذا هو العدل.


إن الله يأمر بالعدل

لكن هذا الشاري إذا جاءك، ورجاك أن تلغي له هذه الصفقة، وبين لك العذر، وأنت تستطيع أن تفعل هذا من دون أن تصاب بالضرر، وفعلت هذا، فهذا من قبيل الإحسان.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(سورة النحل: آية 90)

لذلك: فالقضايا فيما بين الناس، إن لم تحلَّ وفق قواعد العدل ؛ حلَّت وفق قواعد الإحسان، ولا سيما بين الزوجين، بين الجارين، بين الأخوين، بين الشريكين، إما أن تُحَكِّم قواعد العدل، وأنعم بها من قواعد، وإما أن تحكِّم قواعد الإحسان، وهي تتسع لما ضاقت عنه قواعد العدل، فهذه الآية لو طبقها الناس لأغلق قصر العدل أبوابه:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

(سورة النحل: آية 90)

إذاً:إذا ضاق العدل اتسع الإحسان، والعدل قسري، والإحسان طوعي.

العدل وأداء الحقوق:

درس اليوم والدروس التي سبقته، والدروس التي تلحقه إن شاء الله تعالى، كلها متعلّقةٌ بالعدل وأداء الحقوق، ولا بدَّ من أداء الحقوق، والنبي عليه الصلاة والسلام في الحديث المروي عن عمرو بن خارجة قال: خطب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال:

((إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، أَلا لا وصية لوارث))

حديث حسن، أخرجه الترمذي والنسائي

ولن يكون الطريق إلى الله سالكاً إلا إذا أعطيت كلَّ ذي حقٍ حقه، لن تشعر أن الله راضٍ عنك إلا إذا أعطيت كلَّ ذي حقٍ حقه، فالزوجة لها حق، والأم لها حق، والأخ له حق، والأخت لها حق، والابن له حق، والبنت لها حق، والجار له حق، وكلُّ من يتصل بك له حق، وإن الله ليسأل العبد عن صحبة ساعة.

حقوق الآباء على الأبناء:

أيها الإخوة الكرام... الدرس في الحديث الشريف، ولكن الموضوع متعلّقٌ بحقوق الآباء على الأبناء، ومادام في القرآن آيةٌ كريمةٌ تتعلَّق بحقوق الآباء على الأبناء، فلا بدَّ من أن تقدم هذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

(سورة الإسراء: آية23)

معاني كلمة (قضى) في القرآن الكريم:

ما معنى " قضى " ؟

كلمة " قضى " تنقلنا إلى موضوع دقيق، وهو أن الكلمة . في القرآن الكريم . قد ترد بمعاني كثيرة، والسياق وحده يحددها، فمثلاً:

قال تعالى:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

(سورة الإسراء: آية23)

أي: (أمَرَ)، كلمة قضى في هذه الآية تعني أنه أمرَ، أي أن الله سبحانه وتعالى أمرَ المؤمن.. أمر الإنسان ألا يعبد إلا الله وبالوالدين إحساناً.

آيةٌ ثانية:

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾

(سورة فصلت: آية 12)

معنى قضاهن، أي: (خلقهن).

قال تعالى:

﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾

(آية 72 سورة طه)

حينما خاطب السحرة فرعون، أي بمعنى: (احكم بأي حكم).

﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾

(سورة يوسف، آية 41)

أي: (فرغنا منه).

﴿ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

(آية 35 سورة مريم)

هنا بمعنى: (أراد).

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

(آية 44 سورة القصص)

يعني: (إذ عهدنا) .

كلمة (قضى) تأتي مرةً بمعنى أمر، ومرة بمعنى خَلَق، ومرة بمعنى حكم، ومرة بمعنى فرغ، ومرة بمعنى أراد، ومرة بمعنى عَهِدَ..

إذاً: من السذاجة أن تظن أن الكلمة القرآنية لها معنىً واحد، فحيث ما جاءت أخذتْ هذا المعنى الواحد، فالقرآن واسع البيان، وسياق كل آية هو الذي يحدد معناها.

عطف الشيء على الشيء في القرآن الكريم:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

(سورة الإسراء: آية23)

في الآية دقة بالغة، أنا ماذا أقول حينما أعطف شيئاً على شيء ؟ أقول: اشتريت أرضاً وبيتاً، اشتريت مركبةً فخمةً ومركباً في البحر، اشتريت كتاباً ثميناً ومجلداً، لكن ليس من طبيعة العرب أن يعطفوا شيئين متفاوتين، هل يعقل أن تقول: اشتريت أرضاً وملعقةً ؟ هذا غير مألوف، اشتريت بيتاً فخماً ودفعت ثمنه مبلغاً طائلاً واشتريت معه سكيناً، لا يوجد تناسب.. فلمجرد أن الله سبحانه وتعالى عطف الإحسان للوالدين على عبادة الله عزَّ وجل، فالإحسان للوالدين شيءٌ عظيمٌ عظيمٌ عظيم، قَرَنَه الله عزَّ وجل بعبادته:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانا ﴾

(سورة الإسراء: آية23)

آيةٌ ثانية، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾

(آية 5 سورة محمد)

صلاح البال، راحة البال، الطُمأنينة، الرضا، الاستسلام لله عزَّ وجل..

بيتٌ ليس فيه مشكلات، ليس فيه منغِّصات، فيه سلم، فيه مودة، فيه محبة، صلاح البال رفعه الله إلى مستوى الهدى:

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾

(آية 5 سورة محمد)

العطف يقتضي التناسب، لمجرد أن الله سبحانه وتعالى، عطف الإحسان إلى الوالدين، على عبادة الله عزَّ وجل، معنى ذلك أن الإحسان إلى الوالدين شيءٌ عظيمٌ عظيمٌ عظيم، يرتقي إلى مستوى عبادة الله عزَّ وجل.

شيءٌ آخر:

في حقوق الآباء على الأبناء، في آيةٍ ثانية، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

(آية 14 سورة لقمان)

دائماً الأحكام تحتاج إلى ثبات، والثبات أساسه التكرار، لو أن الله سبحانه وتعالى في آيةٍ واحدة قرن الإحسان إلى الوالدين بعبادة الله عزَّ وجل، هذه آيةٌ، لكن لا نعلم ما إذا كانت قاعدة، فحينما تأتي آيةٌ ثانية تَقْرِن ضرورة شكر الله عزَّ وجل بضرورة شكر الوالدين إذاً يستنبط من تكرار هذا المعنى أن هناك قاعدةً ثابتة ألا وهي أن برَّ الوالدين شيءٌ يرقى إلى مستوى عبادة الله عزَّ وجل:

﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

(آية 14 سورة لقمان)

وفي صحيح البخاري:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم:

أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله تعالى ؟ قال:

((الصلاة لميقاتها، قلتُ: ثم أيُّ ؟ قال: بِرُّ الوالدين، قلتُ: ثم أيُّ ؟ قال: الجهاد في سبيل الله))

من حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي

فأحب الأعمال إلى الله: الصَّلاة على وقتها، وبِر الوَالدين، والجهَاد في سَبيل اللَّه

بعض معاني برّ الوالدين:

من معاني بر الوالدين:

1 . عدم التسبب في سبّهما:

ألا يتعرض الإنسان لسبِّهما إطلاقاً.

ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إن من الكبائر: شتْمَ الرَّجُل والديه، قال: وهل يشتِمِ الرجل والديه ؟ قال: نعم يَسُبُّ الرجلُ أبا الرَّجُل وأمه، فيسبُ أباه وأمه))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي

الكبائر التي نهى عنها القرآن الكريم:

الكبائر مهلكة تستحق دخول النار، فهذه الكلمات التي يعتادها السوقة من الناس في سبِّ الوالد، إذا اعتادها الإنسان ألحق بأبيه سباباً لا يعدُّ ولا يحصى، وهذا من الكبائر كما قال عليه الصلاة والسلام. في هذه المناسبة، أحد العلماء واسمه " أبو طالب المكي " رحمه الله تعالى، أحصى الكبائر التي وردت في كتاب الله فقال:

" أربعةٌ في القلب: الشرك بالله تعالى، والإصرار على معصية الله تعالى، والقنوط من رحمة الله تعالى، والأمن من مكر الله تعالى.

وأربعةٌ في اللسان: شهادة الزور، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، واليمين الغموس، والسحر.

وثلاثةٌ في البطن: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا.

واثنتان في اليدين: وهما القتل والسرقة.

واثنتان في الفرج: وهما الزنا واللواط.

وواحدةٌ في الرجل: وهي الفرار من الزحف.

وواحدةٌ في جميع البدن: وهي عقوق الوالدين ".

أربعةٌ في القلب، وأربعةٌ في اللسان، وثلاثةٌ في البطن، واثنتان في اليدين، واثنتان في الفرج، وواحدةٌ في الرجل، وواحدةٌ في جميع البدن.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: كُنَّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال

((ألا أُنبِّئكم بأكبر الكبائر – ثلاثاً – قلنا: بلى يا رسولَ الله، قال: الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين، ألا وشهادةُ الزور، وقولُ الزور – وكان متَّكئاً فجلس – فما زال يكرّرُها حتى قلنا: ليته سكتَ))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي

" الإشراك بالله " كلمة مطلقة، والمطلق على إطلاقه، أي يشمل الشرك الخفي، والشرك الجلي، أن تقول: زيد وعبيد وفلان أزعجني، وفلان أعطاني، وفلان حرمني، وفلان وعلان، وفلان وفلان، هذا كلّه شرك.

قال تعالى:

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾

(آية 213 سورة الشعراء)

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:

((الكبائرُ: الإشراكُ بالله، وعُقوقُ الوالدين، وقتْلُ النفس، واليمينُ الغموسُ))

حديث صحيح، أخرجه البخاري والترمذي والنسائي

((إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة، الإشراك بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير الحق، والفرار في سبيل الله يوم الزحف، وعقوق الوالدين، ورمي المحصنة، وتعلم السحر وأكل الربا، وأكل مال اليتيم))

من حديث صحيح لغيره،أخرجه النسائي ومالك والدرامي والطبراني وابن حبان وعبد الرزاق والحاكم وابن خزيمة، عن عمرو بن حزم رضي الله عنه.

عقوق الوالدين من الكبائر:

هذه الأحاديث كلها مفادها أن "عقوق الوالدين من الكبائر".

كيف أن الله سبحانه وتعالى أمرك بالإحسان إليهما، وقرن الإحسان إلى عبادته، وكيف أن الله سبحانه وتعالى أمرك أن تشكرهما وقرن شكرهما إلى شكره، كذلك عقوق الوالدين جعله الله في مستوى الشرك، الإشراك بالله وعقوق الوالدين صنوان.



ولا بدّ من اجتناب الكبائر.

والآية التي تعرفونها جميعاً هي قوله تعالى:

﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً ﴾

(سورة النساء، آية 31)

تحريم عقوق الأمهات على وجه الخصوص:



عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((إِنَّ الله حرّم عليكم عقوق الأمّهات، ووأد البنات، ومَنْعاً وهاتَ. وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإِضاعة المال))

من حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود

حديثٌ لطيف، خصَّ الأمهات لعظم فضلهن على الأبناء، ومعنى " منعاً وهاتِ " منع أداء الحقوق، وأخذ المال بالباطل، و " قيل وقال " الكلام الذي لا طائل منه، و " كثرة السؤال " في المسائل التي لا حاجة لك بها.

((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس))

من حديث رواه البزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي سنده ضعفاء

و " إضاعة المال " إنفاقه إسرافاً وتبذيراً.

بعض الأحاديث الزاجرة عن عقوق الوالدين:

عن ابن عمر، رضي الله عنهما عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال:

((ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة..

أي أكبر عقوبةٍ يعاقب بها الإنسان يوم القيامة أن يحرم من النظر إلى وجه الله الكريم، والدليل قوله تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾

(آية 15 سورة المطففين)

((ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنَّان عطاءه، وثلاثةٌ لا يدخلون الجنة، العاقُّ لوالديه، والديّوث، والرجلة))

حديث أخرجه البزار في مسنده، ورجاله ثقات

و " الرجلة " هي المرأة المسترجلة التي تتشبه بالرجال، أي الفاجرة.

الأحاديث المتعلقة بعقوق الوالدين لا تعدُّ ولا تحصى.

((أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه ابن حبان والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يقال للعاق: اعمل ما شئت فلن يغفر لك.

((ثلاثة لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف))

حديث رواه الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه، و في سنده رجل ضعيف

وورد أيضاً:

((ثلاثةٌ لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً: عاقٌ، ومنانٌ، ومكذبٌ بالقدر))

حديث رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما رجل متروك وفي الآخر رجل ضعيف

هذا كله متعلقٌ بعقوق الوالدين لعظم حقهما على الإنسان:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

(سورة الإسراء: آية23)

الآن نتابع بعض التفصيلات المتعلقة ببر الوالدين:

2 . عدم مخالفة الوالدين في المباحات:

من عقوق الوالدين أن تخالف الأبوين في أغراضهما الجائزة لهما، كما أن من برهما أن توافقهما في أغراضهما ؛ فإذا أمرك الأب أمراً لا يتعلق بمعصية الله عزَّ وجل وجب عليك أن تنفذه، إلا إذا كان معصية، للقاعدة الشهيرة:

((لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق))

من حديث أخرجه الطبراني في الأوسط

بعض قواعد برّ الوالدين التي نصَّ عليها العلماء:

بعض العلماء قالوا:

. " إذا أمر الوالد بالمباح صار في حق الولد مندوباً "

أي ينتقل أمر الأب إلى ابنه في المباح إلى مستوى المندوب، إذا أمرك بشيءٍ مباح أصبح في حقك مندوباً، . " إذا أمر الوالد بالمندوب، أصبح في حق الولد تأكيداً في ندبيته "،

. " الأبوان لا يأثمان إذا منعا ابنهما من الحج "

إذا كانا في مرضٍ عضال وفي حاجةٍ ماسةٍ إليه، ومنعاه من الحج على أن يحج في العام القادم لا يأثمان، لأن بعض العلماء يرى أن الحج على التراخي لا على الفور، وبعضهم يرى الحج على الفور، إذا كان هناك مرضٌ عضال وحاجةٍ ماسة وهناك احتمالٌ كبير أن يموتا في غيبة ابنهما، فالأولى أن يبقى معهما ولا يأثمان إذا منعاه من الحج.

. " لا يحل للابن أن يسافر سفراً فيه خطر إلا بإذنهما "

لا يحق للابن أن يسافر سفراً فيه خطر إلا بإذنهما، هذا ما ورد في شرح بعض الأحاديث، وما لا خطر فيه، فيحل للابن أن يسافره من دون إذنهما، من هذا السفر الذي لا خطر فيه، السفر في طلب العلم.. " لا يجوز للمصلي إذا دعته أمه أو غيرها أن يقطع صلاته "

لقوله صلى الله عليه وسلم:

((لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))

سبق تخريجه

تصلّي في غرفة وأمك تناديك أو أبوك في غرفة ثانية، بعض العلماء يقول: " لا يجوز للمصلي أن يقطع صلاته إجابةً لنداء أمه "، لأن حق الله عزَّ وجل آكد من حقوق الأبوين، لكن العلماء يستحبون أن يخفف من صلاته فيقرأ سورة الإخلاص، مادام أحد أبويه يناديه أن يقرأ سورة قصيرة، أما إذا شرع في سورةٍ طويلة وتابعها فهو الآن مخالف، لك أن تقرأ سورةً قصيرة كي تجيب أمك أو أباك في الوقت المناسب. . " إن الصلاة إذا كانت نفلاً، وعُلم تأذي الأب أو الأم بترك إجابتهما فلك أن تقطع صلاتك النافلة لتجيب أمك أو أباك إذا كان في عدم الإجابة أذىً لهما ".

إذا أمك مقعَدَة وتحتاج إلى أن تغير جلستها، انتهى السيروم مثلاً، متألمة من قضية، نادتك وأنت في صلاة النفل، فبعض العلماء أجازوا أن تقطع صلاتك كي تجيب نداء أمك أو أبيك.

أما إذا ضاق الوقت وكانت الصلاة فرضاً فلا عليك ألا تجيب، عند المالكية " إجابة الوالد في النافلة أفضل من التمادي فيها "

. " يجب أن تدع أيَّ صلاة ولو كانت فرضاً إغاثةً للملهوف "

كأن يكون الابن قريباً من المدفأة، أو الابن نائماً يكاد أن يقع من فوق سرير عالٍ وقد يرتج دماغه، أي أن هناك قضية خطيرة، فيجب أن تقطع الصلاة إغاثةً لملهوف، أو لغريق أو لحريق، أو إجابةً لنداء أحد الأبوين بلا استغاثة في النفل، أي في صلاة النفل لك أن تقطع الصلاة لأي نداء منهما.

ظلم الوالدين للولد لا يرفع وجوب برّهما:

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

((لا يكون لرجل أبوان فيُصبح محسناً إلا فُتحَ له باب إلى الجنة، ولا يُمسي وهو محسن إلا فتح له بابان من أبواب الجنة،...، فإن كان واحداً فأصبح محسناً فتح له باب من أبواب الجنة، ولا يسخط عليه أحدهما أو واحد منهما فيرضي الله عنه حتى يرضى قيل: وإن كان له ظالماً ؟ قال: وإن كان له ظالماً))

من حديث موقوف، أخرجه مسدد بن مسرهد في مسنده بإسناد مختلف فيه

أي حتى لو أوقع الأب ظلماً بالابن، لكن العلماء استدركوا وقالوا: " إن ظلماه في الدنيا لا في الآخرة "، أي إذا كان الأمر متعلق بالدين، فعندئذٍ: " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ".

أما إن ظلماه في الدنيا ويحتمل هذا الظلم، الأولى ألا يغضبهما، هكذا قال العلماء الظلم في الدنيا إذا كان محتملاً، فالأولى أن ترضيهما.

حق الأم يعدل ثلاثة أضعاف حق الأب:

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

((جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، مَنْ أحَقُّ الناس بِحُسْن صَحابتي ؟ قال: أمُّك، قال: ثم مَنْ ؟ قال: أمُّك، قال: ثم مَنْ ؟ قال: أمُّك، قال: ثم مَنْ ؟ قال: أبُوك))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم

أي: حق الأم يعدل ثلاثة أضعاف حق الأب .

الإمام مالك جاءه رجل وقال له: إن أبي في بلد السودان، وقد كتب إلي أن أقدم عليه، وأمي تمنعني من ذلك، فماذا أفعل ؟

الإمام مالك بحسب علمه قال: " أطع أباك ولا تعصِ أمك ". ففهم من هذا القول: أن حق الأب وحق الأم سواء.

لكن أكثر العلماء على أن حق الأم يعدل ثلاثة أضعاف حق الأب.

تخاصم أبو الأسود الدؤلي مع امرأته إلى القاضي، على غلامٍ لهما منه، أيهما أحق بحضانته ؟ فقالت المرأة: " أنا أحق به لأنني حملته تسعة أشهرٍ، ثم وضعته، ثم أرضعته، إلى أن ترعرع بين أحضاني كما تراه مراهقاً ". فقال أبو الأسود أمام القاضي: " أيها القاضي حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، فإن كان بعض الحق علي، فلي الحق كله أو جلّه ". فقال القاضي: " أجيبي أيتها المرأة عن دفاع زوجك "، قالت: " لئن حمله خفيفاً، فقد حملته ثقيلاً، وإن وضعه شهوةً، فقد وضعته كرهاً ". فنظر القاضي إلى أبي الأسود وقال له: " ادفع إلى المرأة غلامها، ودعني من سجعك ".

يبدو أن حق الأم يزيد على حق الأب.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

((أن امرأة قالت يا رسول الله، ابني هذا كان بطني له وعاء ، وثديي له سقاء وحجري له حواء ، وإن أباه طلقني وأراد أن ينزعه عني، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت أحق به ما لم تنكحي))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه الحاكم في مستدركه

أي: إذا تزوجتِ فهو أحق به منكِ.

العلماء قالوا: " الأم أحق بحضانة ولدها إلى سبع سنين، إن كان ذكراً، وإلى تسعٍ إن كانت أنثى، إلا أن يرى القاضي استمرار حضانة الأم فيزيد سنتين لكليهما ". هذا الحكم الشرعي.

3. الآثار الطيبة لبر الوالدين:

مما يتعلق ببر الوالدين أن العارف بالله الشهير أبا يزيد البسطامي رحمه الله، أراد أن يذهب إلى بغداد لطلب العلم وكان غلاماً يافعاً، فأعطته أمه أربعين ديناراً هي ميراثه من أبيه، وقالت له: " ضع يدك في يدي وعاهدني على التزام الصدق فلا تكذب أبداً، فعاهدها على ذلك وخرج مع قافلةٍ يريد بغداد لطلب العلم، وفي أثناء الطريق خرج اللصوص، ونهبوا كل ما في القافلة، ورأوا البسطامي رثّ الثياب فقالوا: يا غلام هل معك شيء ؟ قال: معي أربعون ديناراً، لأنه عاهد أمه على الصدق، فسخروا منه وحسبوا أنه أبله وتركوه، وراحوا

إلى الكهف الذي كان به كبيرهم ينتظر ما يأتون به، فلما رآهم قال: هل أخذتم كلَّ ما في القافلة ؟ قالوا نعم: إلا غلاماً سألناه عما معه فقال: معي أربعون ديناراً فتركناه احتقاراً لشأنه، ونظن أن به خبلاً في عقله، قال: عليّ به، فلما حضر بين يديه، قال: هل معك شيء ؟ قال: نعم معي أربعون ديناراً، قال: أين هي ؟ فأخرجها وسلمها له، فقال كبير اللصوص: أمجنون أنت أيها الغلام ؟ كيف تخبر عن نقودك وتسلّمها باختيارك ؟ فقال له: لما أردت الخروج من بلدي، عاهدت أمي على الصدق، فأنا لا أنقض عهد أمي أبداً، عندئذٍ صُعق كبير اللصوص، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، أنت أيها الغلام تخاف أن تخون أمك ونحن لا نخاف أن نخون عهد الله، ثم أمر كبير اللصوص بردّ جميع ما أخذ من القافلة وقال: يا غلام أنا تائبٌ على يديك ". فإذا كان هناك مثل هذا اللص فلا عليكم فأعطوه النقود، فقال من معه: " كنت كبيرنا في قطع الطريق، واليوم أنت كبيرنا في الطريق إلى الله ".

4 . عدم ارتباط وجوب البر بإسلام الوالدين:

وعندنا قضية أخرى متعلقة ببر الوالدين:

الشيء الأساسي أن العلماء قالوا: " لا يختص بر الوالدين، بأن يكونا مسلمين "

يعني أحياناً شابٌ يتعلم الدين في المسجد، ويرى أن أباه دينه قليل، فيتهمه بألفاظ كبيرة ويسيء العلاقة مع أبيه.

استمعوا أيها الإخوة: لا يختص برّ الوالدين بأن يكونا مسلمين، فلو كانا مشركين فأنت ملزمٌ ببرهما، فكيف إذا كانا مسلميْن ولكنهما مقصّريْن ؟ أيحق لك أن تتهمَهما في دينهما ؟ أيحق لك أن تغلظ عليهما القول ؟ أيحق لك أن تكون عنيفاً معهما ؟ يقول الله عزَّ وجل:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(آية 8 سورة الممتحنة)

إذا كان الله سبحانه وتعالى لا ينهانا عن الذين لم يقاتلونا في الدين أن نبرّهم، فلأن نبرَّ والدينا من باب أولى.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت:

((قَدِمَتْ عليَّ أمِّي وهي مشركة في عَهْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، قلت: ' قَدِمَتْ عليَّ أمِّي وهي رَاغِبة، أفأصلُ أمِّي ؟ ' قال: ' نعم، صِلي أمكِ '. زاد في رواية، فأنزل الله فيها: { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ }))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

((مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي بن سلول، وهو في ظل أجمة فقال: " قد غبَّرَ علينا ابن أبي كبشة " فقال ابنه عبد الله بن عبد الله: " والذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب، لئن شئت لأتيتك برأسه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا ولكن بر أباك وأحسن صحبته "))

حديث حسن، أخرجه البزار وابن حبان والحاكم

ألدُّ أعداء النبي، رأس المنافقين، أمر النبي عليه الصلاة والسلام ابنه أن يبرَّه.. هذا هو الشرع، هذا هو الدين، هذا هو الإسلام.

5 . بر الوالدين مقدم على الجهاد الكفائي:

في الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال:

((جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَاستأذَنَهُ في الجهاد، فقال: " أحَيٌّ وَالِدَاك ؟ "، قال: نعم، قال: " ففيهما فجاهد "))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي

وفي رواية أخرى:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال:

((جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: جئتُ أبَايِعُكَ على الهجرة، وتركتُ أبَوَيَّ يبكيان، قال: ' فارجع إليهما، فأضْحِكْهُما كما أبْكَيْتَهُما '))

حديث صحيح، أخرجه أبو داود والنسائي

ترون من هذه الفقرة عظم برّ الوالدين.

وفي الأثر:

((نومك مع أبويك يضاحكانك ويلاعبانك أفضل من الجهاد معي))

فهذا كله يؤكد بر الوالدين.

6 . عدم التسبب في بكائهما حزناً وضيقاً:



قال العلماء:

. " من أبكى والديه كان عاقاً ".

حدثته حديثاً عن الله فبكى، هذه ليس لها علاقة، حدثته بقضية، رفضت له طلّب أو رجاك بشيء فأنت لم تستجب، رجاك أن تكون مع أخيك فانفصلت عنه، أي أنه طلب منك طلباً معقولاً، فأنت امتنعت فبكى الأب، فالعلماء قالوا: " بكاء الوالدين من عقوقهما " طبعاً هذا القول مأخوذ من الأثر:

((بكاء الوالدين من العقوق))

وفي أثر آخر:

((من أحزن والديه فقد عقهما))

7 . مواصلة أحباب وأصحاب الوالدين:

من برّ الوالدين صلة أهل ودهما، فعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((إنَّ من أبَرِّ البرِّ صلَةَ الرجل أهلَ ودِّ أبيه بعد أن يُولّي))

حديث صحيح، أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي

بعد أن يولي . أي يموت . الأب، مَنْ هم أصدقاؤه ؟

إخوانه الذكور، أخواته الإناث، أقرباؤه، أصدقاؤه، أصحابه..

((إنَّ من أبَرِّ البرِّ صلَةَ الرجل أهلَ ودِّ أبيه بعد أن يُولّي))

سبق تخريجه

والحديث الشهير الذي تسمعونه مني، عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه، قال:


الولد الصالح صدقة جارية

((بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي من برِّ أبويَّ شيء أبرّهما به من بعد موتهما ؟ قال: نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهودهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم الذي لا رحم لك إلا من قبلهما))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه الحاكم في المستدرك

النبي صلى الله عليه وسلم، كان يهدي لصديقات خديجة اللحم بعد موتها برّاً بها، ووفاءً لها وهي زوجته فما ظنك بالوالدين ؟

عن أبي بردة رضي الله عنه قال:

((قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقال لي: تدري لِمَ جئتك ؟ قلت: لا، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من أحب أن يَصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده "))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه أبو يعلى

كان لابن عمر رضي الله عنهما حمار يَتَرَوَّحُ عليه إذا مَلَّ ركوبَ الرَّاحِلَةِ، وعِمَامَةٌ يَشُدُّ بها رأسَه، فبينما هو يوماً على ذلك الحمار، إذْ مَرَّ به أعرابيٌّ، فقال: ألستَ ابْنَ فلانٍ ؟ قال: بلى، فأعطاه الحمار، فقال: اركب هذا، والعمامة، وقال: اشدد بها رأسَكَ، فقال له بعض أصحابه: غَفَرَ الله لك، أعطيتَ هذا الأعرابي حماراً كنتَ تَرَوَّحُ عليه وعِمَامَةً كنتَ تشُدُّ بها رأسَكَ. فقال: إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((إنَّ من أبَرِّ البرِّ صِلَةَ الرجل أهلَ وُدِّ أبيه بعد أن يُوَلِّيَ))

وإنَّ أباه كان وُدّاً لِعُمَر .

حديث صحيح، أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي

8 . الدعاء لهما بعد موتهما:

الشيء المعروف عندكم جميعاً، أن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم يُنْتَفَعُ به، أو ولد صالح يدعو له))

حديث صحيح، أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي



فالولد الصالح الذي يدعو له هذا صدقة جارية، إذاً: حق الأب عظيم، أي أن الإنسان إذا ربى ابناً صالحاً ودعا له من بعده فإن كلَّ أعماله الصالحة من بعده تسجَّل في صحيفة الأب، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((أفضل كسب الرجل ولده))

من حديث رواه الطبراني وفي سنده رجل مختلف فيه

السيوطي الشهير مصنف الأحاديث له أبيات يعدد فيها الصدقات الجارية أخذاً عن السنة النبوية المطهرة يقول:

إذا مات ابن آدم جاء يجري عليه الأجر عند ثلاث عشرِ

علومٌ بثها ودعاء نجلٍ وغرس النخل والصدقات تجري

وراثة مصحفٍ ورباط ثغرٍ وحفر البئر أو إجراء نـهر

وبيتٌ للغريب بناه يأوي إليه أو ابتناءُ محلِّ ذكر

و تعليمٌ لقرآنٍ كريمٍ فخذها من أحاديثٍ بشعري

سئِلَ أحد العلماء: " كم يدعو الإنسان لوالديه، أفي اليوم مرة، أم في الشهرة مرة، أم في السنة ؟ فقال: تدعو له مع كلِّ صلاة، خمس صلوات، أي خمس مراتٍ في اليوم.

قال بعض التابعين: " من دعا لوالديه خمس مراتٍ فقد أدى حقهما في الدعاء لأن الله تعالى يقول:

﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

(آية 14 سورة لقمان)

فالصلاة شكر، وشكر الوالدين مع الصلاة... إذاً: خمس مرات، هذا هو الاستنباط.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه ؟ فيقول: باستغفار ولدك لك))

حديث رجاله رجال الصحيح غير واحد وقد وثق، أخرجه الطبراني والإمام أحمد

9. رضا الوالدين سبب للنجاة من النار:

آخر قصةٍ في الدرس:

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، قال:

((كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه آت فقال: شاب يجود بنفسه. قيل له: قل لا إله إلا الله: فلم يستطع، فقال: " كان يصلي ؟ ". فقال: نعم: فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهضنا معه فدخل على الشاب فقال له: " قل: لا إله إلا الله ". فقال: لا أستطيع. قال: " لم ؟ ". قال: كان يعق والديه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أحية والدته ؟ ". قالوا: نعم. قال: " ادعوها ". فدعوها فجاءت، فقال: " هذا ابنك ؟ ". فقالت: نعم. فقال لها: " أرأيت لو أججت ناراً ضخمةً فقيل لك: إن شفعت له خلينا عنه وإلا حرقناه بهذه النار، ألست تشفعين له ؟ ". قالت: يا رسول الله إذاً أشفع. قال: " فأشهدي الله وأشهديني أنك قد رضيت عنه ". فقالت: اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "' يا غلام قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ". فقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الحمد لله الذي أنقذه بي من النار "))

حديث رواه الطبراني وأحمد وفي سنده رجل متروك

هذا عمل صالح: أن توفق بين أمٍ وابنها، بين أخٍ وأخيه، بين أبٍ وأبنه، بين جارٍ وجاره.

النبي عليه الصلاة والسلام على عظم شأنه وعلى عظم قدره حمد الله عزَّ وجل على أن مكنه من أن ينقذ هذا الشاب من النار، حيث جاء بالأم وأقنعها أن تعفو عنه، فماذا كان يفعل معها ؟ وكان هذا الشاب كما ورد في كتب الحديث يؤذي أمه، ويؤثر عليها زوجته وللحديث بقية في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-2) : حدود طاعة الوالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ؛ يقول تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء: 23]

للآباء حق كبير على أبنائهم يكاد يكون أعظم حق بعد حق الله تعالى ، ما دلالة العطف في قوله تعالى :

﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾

[سورة لقمان: 14]

ما هي أنواع البر التي ينبغي أن يكون الابن عليها تجاه أبيه وأمه ؟ كيف يمكن أن يتسبب الابن في جلب المسبة لأبيه وأمه ؟ ثم ما حدود الطاعة التي يطاع فيها الوالدان ؟ وهل هناك علاقة بالبر كون الوالدين غير مسلمين ؟ ثم كيف يكون الابن باراً بوالديه حقاً ؟ تابعوا معنا هذا اللقاء لتسمعوا الإجابة عن هذه الأسئلة جميعها ..

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الصادق الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أخوتي الكرام أخواتي الكريمات ؛ أينما كنتم أسعد الله أوقاتكم بالخير ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، في مستهل حلقة جديدة من برنامجكم درر ، حيث نتحدث عن القيم في التعامل بين أفراد المجتمع ، وننتقل اليوم إلى حق جديد وهو حق الآباء على الأبناء ، اسمحوا لي بداية أن أرحب بفضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم نحن اليوم مع حق جديد ، حق جليل وعظيم وهو حق الآباء على الأبناء ، ذلك أن الله تعالى يقول في القرآن الكريم :

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾

[سورة البلد : 3]

ويقول أيضاً :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء: 23]

أريد أن أنطلق من هذه الآيات وكيف نفهم هذا العطف ؟

قضية الاهتمام بالأولاد قضية مصيرية :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألوِيَته ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين .



لكن أردت أن أبدأ بهذه الحقيقة الدقيقة ، قال تعالى :

﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾

[سورة طه : 117]

الصياغة اللغوية تقتضي أن تكون فتشقيا ، فلما القرآن عدل عن تشقيا إلى تشقى صنف علماء التفسير أن شقاء المرأة شقاء حكمي للزوج ، وأن شقاء الزوج شقاء حكمي لزوجته ، ويقاس على هذه الحقيقة وشقاء الابن شقاء حكمي لوالديه ، فالذي يعتني بأولاده يعتني بنفسه ، والذي يعتني بأولاده يكافئه الله في الدنيا قبل الآخرة ، حالة اسمها قرة العين ، قال تعالى :

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾

[سورة الفرقان: 74]



فلذلك قضية الأولاد قضية مصيرية ، أنا أقول دائماً : لو بلغت أعلى منصب في الأرض ، وجمعت أكبر ثروة ، وتسلمت أعلى منصب ، وتألقت تألقاً لا حدود له ، ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس ، فلذلك أنا اقول لأخوتي المشاهدين : أنت حينما تعتني بابنك تعتني بنفسك ، وحينما تعتني بابنك تقدم سبب سعادتك ، ما من شيء يسعد الأب كأن يرى ابنه صالحاً ، وما من شيء يسعد الأم كأن ترى ابنتها صالحة ، هذا الموضوع أنا أعده من أدق الموضوعات وأخطرها في الدين ، الحياة عبارة عن أسر ، الخلية الأولى أسرة ، مادام هناك تماسك ، محبة ، تعاون ، قيم، مبادئ بالأسرة ، فالأسرة سعيدة ، وأنا أؤكد لأخوتي المشاهدين أن الدخل المادي له أثر ، ولكن أثره ضعيف أمام الحب ، أمام التفاهم ، أمام أن يكون الابن قرة عين لأبيه ، هناك قيم كثيرة جداً تحصل بصرف النظر عن الدخل ، وعن حقيقة البيت ، فأنا حينما أضع يدي على مفهوم الولد الصالح أضع يدي على سعادته ، وعلى استمرار وجوده ، فلذلك تربية الأولاد أنا أعده من أخطر الموضوعات ، ربما كانت قبل خمسين عاماً خيارات الانحراف محدودة جداً ، الآن هناك صوارف لا تعد ولا تحصى ، تصرف الأبناء عن طريق الحق والصواب ، وهناك عقبات أيضاً أمام الأولاد لا تعد ولا تحصى .



أنا أقول دائماً : العلوم تنتقل من حالة وصفية إلى حالة رياضية ، قد أقول إن ضجيج الطائرة لا يحتمل هذا وصف ، أما إذا اخترعت وحدة لقياس الضجيج أقول : إن ضجيج الطائرة لا يحتمل إذا كان مئة وخمسة وعشرين ديسيبل ، الإنسان يحتمل سبعين ديسيبل ، أنا قلبت العلوم من وصفي إلى رياضي ، أنا الآن أقول : إذا الآن كان هناك وحدة لتربية الأولاد ، إذا

كنا قبل خمسين عاماً نحتاج إلى مئة وحدة ، الآن بحاجة إلى مئة ألف وحدة ، لكثرة الصوارف والعقبات . أنا أقول : الأبوة رسالة ، والأبوة مهمة ، ولا يمكن لأب أن يسعد ببيته إن كان أولاده قد شردوا عن طريق الحق ، لا يمكن لأن هناك ارتباطاً عضوياً ، ارتباط عضوي بين الأب وابنه ، هذا ابن فلان .

أول حقيقة ؛ قضية الاهتمام بالأولاد ، بتربيتهم الجسمية والنفسية والاجتماعية والفكرية والجمالية والدينية ، هذه أنواع التربية يجب أن تكون في المقام الأول ، لكن قد يقول قائل : فاقد الشيء لا يعطيه ، أنا أدعو الآباء بادئ ذي بدء أن يعرفوا الحقيقة ، أن يتزودوا بالعلم حتى يستطيعوا توجيه أبنائهم ، الموضوع خطير بحياة المسلمين ، و الأبناء هم المستقبل ، الأبناء عماد الحياة ، الأمة كيف تنهض ؟ لا تنهض إلا بأبنائها ، فالموضوع له أبعاد دولية ، أبعاد قومية ، أبعاد وطنية ، أبعاد اجتماعية ، أبعاد دينية ، وأبعاد نفسية ، هناك سعادة و شقاء، فلذلك أنا أقول : يجب أن يمضي الأب وقتاً ليس بالقليل في معرفة أسلوب تربية أولاده .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل لو عدنا إلى الآية الكريمة بعد هذه المقدمة :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء: 23]

الحكمة من أن الله رفع مستوى بر الوالدين إلى مستوى عبادته :

الدكتور راتب :

العطف يقتضي التماثل ، أقول : اشتريت بيتاً وسيارة ، بيتاً ومزرعة ، أما اشتريت بيتاً وملعقة ! فحينما عطف الله :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾

[سورة الإسراء: 23]

رفع مستوى بر الوالدين إلى مستوى عبادته ، هذا شيء يشرف الآباء ، رفع ربنا جل جلاله مستوى بر الوالدين إلى مستوى عبادته :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء: 23]

طبعاً التعليل أن الله هو الخالق ، لكن هذا الخلق تمّ على يد من ؟ الأب والأم سبب وجود الابن ، وإن كان الخالق هو الله ، لكن هؤلاء سبب وجود الابن ، وكيف أننا نقول : هناك نعم ثلاث كبيرة جداً ؛ إنها نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمة الهدى والرشاد ، قال تعالى :

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾

[سورة الإنسان : 1]

أنا دائماً أقول لأخوتي المشاهدين : لو فتحت كتاباً وتتبعت سنة طبعه ، فإن كانت سنة طباعة الكتاب قبل ولادتك أثناء طبع هذا الكتاب من أنت ؟ أنت لا شيء :

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾

[سورة الإنسان : 1]



الله هو الخالق ، لكن هذا الخالق العظيم جعل سبب الخلق الأب والأم ، هم سبب وجودك في الدنيا ، فلذلك لهم فضل كبير ، فإذا ربياك تربية عالية لهم فضل أكبر ، فإذا ربياك تربية دينية أيضاً عرفت ربك ، عرفت الآخرة ، عرفت قواعد الأخلاق ، عرفت منهج الله عز وجل ، فلذلك أي أب أنا أرى أنه حريص على نجاح أولاده بالتحصيل العلمي ، أي أب في الأرض حريص على صحة أولاده إلا المؤمن فهو حريص فوق حرصه على صحة أولاده وعلى تحصيلهم العالي على دينهم ، وعلى إيمانهم ، هذا ما يتميز به المؤمن ، لذلك الأب المسلم المؤمن يهتم بأولاده ، بتربيتهم ، بعقيدتهم ، بفهمهم لحقائق الدين ، بتحصيلهم ، هذا ما ينبغي أن يكون .

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً ، أخوتي الأكارم ما زلنا في هذا الحق العظيم حق الآباء نعود بعد فاصل ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، عدنا من جديد لنتابع حق الآباء ، تحدثنا قبل الفاصل عن قوله تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾

[سورة الإسراء: 23]

وبينتم كيف رفع الله من حق الآباء حتى قرنه بعبادته جلّ جلاله ، لكن تتمة الآية :

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء: 23]

هذه الباء ماذا تفيد ؟

مكانة الأب و الأم في المجتمع الإسلامي نعمة أساسها الدين :

الدكتور راتب :

أنت كابن مقتدر وغني تتوهم أنك إذا أرسلت خادمك لتفقد حاجات أبيك وأمك فقد أديت واجبك ، إلا أن في هذه الآية لفتة دقيقة جداً أن الله عز وجل يقول :

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء: 23]

هذه الباء للإلصاق ، يجب أن تقدم لهم حاجاتهم بنفسك ، لأن الأب في سن معينة لا يسعده أن تقدم له ما يشاء ، يسعده أن يراك ، يسعده وجودك ، فلذلك نحن في بلاد المسلمين بنعم لا تعد ولا تحصى ، أي قد يأتي الابن إلى والديه يومياً ، فالأب يسعد بابنه ، والله في بلاد الغرب أتصور أن بالسنة كلها يوم واحد هو عيد الميلاد يرى الابن والديه ، أنا كان لي ابن في أمريكا ، جارته تعد البيت إعداداً يفوق حدّ الخيال ليوم واحد ، حينما يأتي أولادها من أطراف البلاد لزيارتها ، وفي هذا العام لم يأتوا فبكت بكاءً يفوق حدّ الخيال ، أين نحن في عالمنا الإسلامي ؟ الابن يأتي إلى أمه يومياً ، أو يوم يأتي وآخر لا ، أو في الأسبوع يأتي مرتين ، والابن دائماً في خدمة أمه وأبيه ، نظام الأبوة عندنا ، نظام تربية الأولاد فيه تفوق كبير جداً ، أنا كنت مرة في أستراليا قال لي أحدهم : عندنا الابن انحرافه شديد ، وعقوقه أشدّ ، نحن الأب له مكانة مقدسة في مجتمعاتنا ، هذه نعمة أساسها الدين ، لأن الدين حضّ على العناية بالآباء، كما تفضلت قبل قليل : رفع الله عز وجل مستوى بر الآباء إلى مستوى عبادته ، فهذا الذي نراه من تعاطف ، من تواصل أسري ، من تعاون أسري ، شيء يفوق حدّ الخيال، عندنا في بلادنا مثلاً أنا أعرف آلاف الآباء باعوا بيتهم في العاصمة ، واشتروا بيوتاً ثلاثة أو أربعة في الريف وسكنوا معهم من أجل تزويجهم ، أما في المجتمعات المادية فهذا شيء مفقود كلياً .

الأستاذ بلال :

أستاذنا لو تخيلنا أن نضع عنواناً لحق الأب على ابنه فهو البر ، بر الوالدين ، لأن العقوق من الكبائر ، و بما أن الله قرن بر الوالدين بالعبادة ، قال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين، دائماً يأتي بالعقوق بعد الإشراك بالله ، لكن لو فصلنا في البر أول صور البر ألا يسيء لوالديه بأن يسبب لهم اللعن ، فهل يسبب الابن السباب لوالديه ؟

على الولد ألا يسيء لوالديه و يسبب لهما اللعن :

الدكتور راتب :

أب يثني الناس عليه من خلال ابنه ، وأب آخر يستحق اللعنة من خلال ابنه ، فتربية الأولاد تتجاوز حدود البيت إلى المجتمع .

الأستاذ بلال :

الطاعة طبعاً من البر ، طاعتهما في المباحات .

ضرورة بر الوالدين إلا إذا أمرا بمعصية :

الدكتور راتب :

نعم ، أولاً : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، لكن تعقيب لطيف ، قال تعالى:

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾

[سورة لقمان: 15]

حتى لو كلفاك أن تشرك ، أو أن تعصي الله ، لا ينبغي أن تتبع هذا التوجيه لكن أيضاً ينبغي أن تكون لطيفاً من هذا الطلب الغير معقول .



الأستاذ بلال :

إذاً البر مثلاً أبي ظلمني لا يعاملني بالسوية ، فأنا لا أبره لهذا السبب .

الدكتور راتب :

أنا أقول له : أدِّ الذي عليك واطلب من الله الذي لك ، هذا أب يبقى أباً ، أدِّ الذي عليك تجاهه واسأل الله أن يلهمه الصواب في معاملتك .

الأستاذ بلال :

ولو كان الوالدان غير مسلمين .

الدكتور راتب :

لا بد من بر الوالدين إلا إذا أمرا بمعصية .

الأستاذ بلال :

وفي الجهاد الكفائي يشترط أذن الوالدين ؟

الدكتور راتب :

لكفائي طبعاً يشترط .

الأستاذ بلال :

إن كان والداك حيين فجاهد فيهما ، بقي أن نسأل عن بر الوالدين بعد موتهما .

كيفية بر الوالدين بعد موتهما :

الدكتور راتب :

سئل النبي الكريم هذا السؤال : ماذا بقي عليّ من بر والدي بعد موتهما ؟



الابن الصالح سعادة لأبويه

قال : أربعة أشياء ، أن تصلي عليهما صلاة الجنازة ، وتدعو لهما في كل صلاة : ربي اغفر لي ولوالدي ، وأن تصل صديقهما ، وأن تنفذ عهدهما ، وأن تصل الرحم التي ليس لها صلة إلا بهما، فهذا الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما .

الأستاذ بلال :

هناك من يطيع والديه فيما يأمران به لكن يسبب لهما حزناً لما يريان من حاله ، هل هذا عقوق ؟

الابن الصالح يدخل على أبويه سعادة كبيرة :

الدكتور راتب :

حينما يكون الابن صالحاً كأن بره يتضاعف ، إن خدم والديه هذا شيء جيد ، أما إذا رأى الأب ابنه صالحاً، قائماً بواجباته الدينية ، متواضعاً ، يحب الخير ، متألقاً في المجتمع، يحبه الناس جميعاً ، هذا شيء يدخل على الأب سعادة لا توصف ، فلذلك الذي يعتني بأولاده يعتني بنفسه .

الأستاذ بلال :

سؤال مهم جداً بعض الآباء والأمهات لغير سبب شرعي مقنع إنها لا تحب زوجته تأمره بطلاقها ، تقول له : طلق زوجتك ، ويحار ماذا نقول في هذه الحالة ؟

بر الوالدين لا علاقة له إطلاقاً بالزواج :

الدكتور راتب :

بر الوالدين لا علاقة له إطلاقاً بالزواج ، هذه زوجة مؤمنة ، محجبة ، تطيع زوجها، إذا كان أبوه لا يحبها أمره بتطليقها ، هذا الأمر لا ينفذ إطلاقاً ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ما ذنبها ؟ مرة قال لي أخ؟ أليس سيدنا عمر أمر ابنه بتطليق زوجته ؟ قلت له : أبوك عمر ؟ قال : لا ، قلت له : انتهى الأمر .

الأستاذ بلال :

إذا لم يكن هناك سبب مقنع فلا يستجيب .

الدكتور راتب :



الزوجة الصالحة لا يجوز تطليقها لإطاعة

بر الوالدين إن طلبا منك أن تقدم لهما الدواء هذا من بر الوالدين ، أن تغير لهم بعض الأثاث أحياناً ممكن ، أما أن تطلق زوجتك فلا ، قالت له : إما أن تكفر بمحمد أو أدع الطعام حتى أموت – سيدنا سعد – قال لها: يا أمي , لو أن لك مئة نفس فخرجت واحدة واحدة ما كفرت بمحمد , فكلي إن شئت , أو لا تأكلي ، ثم أكلت .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً أستاذنا الفاضل ، وأحسن إليكم .

أخوتي الأكارم ؛ وصلنا إلى نهاية هذا اللقاء الطيب الذي استمتعنا بوجودكم معنا فيه، وإلى أن نلتقيكم في لقاء آخر ومع حق جديد من حقوق الإسلام وقيم الإسلام ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-4) : بر الوالدين عند الكبر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ؛ يقول تعالى :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

[سورة الإسراء: 23-24]

ما دلالة قوله تعالى : إما يبلغن عندك الكبر ؟ ولم كان الآباء أحوج ما يكونون إلى أبنائهم عند كبرهم ؟ وما معنى قوله تعالى : واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ؟ ثم ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم : "أنت ومالك لأبيك" ؟ ثم ما هي نتائج البر وآثاره الباهرة وكيف ينجي البر من الكروب والملمات ؟ تابعوا هذا اللقاء لتتبينوا الإجابة عن هذه الأسئلة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الصادق الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أخوتي الكرام ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نحن معكم في لقاء طيب متجدد من برنامجكم درر ، لنتابع فيه الحديث عن القيم في التعامل بين أفراد المجتمع ، ومازلنا في الحديث عن حق الآباء ، هذا الحق الجليل الذي ينبغي لكل مؤمن وابن أن يكون في مستواه ، أرحب بفضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل نحن مازلنا في حق الآباء ، هذا الحق العظيم ، وقد بدأنا في اللقاء السابق الآية القرآنية التي تؤصل لهذا الحق ، قال تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء: 23]

أريد أن أتابع اليوم هذه الآيات :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ ﴾

[سورة الإسراء: 23]

أولاً : ما مدلول كلمة عندك ؟

من رعى والديه هيأ الله له أولاداً يرعونه حق رعايته :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألوِيَته ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين .



نفهم هذه الكلمة من آية أخرى ، يقول إنسان : أنا عندي أربعة أولاد – عندي –فالأب حينما يكون شاباً في ريعان شبابه وقد تزوج وأنجب يقول : أنا عندي أربعة أولاد ، لكن سنة الله في خلقه أن الإنسان يكبر ويشيب فيصبح عند أولاده ، يقول لك : أنا عند ابني ، أنا عند صهري ، أنا عند ابنتي ، فانظر التطور ، هذه الحكمة البالغة من التطور في حياة الإنسان في مرحلة يكون فيها بحاجة ماسة إلى أمه وابيه ، ثم يقوى ويشتد عوده ويكبر ، ثم يصبح بحاجة إلى أولاده، فهذه الحقيقة دورة طبيعية ، لكن لحكمة بالغة الإنسان إذا رعى والديه هيأ الله له أولاداً يرعونه حق

رعايته ، هناك مكافأة بالمثل ، الذي يكون باراً بوالديه وأنا أتوقع وحالات نادرة جداً خلاف ذلك أن أولاده يبالغون في بره .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم شاع اليوم أن بعض الأبناء يودعون آباءهم في دار رعاية المسنين والعجزة ، هل بلغ الكبر أبوه عنده أم في مأوى العجزة ؟

حاجة الأب و الأم الماسة لابنهما عند الكبر :

الدكتور راتب :

والله في مأوى العجزة هنا ، أنا الذي أراه نحن أحياناً نجلد أنفسنا دائماً ، لكن البطولة أن نعرف خصائصنا الإيجابية ، في بلاد المسلمين الأب مقدس وقلّما تجد ابناً يتخلى عن أبيه ، حالات نادرة جداً ، والنادر لا حكم له ، نحن نألف أن الأب عند ابنه ، ويتلقى رعاية كاملة منه ، واهتماماً بالغاً .



لذلك عندنا شيء اسمه : التماسك الأسري ، هذه من إيجابيات حياتنا الإسلامية ، رائع جداً، الأب أب ، والبنت بنت ، والأخ أخ ، هناك تماسك أسري نفخر به في حياتنا .

الأستاذ بلال :

إذاً الأب والأم بحاجة ابنهما أكثر عند الكبر ، لذلك قال تعالى :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾

[سورة الإسراء: 23]

وفي حديث :

((رغم أنف عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخل الجنة))

[السنن الكبرى عن أبي هريرة]

البر يتعاظم حتى يكون أعظم ...

البر أحد أكبر أسباب دخول الجنة :

الدكتور راتب :

أحد أكبر أسباب دخول الجنة ، والقضية سهلة وليست صعبة ، أنا أقول لك كلمة:


الابن البار يسعد بهذا البر سعادة لا توصف

الإنسان عندما يكون باراً بوالديه غير الأجر والثواب والجنة ، يسعد بهذا البر سعادة لا توصف ، لأن الإنسان في الأساس أودع الله فيه الكمال والقيم ، فإذا لبى هذه الحاجة الفطرية من الكمال والقيم يسعد بها سعادة كبيرة ، فأنا الذي أراه أن الابن البار له سعادة لا توصف أ يشعر أنه أدى الذي عليه ، أو ردّ بعض الجميل لوالديه ، هذه حالة مريحة جداً ، والذي يكون عاقاً لوالديه يعاني من آلام وانهدام في الذات لا يحتمل ، الذي كان سبب وجودك بذل كل ما يملك من أجلك فرددت عليه بإساءة بالغة .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم أريد أن أنتقل إلى موضوع يتصل بهذا الأمر ، وهو الحديث الشريف على اختلاف في رواياته ولكن المجمع عليه :

((أنت ومالك لأبيك))

[في الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقاة على شرط البخاري عن جابر بن عبد الله]

كيف نفهم أنت ومالك لأبيك ؟

القصد من الحديث السابق بيان عظم حق الأب :

الدكتور راتب :

والله أنا أفهم هذا النص ، أحياناً يأتي النص فيه مبالغة ، ليس القصد منها أن تتحقق ، القصد منها بيان عظم حق الأب ، لو فرضنا ابناً مسافراً ويرسل لوالده ما فاض عن حاجته ، وهذه المبالغة المتتابعة الهدف أن يتزوج الابن ، فإذا جاء أب وأخذ النص على ظاهره وقال : أنت ومالك لأبيك وضمّ كل المال إلى ثروته، ليس هذا هو المعنى ، أنا أقول : مثل هذا النص من معانيه الدقيقة بيان عظم حق الأب فقط ، فليس من

المعقول أن يأخذ الإنسان مال ابنه كله ، أما أنت ومالك لأبيك فلبيان عظم هذا الحق ، لكن يجب أن تدع له شيئاً يعيش منه .

الأستاذ بلال :

جميل لكن لو كان الأب أو الأم فقيرين محتاجين ، ألا تجب نفقة الابن ؟

الدكتور راتب :

أبداً من دون أي إشكال ، لكن بالمعقول .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم البر من صفات الأنبياء ، يحيى عليه السلام وبراً بوالدتي ، عيسى عليه السلام وبراً بوالدته ، يوسف عليه السلام ورفع أبويه على العرش ، أريد أن أصل إلى بر إسماعيل عليه السلام بإبراهيم عليه السلام ، يوم قال له : يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، فضلاً عن الحكم الشرعي طبعاً أنه أمر من الله لكن هذا الاستسلام .

مواقف الأنبياء الرائعة مشاعل وقدوة لنا :

لدكتور راتب :

الحقيقة أولاً : هذه حالة تعد من أعلى حالات التوكل ، وتعد من أعلى حالات البر، حالة قيم كبيرة جداً ، فالله عز وجل يأتينا بهذه المواقف الرائعة للأنبياء ليكونوا مشاعل لنا ، قدوة لنا ، طبعاً ليس الإنسان مكلفاً أن يفعل ما فعله إبراهيم عليه السلام ، ولكن هذا نموذج أمامنا يبين عظم حق الأب على ابنه .



الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم لو انتقلنا إلى نتائج البر ، أنتم ذكرتم في البداية نتيجة جميلة جداً ؛ بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، أول النتائج ؛ الذي يبر أباه ينتظر إن شاء الله أن يبره أبناؤه ، أيضاً مما يلمح في الحياة بشكل واضح أن البار بوالديه موفق في حياته .

بر الوالدين لا يلغي طاعة الله عز وجل :

الدكتور راتب :

والله أنا أعرف اناساً كثيرين وفقوا في الحياة توفيقاً يفوق حدّ الخيال ، فإذا بحثت عن الأسباب البعيدة هو بره بوالديه ، أنا أعلم صديقاً لي له بر بأبيه وأمه يفوق حدّ الخيال ، رفع مقامهما إلى أعلى درجة ، وله أخ عاق لوالديه ، أخ شقيق ، المفارقة الحادة التي يصعب تصورها أن البار بوالديه يأتيه دخلاً فلكياً ، عندي آلاف الأمثلة عن الإنسان حينما يكون باراً بوالديه ، ولكن أتمنى أن ألفت نظر الأخوة المشاهدين لقضية خطيرة ، لو توهم ابن أنه بار بوالديه جيد جداً لكن هذا لا يعفيه من طاعة الله ، هناك من يتوهم أنه يكفي أن يبر والديه ، لا ، هناك إله عظيم خلقك ، هناك منهج قويم ، هناك أمر و نهي ، بر الوالدين لا يلغي طاعة الله عز وجل ، ولا ينبغي أن تكتفي بهذا البر فقط ، لكل جهة موقف خاص .

الأستاذ بلال :

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء: 23]



العبادة والبر ، أحسن الله إليكم سيدي ، ما زلنا في نتائج البر ، ونتائج أداء حقوق الوالدين ابقوا معنا ..

السلام عليكم ورحمة الله ، عدنا من جديد لنتابع الحديث عن حق الوالدين ، أستاذنا الكريم ؛ كنا قبل الفاصل نتحدث عن الآثار الإيجابية التي يجنيها البار بوالديه وذكرتم منها جزاكم الله خيراً أنه ينتظر أن يبره أبناؤه ، ثم

ذكرنا التوفيق في الحياة إذا هو أطاع الله مع بره لوالديه ، يحضرني الآن أثر ثالث وهو تفريج الكروب ، فكما ورد في الحديث الصحيح عن هؤلاء الذين حبسهم الغار ثم قال واحد منهم :

((كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا ، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا ، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا))

[البخاري عن عبد الله بن عمر]

وكان أحد أسباب النجاة ، كيف نفهم بر الوالدين في تفريج الكروب ؟

العمل الصالح دائماً هو قرض لله عز وجل :

الدكتور راتب :

الإنسان حينما يكون باراً بوالديه كأنه أقرض الله قرضاً حسناً ، العمل الصالح دائماً هو قرض لله عز وجل ، فقد يطلب من الله هذا القرض أحياناً ، فإذا وقع في أزمة مالية ، أزمة اجتماعية ، أزمة بعمله ، أزمة بصحته.



هذه الأزمات مؤلمة جداً ، فالإنسان حينما يدعو الله أن يفرج عنه كربه ، ممكن أن يتوسد بالدعاء هذا بعمله الصالح الذي ابتغى به وجه الله عز وجل، هذا من سنة النبي الكريم ، ومن توجيه النبي لنا ، انا أسميها أيام الله ، كل إنسان له مع الله أيام، عمل عملاً طيباً تألق مع الله ، خدم إنساناً ، أنقذ حياة إنسان ، أعان إنساناً ، ساهم بتزويج فتاة مثلاً ، خاف أن تبقى عانساً فساهم بتزويجها ، الأعمال الصالحة كلها يمكن أن تتخذ وسيلة لتطلب من الله تفريج الكرب من خلال هذه الوسيلة ، هذا منهج من النبي الكريم ، والإنسان يسأل الله أن يفرج عنه ما هو فيه بخير عمله ، لا يوجد إنسان إلا و له عمل طيب ، أنا أقول هذه الأعمال الطيبة في ميزان حسناته ، ويمكن أن يستخدمها كثيراً مع الله عز وجل ، والنبي علمنا ذلك .

الأستاذ بلال :

اعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، بارك الله بكم ، أستاذنا الكريم الآية غنية جداً التي بدأنا بها وتفرع عنها الحديث :

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾

[سورة الإسراء: 23]

أحد أسباب النجاح في الدنيا بر الوالدين و عدم التأفف منهما :

الدكتور راتب :

لو أن في اللغة كلمة أقل من أف لذكرها الله ، ما معنى أف ؟



نفس زفير ، ما تكلم ولا كلمة ، ولا فعل شيئاً إلا أنه تنفس نفساً مسموعاً ، وهي تعبير عن الضجر أحياناً ، لذلك العلماء حملوا أشياء كثيرة على كلمة أف ، يوجد ثلاث وثلاثون حالة تشبه الأف ، لو دفع الباب بقوة، لو شدّ نظره إلى والديه ، هذا كله من عقوق الوالدين ، فالأب له مكانة كبيرة عند الله ، هو سبب وجودنا ، هذا الأب العادي فكيف إذا كان صالحاً ؟ كيف إذا كان مؤمناً إيماناً كبيراً ؟ كيف؟ فلذلك أنا أتمنى على الأخوة المشاهدين أن يعتمدوا هذه الحقيقة ؛ أحد أسباب النجاح في الدنيا ، النجاح في التجارة ، وفي الزواج ، وفي المشكلات أن تذكر لله عز وجل برك لوالديك .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم في المقابل البر وهو اسم جامع لكل خير يقابله عقوق الوالدين ، ودائماً نتمنى أن نبقى في الإيجابيات ، ولكن لا بد من أن نعرج على جزاء العقوق ، قد ورد في الحديث لا ينظر الله إلى العاق ، هذا العقوق ما الأمر الذي أدى به إلى هذه النتيجة ؟

العقوق جريمة كبيرة يقترفها الإنسان :

الدكتور راتب :



عقوق الوالدين جريمة كبيرة يقترفها الإنسان

الله عز وجل خلقنا ، لكن الأب والأم سبب وجودنا في الدنيا ، فاللذان كانا سبب وجودك في الدنيا قابلت إحسانهما بنكران الجميل ، العاق انا أسميه جريمة ولا أبالغ ، جريمة كبيرة يقترفها الإنسان .

شيء آخر أحب أن أنبه الأخوة المشاهدين لا تتأمل خيراً من عاق لوالديه ، لو كان فيه خير لبر والديه ، لا تشاركه لن توفق ، عاق الوالدين لغم ، قنبلة ، لا تعلم متى تنفجر .

الأستاذ بلال :

لو تابعنا الآيات :

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ ﴾

[سورة الإسراء: 23-24]

ما معنى خفض جناح الذل من الرحمة ؟

توضيح قوله تعالى : وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ :



علاقة الابن مع والده يجب أن تكون علاقة المتواضع الذي يصغر أمام والديه

الدكتور راتب :

أي يمكن أن يكون الابن وزيراً أو مسؤولاً كبيراً أو ضابطاً كبيراً في الجيش ، قد يرتقي لمنصب رفيع ، وقد يكون معه سلطة كبيرة ، علاقته مع والده يجب أن تكون علاقة المتواضع الذي يصغر أمام والديه ، نحن في حياتنا اليومية والله شخصيات كبيرة جداً يقبل يد أمه أمام الملأ ، هناك كثير من رؤساء

الجمهوريات يقبّلون يد أمهاتهم على الملأ ، فلذلك الإنسان يكبر إذا كان باراً بوالديه ، يكبر لا يصغر .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم أريد أن أختم بهذا الموضوع اللطيف ربنا عز وجل عندما أقسم قال :

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾

[سورة البلد : 3]

أقسم بهذا النظام ، ما هو نظام الأبوة والأمومة ؟ إلى ماذا يشير ؟

نظام الأبوة والأمومة تعريف بذات الله العلية :

الدكتور راتب :

أولاً : الإله العظيم يفرح إذا كنت سعيداً بقربه ، مع أنه غني عنك كلياً ، أي كأن الله عز وجل أراد أن يعرفنا بذاته العلية من خلال نظام الأبوة ، ترى إنساناً يسعده أن تكون سعيداً ، يسعده أن تكون موفقاً ، يسعده أن يكون زواجك موفقاً ، ودخلك كبيراً ، لذلك يقولون : لا يوجد أغلى من الولد إلا ولد الولد ، والأحفاد لهم مكانة كبيرة في مجتمعاتنا ، فذلك الإنسان حينما يبر والديه يكون قد أزاح عن نفسه أحد أكبر أسباب الشقاء ، هذا موقف أخلاقي وديني واجتماعي ، وأنا والله أعرف أناساً كثيرين وفقوا في الحياة توفيقاً يفوق حدّ الخيال ببرهم لوالديهم .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم بقي أن نوجه ونحن إن شاء الله اللقاء القادم نتحدث عن حقوق الأبناء على الآباء لكن مبدئياً هل يستطيع الأب أن يعين ابنه على بره ؟

رحم الله والداً أعان ولده على بره :



الدكتور راتب :

والله بارك الله بك ، كنت أريد أن أبدأ بهذا الموضوع ، رحم الله والداً أعان ولده على بره ، هل من المعقول أن يكون للأب ابن ناشئ ، يريد أن يتزوج ، وعليه مصاريف كبيرة جداً ، ويريد أن يفتح بيتاً ، ويطالبه بنفقه عالية جداً ، إذاً عطل عليه مشروعه ، هذا الأب الرحيم بابنه

عندما يريد أن يتزوج يسامحه ، يقلل طلباته منه ، يعينه على هذا الزواج ، وهذه رحم الله والداً دعاء من أرقى الأدعية يدعو لأبيه بالرحمة إذا كان معتدلاً بطلباته من ابنه ، رحم الله والداً أعان ولده على بره ، هناك آباء يطلبون أشياء غير معقولة إطلاقاً ، ابنه يتمزق ، دخله قليل ، وعليه مصاريف كبيرة ، وطلبات من أبيه ، والابن قد يكون باراً بوالده ، رحم الله والداً أعان ولده على بره .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

أخوتي الأكارم ؛ لم يبق لي إلا أن أشكر أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي على ما تفضل به من هذه المعاني الطيبة السامية ، التي أسأل الله أن نكون جميعاً عند مستواها ، وأنتم أخوتي الكرام لم يبق لي في نهاية هذا اللقاء الطيب إلا أن أشكر لكم حسن متابعتكم ، سائلاً المولى جلّ جلاله أن ألتقيكم في أحسن حال مع الله ، ومع خلقه ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-4) : صلة أصدقائهم بعد وفاتهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

ما واجبك تجاه والديك بعد موتهما :

أيها الأخوة, لا زلنا في رياض الصالحين، من كلام سيد المرسلين، عليه أتم الصلاة والتسليم، والباب اليوم باب: بر أصدقاء الأب, والأم, والأقارب,

والزوجة, وسائر من يندب إكرامهم .



عَنْ ابْنِ عُمَرَ قال:

((قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ, أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أبيه))

[أخرجه الترمذي في سننه]

عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ قَالَ:

((بَيْنَا نَحْنُ جلوس عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ, فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ, هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ فقَالَ: نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا, وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا))

[أخرجه أبو داود في سننه]

أربعة أشياء أنت مكلف بأن تقوم بها بعد موت الأب والأم: الدعاء والاستغفار, مع كل صلاة: رب اغفر لي ولوالدي، لأن الأب والأم سبب وجودك .

وفي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ, أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ))

[أخرجهما أبو داود الترمذي في سننهما عن أبي هريرة]

من أفضل النعم وأعظمها :

أيها الأخوة, أعظم نعمة على الإطلاق نعمة الإيجاد، إذا تصفح الإنسان كتاباً مطبوعاً مثلاً في سنة 1920، في أثناء تصفح حروف هذا الكتاب, هل للقارئ وجود؟ له اسم؟ له حيز ؟ له كيان؟ قال تعالى:

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾

[سورة الإنسان الآية: 1]

أنت الآن موجود، فهذه أكبر نعمة على الإطلاق, أن الله أوجدك من عدم، سمح لك أن تكون، أن تولد، عندنا إنسان اسمه فلان، متاح له أن يسكن الجنة إلى أبد الآبدين، إذا أرضى الله عز وجل، متاح له أن يسعد إلى أبد الآبدين، لذلك قالوا:

((النعمة الأولى نعمة الإيجاد، والنعمة الثانية نعمة الإمداد))

أمدك بالهواء، أمدك بالماء، أمدك بزوجة، أمدك بولد، أمدك بمأوى، أمدك بقدرة على كسب المال، أمدك بذاكرة .

أحد أخواننا, توفي –رحمه الله–, خرج من معمله، وبيته في المهاجرين، قال لي: خلال نصف ساعة أو أكثر، وأنا أجول، ولم أعرف بيتي، تلفت ذاكرته، بقي في ذاكرته مكانَ بيتِ ابنه، في الجسر، طرق باب ابنه، وقال له: يا بني, أين بيتي أنا؟ فالله عز وجل أمدك بذاكرة، أمدك بنطق، قال تعالى:

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾

[سورة الرحمن الآية: 4]

أنعم عليك بنعمة الإيجاد، وأنعم عليك بنعمة الإمداد، وجمعك مع أهل الحق، سمح لك أن تسمع خطبة، أن تسمع درساً، تصلي، وتصوم، وتتزوج، وألاّ تزني، تشرب الليمون، وليس الخمر، تنام على الفراش، وليس في السجن، ولست ملاحقاً، نعمة الحرية لا تقدر بثمن .

سبب هذه النعم هما :

أيها الأخوة, أنعم عليك بنعمة الإيجاد، وأنعم عليك بنعمة الإمداد، ثم أنعم عليك بنعمة الهدى والرشاد، مَن السبب؟ الأب والأم، فلذلك قال تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة الإسراء الآية: 23]



هل يمكن أن تقول: اشتريت بيتاً في المالكي بثلاثين مليوناً وملعقة، هل ينسجم هذا معك؟ يكون الإنسان أحمق، يقول: أخذت بيتاً وأرضاً، بيتاً وسيارة، بيتاً ومرزعة، العطف يقتضي الانسجام، أما: اشتريت بيتاً وملعقة, ليس هناك تناسب، لما قال ربنا:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

[سورة الإسراء الآية: 23]

رفع الإحسان إلى الوالدين, إلى مستوى عبادة الله، قال تعالى:

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾

[سورة محمد الآية: 5]

ورفع صلاح البال إلى مستوى الهدى، مثلما أن نعمة الهدى لا تقدر بثمن, فكذلك نعمة صلاح البال لا تقدر بثمن، ليس عنده مشكلة كبيرة، لم يستدعوه إلى المخفر, لأن ابنته ضُبطت في مكان دعارة، ماذا يحدث له؟ لو استدعي إلى المخفر, ليرى ابنته ضُبطت في الدعارة، لو أن بنته حملت من ابنه، ماذا يحدث له؟ هذه الأمور تقع .

أنا لا أتكلم من خيال إطلاقاً، بل من واقع، لو أن ابنه سرق، لو أن ابنه مدمن مخدرات، يأتي الساعة الثالثة صباحاً مع رفاقه، يسهرون على فيلم فيديو، ما يحدث للأب؟ أما الذي عنده ابن صالح، والذي له بيت، والذي له مأوى، ومهنة يرتزق منها، عنده زوجة صالحة، أمدك بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والرشاد، والسبب الأم والأب، وإكراما لهذه الأم ولهذا الأب, عليك أن تصلي عليهما .

إذا كان هناك في المسجد جنازة، من أولى الناس أن يصلي على هذه الجنازة؟ يتوهم الناس أنه الإمام، لا، أولاده، أقرب الناس إليه يصلي عليه، أن تصلي عليهما، وأن تدعو لهما.

احذر أيها الأب من هذا :

أيها الأخوة, أب على فراش الموت، قالت له ابنته: يا أبت, حرمك الجنة كما حرمتني من الزواج، كلما جاءها خاطب, شمخ الأب أنفه، إلى أن بارت الفتاة، هذا الإعضال، أن تحول بين ابنتك والزواج، هذه جريمة، بل إن هذا ورد في آية كريمة عجيبة، قال تعالى:

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾

[سورة النور الآية: 33]



هل هناك على الأرض إنسان واحد, يجبر ابنته على الزنا؟ مستحيل، ولكن حينما يعضلها، وحينما يضع العراقيل أمام زواجها، وحينما يضع الشروط التعجيزية للزوج إلى أن تبور البنت، قالت له: حرمك الله الجنة، -ولم تستح منه-، كما حرمتني الزواج يا أبت .

ويوم القيامة تقول البنت المتفلتة: يا رب, لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي، لأنه ما رباني، فالأبوة الكاملة شيء ثمين جداً، قال:

((أن تصلي عليهما، وأن تنفذ عهدهما))

ترك أب لأولاده أربع بنايات، وفي حياته رجاني أن أكون ناظر وصية بمئة ألف ليرة, تُدفع في وجوه الخير، واللهِ أولاده الذين أخذوا منه أربع بنايات, ما طابت نفسهم بإنفاق مئة ألف ليرة على روح والدهم، أو على وصية والدهم .

لذلك: يا أخوان, درهم تنفقه في حياتك خير من مئة ألف درهم يُنفق بعد مماتك، لا تكن تحت رحمة أحد، عندي في البيت نحو تسع وصايا، أتلفتها كلها، ولم تنفّذ واحدة، الأبناء يقبضون أيديهم، أين أنت ذاهب يا أخي؟ قال: أنا ذاهب لأسكر على روح أبي، إذا لم يربِّ الإنسان أولاده, هذا ما يجنيه .

كيف تبر أبويك بعد موتهما؟ :

أيها الأخوة, أول شيء أن تصلي عليهما، وأن تدعو لهما، وأن تفذ عهدهما، أوصتك والدتك بأختك، لا بد أن تنفذ وصيتها، عينك على أختك، اتركها في هذا البيت، وأنت غني، ولكن النتيجة أن يباع البيت، ويضعها في آخر الدنيا, حتى يأخذ المليونير حصته من البيت، يبيع البيت، ويسكن أخته في أطراف المدينة، وأمه قالت له: اترك أختك في البيت، لا تبع البيت.



بالمناسبة: أخواننا الكرام، هناك وصية حرام، عندك بيت مساحته سبعون متراً، وعندك خمسة أولاد وزوجة، وقلت: ثلث مالي للفقراء، ليس عندك إلا هذا البيت، ماذا يفعل أهلك؟ يبيعون البيت حتى ينفذوا الوصية؟ هذه وصية حرام، تركت بيتاً فقط، مأوى صغير، وعندك خمسة أولاد وزوجة، اتركه كما هو، همْ أهمّ من وصية، ليس كل وصية مقبولة عند الله عز وجل، شغّل أولادك، تسكنهم في أطراف المدينة، يفتقرون، من أجل أن تدفع لطلاب العلم، إذا كنت في بحبوحة فلا مانع، والأولى أن تدفع، أما إذا لم يكن لديك إلا بيت واحد, فينبغي أن تبقيه لهم, دون أن تحملهم على بيعه .

أن تصلي عليهما، وأن تدعو لهما، وأن تنفذ عهدهما، وأن تصل صديقهما، أصدقاء والدك، صديقات والدتك، ينبغي أن تحتفل بهم بعد موت الأب والأم، ينبغي أن تزورهم في العيد، وأن تصل صديقهما، وأن تنفذ عهدهما، وأن تصل الرحم التي لم يكن لها صلة إلا بهما ، فهذا الذي بقي لك من برهما بعد موتهما، هذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك الأب سبب وجودك، إذًا: ينبغي أن يعامَل أطيب معاملة .

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قال,

((قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ أبَرَّ البِرِّ, أنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أهْلَ وُدِّ أبيه))

[أخرجه الترمذي في سننه]

واللهِ فيما أعلم قديماً, السلف الصالح حينما يتوفى الأب، أخوته أو أصدقاؤه, يعاملون أولاد صديقهم المتوفى كأنهم أولادهم .

سبب شروع الوصية الواجبة :

هناك في الوصية الواجبة نقطة, لم ينتبه إليها أحد منكم، هل نسي الشرع إذا مات الإنسان في حياة والده, أنّ أولاده لا يرثون شيئا؟ في الوصية الواجبة لهم حصة أبيهم كما لو كان حياً، أما في أصل الشرع فليس لهم شيء، هل نتهم الشرع أنه نسي؟ .

أب له خمسة أولاد، أحد أولاده مات في حياته، بحسب نظام الإرث الإسلامي لا يرث الأولاد شيئاً، لأن أباهم مات في حياة جدهم، والمال كله لعمومهم، القانون معه وجهة نظر، أعطى الأولاد بالوصية الواجبة حصة أبيهم المتوفى, كما لو كان حياً، ما وجهة نظر الشرع في هذا؟ .



إذا كان هناك أربعة أعمام، والأب ترك ميراثاً، وحصة الأب المتوفى فرضاً خمسمئة ألف، إذا أعطينا الأولاد الخمسة الأيتام خمسمئة ألف أفضل، أم نأخذ الخمسمئة لنا، ونرعاهم طول حياتهم، نزوج البنات، ونؤمّن عملاً للشباب؟ . الله عز وجل أراد من العمّ أن يكون أبًا، قال له: خذ حصة أخيك المتوفى، وارع أولاده كأنهم أولادك، هذه الحكمة، فلما تقاطع الناس، وتدابروا، وقصّر الناس في حقوق بعضهم بعضاً، وجدت الدولة نفسها, أن تسنّ قانون الوصية الواجبة، بسبب التدابر .

رجل يتكلم بمئتي مليون، له أخ فقير جداً، وابن هذا الأخ من أخواننا، هذا العم الغني المليونير, أتى بأكل يوم التعزية، ودعا الناس، وضيّف بثمانية آلاف ليرة على حساب الأيتام ثمن الطعام، ما سخت نفسه بدفع ثمن الطعام، تجد العم مليونيراً، والأخ فقيراً، ليس هناك رحمة أبداً.

لذلك أيها الأخوة:

((إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ, عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ:

((أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَعْرَابِ, لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ, فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ, فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ، وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ, فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا, كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ))

انظر إلى وفاء النبي لخديجة :

كان النبي صلى الله عليه وسلم, لما تأتي امرأة من صديقات خديجة, يكرمها إكراماً منقطع النظير، تقول له السيدة عائشة:

((من هذه؟ فيقول صلى الله عليه وسلم: هذه كانت تغشانا أيام خديجة))

صديقة زوجته .

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

((مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ رضي الله عنها, وَمَا رَأَيْتُهَا قط, وَلَكِنْ كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا, وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ, ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً, ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ, فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ! فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ, وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]

إذا كان للرجل زوجة ثانية, يتفنن في ذم الأولى، يقول: ارتحنا منها، حتى يرضي الثانية, يتهم الأولى بأشياء هي بريئة منها، أما النبي فكان وفياً .

((وَلَكِنْ كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا, وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ, ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً, ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ, فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ! فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ, وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]

قصة لها تأثيرها :



أنا تأثرت بقصة تأثراً بالغاً، السيدة خديجة وقفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت سنده من الداخل، عمه أبو طالب كان سنده من الخارج، أما خديجة فهي سند داخلي، وأنا درّست سيرتها، شيء مذهل، زوجة لا مثيل لها في الود, والوفاء, والمعاونة، وثابتة، توفيت رضي الله عنها، ولم تكتحل برؤية نصر المسلمين، فلما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة، أين سينام في مكة؟ ما من بيت في مكة إلا ويتمنى صاحبه أن ينام فيه .

قال عليه الصلاة والسلام:

((انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة))

وغرس راية الحرب على قبرها، هذه المرأة كانت أحد أسباب نجاح الدعوة.

((انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة))

ونصب راية الحرب على قبرها, تنويهاً إلى فضلها في الدعوة، هذا الوفاء .

من وفائه للأنصار :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:

((خَرَجْتُ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه, فِي سَفَرٍ, فَكَانَ يَخْدُمُنِي, فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَفْعَلْ, فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْأَنْصَارَ, تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا, آلَيْتُ على نفسي, أَنْ لَا أَصْحَبَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا خَدَمْتُهُ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]

اقتدى بأصحاب رسول الله في خدمة الأنصار .

وكان وفاء النبي صلى الله عليه وسلم عجيباً، لما أعطى الغنائم لأناس مؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار, وجدوا عليه في أنفسهم .

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:

((لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى, مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ, وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ, وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ, وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ, حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمِ الْقَالَةُ, حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ, فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ, فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ, إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ –غضبوا– لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ, الَّذِي أَصَبْتَ, قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ, وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ, وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ, قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ, مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي, –أي أنا أيضاً واجد عليك–, وَمَا أَنَا قَالَ، فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ, قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ, فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ, قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ, فَتَرَكَهُمْ, فَدَخَلُوا, وَجَاءَ آخَرُونَ, فَرَدَّهُمْ, فَلَمَّا اجْتَمَعُوا, أَتَاهُ سَعْدٌ, فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ, قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, فَحَمِدَ اللَّهَ, وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ, ثُمَّ

قَالَ:

يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ, مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ, وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ, أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ؟ -قال: أنا هديتكم، فهداكم الله، أرأيت إلى هذا التواضع؟-, وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ قَالُوا: بَلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ, قَالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ, وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ؟ -دقق الآن، وقد شرحت هذه القصة مرة في خطبة، كان عليه الصلاة والسلام بإمكانه أن يفعل, كما يفعل فعلَ الأقوياء، أن يلغي وجودهم، لأنهم انتقدوه، وكان بإمكانه أن يهدر كرامتهم، وكان بإمكانه أن يهملهم، وكان بإمكانه أن يعاتبهم لصالحه، ما الذي فعله معهم؟ ذكّهم بفضلهم عليه- .

قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ, لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ, فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ, أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ, وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ, وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ, وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ, -إن قلتم هذا, فأنتم صادقون، وإن قلتم للناس يصدّقونكم-, أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدُّنْيَا, تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا, وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ, أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ, وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ؟ . فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ, لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ, وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا, وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا, لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ, اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ, وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ, وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ, قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ, وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا, ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وَتَفَرَّقْنَا))

كان تعليقي على هذه القصة: كان الله في عون كتّاب السيرة، هذه القصة أين مكانها؟ مع وفائه، أم مع رحمته، أم مع حسن سياسته، أم مع تواضعه؟ أين؟ هكذا كان النبي عليه الصلاة والسلام .

خاتمة القول :

أيها الأخوة، في النهاية: الإسلام أخلاق، ومكارم الأخلاق هي الدين كله، ومن زاد عليك بالخلق زاد عيك في الدين .

فالنبي صلى الله عليه وسلم كله وفاء، كله تواضع، كله رحمة، حتى إن بعض العلماء قالوا:

((الشريعة رحمة كلها، عدل كلها، مصلحة كلها، حكمة كلها، أية قضية خرجت من العدل إلى الظلم، من المصلحة إلى المفسدة، من الحكمة إلى ضدها، فهي ليست من الشريعة، ولو أُدخلت عليها بألف تأويل وتأويل))

الدرس (4-5) : عيد الأم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، و زدنا علما ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

تمهيد :

أيها الإخوة الكرام ؛ بعض الإخوة الكرام لِمَ لَمْ تجعل خطبة الجمعة حول موضوع عيد الأم ، الحقيقة أن هذا العيد مستورد استيراد ، سأذكر لكم قصة عشتها قبل سنوات عدة :

أنظمة التعليم العالي في بلدنا وأنظمة البعثات لا تسمح لإنسان يحمل أعلى شهادة أن يُعيَّن في هذا البلد ما لم يحمل شهادة ثانوية سورية ، معه دكتوراه ، معه بورد ، لا يُعيَّن إلا إذا كان يحمل شهادة ثانوية سورية ، هذا النظام حرمنا من كثير من أبنائنا النابغين والمتفوّقين ، لذلك ظهر في السبعينات تعديل لهذا النظام أن كل إنسان يحمل شهادة عالية ؛ دكتوراه فما فوق ولا يحمل شهادة ثانوية سورية ، بإمكانه أن يتقدّم بامتحان يعادل الشهادة الثانوية ، والحقيقة امتحان شكلي ، مادة لغة عربية ، ومادة جغرافيا ، وتاريخ ، فإذا نجح في هذا الامتحان الشكلي عُدّ ممن يحمل الشهادة الثانوية السورية وعُيّن ، وبهذه الطريقة استقبلنا طلابنا اللذين حصلوا على شهادات عليا ولم يحملوا الشهادة الثانوية السورية .



هذا الكلام لا يعنينا إطلاقا ...

لكن مرة أنا كُلِّفت أن أصحِّح أوراق اللغة العربية في هذه الشهادة ، في العام الواحد هناك ورقة ستة عشر أو عشرون أو خمسة عشر ، كل عام العدد لا يزيد عن عشرين ورقة، مرة طرق بابي رجل فسألني : هنا بيت فلان ؟ فقلت : نعم أنا فلان ، قال : لي عندك

حديث خمس دقائق ، تفضل ، قال لي : أنا طبيب أعمل في بريطانيا ، في مانشيستر ، ودخله ثمانية آلاف جنيه بالشهر ، هذا رقم خيالي ، وسيارته جاكوار ، و أراد أن يعود إلى بلده مختارا ، وقبِل أن يتقاضى راتبا في بلده في السبعينات لا يزيد عن ثلاثة آلاف ليرة ، من ثمانية آلاف جنيه استرليني إلى ثلاثة آلاف ليرة سورية ، على أن يعمل في جامعة دمشق ، قلت له : ما الذي حملك على أن تعود إلى بلدك ، وأن تعمل في هذا البلد الطيب ، طبعا الدخل قليل ، قال : قصة عاينتها في البناء الذي أسكنه في مانشيستر ، ما هذه القصة ؟ قال : يسكن في الطابق السادس ، في البناء الذي أسكنه فيه بالذات رجل إنجليزي ، وقد توفي في بيته ، ومضى على وفاته ستة أشهر ، الطقس في الشتاء بارد ، وآخر طابق ، والبيت محكم الإغلاق ، إلى أن تفسخت الجثة ، وشعر الجيران أن هناك إنسان ميت في الطابق العلوي ، طبعا اقتحموا الباب عن طريق الشرطة ، منظر لا يُصدَّق ، إنسان متفسخ أسود اللون ، روائح ، و دود ، الآن قصة طبيعية ، أما الشيء غير الطبيعي أن لهذا الرجل ستة أولاد مقيمين في لندن ، و ما خطر لواحد منهم أن يزوره في هذه الأشهر الستة مرةِ واحدة ، قال لي :

من أجل هذا عدت إلى بلدي .

هؤلاء يحتاجون إلى عيد أم ، وعيد أب ، لكن نحن عندنا في ديننا الإسلامي إذا لا تزور والدتك كل يوم ، إذا لا تقدم لها كل الخدمات ، فأنا لا أحب أن نستورد عيدا استيرادا ، طبعا مع تقطُّعه العلاقات و ضعف الدين ، العيد جيد ، مناسبة ، مجرد أم ، أما أنا أتحدث من زاوية المسلم ، من زاوية الإنسان العادي الضائع التائه الشارد ، الذي ثقافته غير دينية ، والله عيد الأم لا بأس به ، نحن اقترينا أن نكون مثل هذه المجتمعات، لكن لما أنا أخاطب مؤمنين ، رواد مسجد ، طلبة علم شرعي ، حينما أخاطب هؤلاء أستحي أن أقول لهم ينبغي أن تحتفلوا بعيد الأم ، وأن تقدِموا لأمهاتكم هدية في هذه المناسبة ، طبعا قدِّموا لها هدية ، أنا لا أعترض عن تقديم الهدية ، ولكن أعترض على أن تقدِّم لأمك هدية في العام يومًا واحدا ، هنا الاعتراض ، يجب أن تبرها كل يوم ، و الحد الأدنى كل أسبوع ، الحد الأدنى ، إذا كنت مشغولا ، غارقا في متاعبك كل أسبوع ، بالمقابل أخ كريم في هذا المسجد حدَّثني بقصة سأرويها لكم لفائدتها .

أب عنده خمسة أولاد فجأة رأى في إبهامه ؛ إبهام قدمه الأيسر رأى سوادا ، فلما ذهب إلى الطبيب ، قال له: هذا السواد مرض خطير ، هذا المرض مرض الموات ، اسمه الأجنبي " GARGARINE" فقال الطبيب : لا بد من قطع الإبهام اليوم ، غدا قد يُقطع مكان أكبر ، بعد أيام القدم ، لهذا الأب خمسة أولاد ، الأربعة أولاد قالوا : لا حول ولا قوة إلا بالله ، هذا أمر الله ، وهذا قضاء الله و قدره ، ووافقوا أن يُقطع إبهام أبيهم ، إلا أنّ أحد هؤلاء الأولاد يبدو على برٍّ شديد بوالده ، وعلى محبة قصوى ، اعترض على أن يُقطع إبهام أبيه،

فقال له الطبيب : أنت مخطئ يا بني ، إن لم نقطع الإبهام اليوم قطعنا القدم بعد أيام ، فلما رأى الطبيب هذا الابن يهوي من شدة الألم ، و يتألم ، و يتوسل ، ليس هناك طريقة ، لا يوجد حل ، لا يوجد علاج ، هذه قصة واقعية ، مع قريب أحد إخواننا ، يبدو أن الطبيب احترم هذا الابن ، رأى فيه البِرَّ و المودة و المحبة لأبيه ، قال له : واللهِ يا ابني هناك علاج لكن احتمال نجاحه خمسة بالمائة ، هذا الإبهام يحتاج إلى ثلاث حمامات كل يوم ، و الحمامات مع مواد معينة ، ولمدة طويلة جدا ، و هناك احتمال أن تنجح هذه المعالجة دون قطع إبهام أبيك ، قال له : أنا أتكفل بها ، طبعا قال له : حينما نشاهد السواد امتدّ ميليمتر لابد من قطع الإبهام ، أما إذا توقف السواد ، ثم تراجع ، فهذا احتمال النجاح بالمائة خمسة ، فهذا الابن يعمل موظفا و يسكن في مزرعة ، والده يسكن في الجادة السادسة في المهاجرين ، فكان يخرج من بيته الساعة السادسة صباحا إلى بيت أبيه ، يجري له هذا الحمّام مع المواد و ينطلق إلى عمله ، و ظهرا يأتي إلى بيت أبيه مرة ثانية و يجري له حماما ثانيا و يعود إلى بيته ، و مساء يأتي إلى بيت أبيه ، و بقي على هذه الحالة ستة أشهر ، دون أن يزداد السواد ، و بعد هذه الأشهر الست تراجع السواد و شفي إبهام الأب ، الجائزة في الآخرة ، لكن الأخ الذي روى لي القصة قال لي : هذا الابن الآن حجمه المالي مائتا مليون فما فوق ، وأخوته ليس معهم قرش ، الأربعة الذين قالوا : لا حول و لا قوة إلا بالله ، طبعا أنا ما أردت أن تكون هذه الجائزة ، الجائزة الجنة ، و لكن لا يمنع أن تكون الجائزة في الدنيا و جائزة في الآخرة ، الله وفقه لعمل تجاري ، و أموره ارتقت سريعا ، فنحن عيد الأم هو عيد المسلم كل يوم .

بر الوالدين من خلال القرآن الكريم

الآية الأولى قال تعالى : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ...

الآن :

حتى الإنسان لا يغلط عندنا شيئان ، إن تمسكنا بهما لا نغلط إطلاقا ؛ كتاب الله وسنة رسوله ، الله عز وجل قال :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة النساء الآية : 36]



هذه الواو واو العطف من لوازمها أنه لا بد من تناسب بين المتعاطفين ، لا بد من مشاركة بين المتعاطفين ، لا بد من تشابه بين المتعاطفين، أي أن الله رفع برّ الوالدين إلى مستوى عبادته ، فالأمر الذي يرقى إلى مستوى العبادة هو بر الوالدين ، لكن هنا سؤال ؛ هل تعلمون أن في الأديان السماوية كلها توجيها ربانيا واحدا يدعو الآباء إلى العناية بالأبناء ؟ الجواب لا ، كما أنه ليس هناك أمرا في أيّ دين سماوي بتناول الطعام ، لماذا ؟ لأن تناول الطعام تحصيل حاصل ، لأن الله عز وجل ركّب في بنية الإنسان دافعا إلى الطعام ، هذا الدافع يتمثل في الشعور بالجوع ، وهذا الشعور بالجوع لا يقاوم ، إذًا من نافلة القول ، و ما يسميه علماء العقيدة تحصيل حاصل ، أن يكون هناك أمر بتناول الطعام ، بالمقابل ليس في الدين الإسلامي كله أمر بالعناية بالأبناء ، لماذا ؟ لأن هذا مركّب في أصل الفطرة ، في أصل الطبع ، و كل شيء مركب في أصل الطبع لا يحتاج إلى أمر ، لا حاجة ، و خير دليل على ذلك اذهب إلى مستشفى الأطفال ، وانظر إلى الأمهات كلهن ، من كل الأجناس ، ومن كل الثقافات ، و من كل المستويات ، أودع اللهُ في قلب كل أمٍّ و في قلب كل أب شيئا فطريا يدفعه إلى العناية بابنه ، لذلك لا تجد في القرآن و لا في السنة أمرا يحضُّ الآباء على أن يعتنوا بأبنائهم ، إذًا العناية بالأبناء طبعٌ مركب في الإنسان ، فالأمر به لا معنى له ، بل هو تحصيل حاصل ، لكن العناية بالآباء و الأمهات ، بر الآباء و الأمهات هذا فيه تكليف ، لأنه ليس مركبا في طبع الإنسان ، بمعنى ، لما الشاب يتزوج مع من مصلحته ؟ مع زوجته ، يعني متعته في الدنيا مع زوجته ، و مع أولاده ، و علاقاته الحميمة مع أصدقائه ، الأب والأم أغلب الظن من جيل آخر ، هو الآن شاب ، وأبوه من جيل آخر ، فالأب و الأم عبء على الإنسان، لذلك جاء التكليف ، التكليف ما كان مخالفا للطبع .



أما حينما يكون الشيءُ مركبا في طبع الإنسان لا يحتاج إلى أمر ، كما أننا لا نحتاج إلى أمر إلهي بتناول الطعام ، لا يوجد آية " كلوا " هذا أمر إباحة ، " و كلوا و اشربوا " هذا أمر إباحة، و ليس أمر إلزام ، الإنسان عنده دافع إلى الطعام يدفعه إلى الطعام دون أن يشعر ، إذًا حينما تعتني بابنك ، أنا لا أقول : ليس لك أجر ، إذا أطعمته واعتنيت به ، العناية العادية أنت تلبِّي حاجة من حاجاتك النفسية ، أما حينما تنشئه تنشئة دينية ، وهذا يحتاج إلى جهد ، يحتاج إلى صبر ، و يحتاج إلى متابعة ، يحتاج إلى مراقبة ، يحتاج إلى جلسات طويلة تعكف فيها على توجيهه ، يحتاج إلى أن تأخذه معك إلى الأمكنة الطيبة ، إلى المساجد ، هو عبء عليك ، الأب لما يربِّي ابنه تربية إسلامية دينية راقية له أجر لهذا العبء الذي يحمله ، أما حينما يرى ابنه في صحة طيّبة ، إذا ارتفعت حرارته يأخذه إلى الطبيب فورا ، لأن الأب متألِّم ، الأب يريح نفسه لما يعالجه و يعطيه الدواء ، إذًا الشيء المألوف بين الناس ، العناية بالأبناء بالمستوى المألوف هذا فطرة في الإنسان و طبع ، أما حينما تعتني بابنك العناية الفائقة التي تجعله فيها مؤمنا مستقيما طاهرا عالما طالب علم شرعي ، حينما تجعل من هذا الابن ، كما قالت امرأة عمران :

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي ﴾

[سورة آل عمران الآية : 35]

عندئذ لك أجر كبير جدا ، بل إن كل أعمال أولادك الذين ربّيتعهم هذه التربية و نشّأتهم هذه التنشئة في صحيفتك ، قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾

[سورة الطور الآية : 21]

أي ألحقنا بهم أعمال ذرياتهم ، قال تعالى :

﴿ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾

[سورة الطور الآية : 21]

الآية الثانية قال تعالى : ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا ...

وقال تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ﴾

[سورة الأحقاف الآية : 15]

الآية الثالثة قال تعالى : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالولدين إحسانا

و قال تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء الآية : 24]

طبعا الآيات كثيرة جدا حول بر الوالدين .

بر الوالدين من خلال الأحاديث الشريفة .

الآن أيها الإخوة ؛ أمامي كتاب " الترغيب و الترهيب " وهو اسم على مسمّى ، في فصل الترهيب من عقوق الوالدين ، في فصل آخر : الترغيب في بر الوالدين .

الحديث الأول : حرم عليكم عقوق الوالدين ....

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ وَوَأْدَ الْبَنَاتِ وَمَنَعَ وَهَاتِ وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ))

[رواه البخاري]

الحديث الثاني : عقوق الوالدين من الكبائر ....

إخواننا الكرام ؛ يجب أن تعلموا أن عقوق الأمهات من أكبر الكبائر .

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ))

[رواه البخاري]

أي الشيء الذي لا يُغفر ، الإشراك بالله ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾

[سورة النساء الآية : 48]



و مع الإشراك بالله عقوق الوالدين ، و أؤكد لكم لما الإنسان يكون بارا بوالديه يشعر بسعادة لا توصف ، يشعر أنه في مرضاة الله ، و يشعر أنه أدّى واجبه تجاه من كانا سببا في وجوده ، نعمة الإيجاد من سببها ؟ أبوك وأمك ، نعمة الإمداد ، هذه نعمة من الله مباشرة ، الماء و الهواء و الطعام و الشراب ، نعمة الهدى و الرشاد لمن دلّك على الله ، لذلك قالوا:

لك آباء ثلاثة ؛ أبٌ أنجبك ، و أب زوّجك ، وأب دلّك على الله .

الأب الذي أنجبك هو الأب النسبي ، والأب الذي زوّجك عمّك .

كثير من الأشخاص يتطاولون على عمه ، عمك والد زوجتك ، ربَّاها لك ثمانية عشر سنة ، عشرين سنة ، كم ليلة أخذها على الطبيب ؟ وكم ليلة اعتنى بتربيتها ، و بأخلاقها و بذهابها و حضورها ، حتى أصبحت مكتملة ، جسما و عقلا و نفسا ، ثم زوّجك إياها ، و أنت الآن ندٌّ له ، تحاسبه حسابا عسيرا ، هذا من سوء معرفة الله عز وجل ، و من ضعف المعرفة ، و من ضعف الإيمان .

هناك أب أنجبك ، و هناك أب زوّجك ، و هناك أب دلّك على الله .

الحديث الثالث : ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه ....

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ - أي المسترجلة - وَالدَّيُّوثُ وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى))

[رواه النسائي]

طبعا الديوث لها معنيان ؛ الذي لا يغار على عرضه ، هذا المستوى الشائع ، والمستوى الضيق هو الذي يرضى الفاحشة في أهله ، هذا لا يريح رائحة الجنة ، الذي لا يغار على أهله ، أي زوجته تنشر الغسيل في الشُّرفة بقميص النوم ، أمام الناس ، تحت سمعه و بصره ، ليست مشكلة ، وضع طبيعي ، روح رياضية ، هذا الذي لا يغار على عرضه أو يرضى الفاحشة في أهله ، هذا سمّاه النبي عليه الصلاة و السلام ديُّوثا ، هذا لا يريح رائحة الجنة ، هو مع العاق لوالديه .

الخلاصة :

فنحن الدرس اليوم من أجل أن يكون كلُّ يوم عيدَ أمٍّ ، كل يوم، الإنسان لا يظن بزيارة والديه كل يوم ، لم يتمكن كل يوم ، فيوم نعم و يوم لا ، لم يتمكن بالأسبوع فيومين ، لم يتمكن فيوم الجمعة ، لأنه أحيانا الأب قد يكون في غنى عن ابنه ، في غنى عن مال ابنه ، لكن لا يوجد أب على وجه الأرض في غنى عن أولاده .

أحد إخواننا الكرام سافر إلى ألمانيا بحكم العمل ، فهناك الفنادق مكتظة ممتلئة ، قال لي : سكنًّا في بيت ، سكن في بيت ، البيت فيه امرأة متقدمة في السن تسكن وحدها ، و عندها حديقة من أجمل الحدائق التي رآها في البيوت ، معتنى فيها عناية تفوق الخيال ، هذه المرأة المتقدمة في السن لا شغل لها في الحياة ، و لا همَّ له إلا أن تعتني بهذه النباتات المنسقة والجميلة ، اي في البيت حديقة من الحدائق النادرة في المنازل ، فلما سأل هذه المرأة المتقدمة في السن عن هذه العناية الفائقة بالحديقة ، قالت : من أجل أن أقنع أولادي أن يأتوا إليّ في العام مرة واحدة ، يروا هذه الحديقة ، قال لي : بعد أيام يبدو ، ولا أذكر أنه عيد خاص بالأم ، أو عيد الميلاد ، العيد الأساسي في المجتمع هناك ، هيَّأت نفسها بالأكلات الطيِّبة ، الحلويات ، شيء خلاف المعقول، وهي تنتظر أن يأتي أولادها ، وهم في نفس المدينة ، في نفس المدينة ، ثم فوجئت أن الأولاد كلهم لم يأتوا ، واحد اتصل بها هاتفيا واعتذر لها ، واحد بعث لها بطاقة ، ولم يأت أحد ، فانكمشت على نفسها و أصابها غمٌّ و همٌّ ، في مثل هذه المجتمعات فعلاً هم بحاجة ماسة إلى عيد الأم ، إذا كان الابنُ في نفس المدينة ، والدته تعتني بالحديقة طوال السنة ، و تهيِّئ كل الأكلات الطيِّبة ، حتى يتنازل ابنُها و يزورها.



ومع ذلك واحد اتصل بالهاتف واعتذر ، و الثاني بعث بطاقة ، وما أحد زارها في النهاية، فنحن نقول لمثل هذه المجتمعات المتدابرة التي تحطّمت فيها الأسرة ، التي تفكّكت فيها العلاقات الإنسانية لمثل هذه المجتمعات هم بحاجة ماسّة إلى عيد الأم ، ونحن هذا شيء طيّب ، هذا من الأعمال الطيبة ، لكن لا يمنع أن يكون كلُّ يوم من أيام العام عيد طالب العلم الشرعي ، و عند المسلم الحقيقي، و عند المؤمن الذي يغار على دينه ، أن يكون كل يوم عنده عيد أم ، ومن عادتي أنا كذلك ، كذلك هناك إخوان يأخذون عليّ : أنت يا أخي لم تكلِّمنا و لو مرة عن عيد الميلاد في رأس السنة على ما يجري في الفنادق ؟ أنا لي رأي خاص ، هؤلاء الذين أمامي لا يرتادون هذه الأماكن ، فما معنى أن أحدِّثهم عن هذا الموضوع ؟ و الذين يرتادون هذه الأماكن لا يرتادون إليَّ ، فالشيء الطبيعي ، لما نقول لواحد راق جدا : حذارِ أن تسرق ، هذه إهانة له ، حينما أنهى إنسانا في أعلى درجات الأمانة عن السرقة ، هذه في الحقيقة إهانة ، و في البلاغة يقولون : أن يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال ، قال لك واحد : كم الساعة معك ؟ تقول له : واللهِ العظيم ، واللهِ العظيم والله العظيم الساعة السابعة ، هذا إنسان غير بليغ ، لم ينكر عليك كم الساعة ، ولا طلب منك أن تحلف باليمين ، فإذا لم يأت الكلام مطابقا لمقتضى لحال ، فالكلام غير بليغ ، لو أنك أرسلت طفلا صغيرا لوضع رسالة في البريد ، ماذا تقول له ؟ تقول له خمسين كلمة ، اذهب للمكان الفلاني و اشترِ الطابع بهذا المبلغ بالذات أنت وانتبه ، و بلّله و ضعه على الظرف بشكل محكم ، وادعكه بيديك ، وأمسك الرسالة و اذهب إلى الصندوق الأحمر الفلاني فيه شقٌّ عرضي ، ضع الرسالة هناك ، هذا كله من لوازم مخاطبة الطفل الصغير ، أما لو كان صديقا من سِنّك ، تقول له : هذه من فضلك في طريقك ضعها في البريد، التفصيل مع صديقك عيبٌ ، و الإيجاز مع الطفل الصغير ، فتعريف البلاغة : أن يأتي الكلام مطابقا لمقتضى الحال ، إذًا نحن إذا تحدّثنا عن الأم فكي يكون كل يوم من أيامنا عيد أم، و أحد أسباب التوفيق في الحياة ، أحد أسباب التفوّق أن يكون الإنسانٌ بارًّا بأمّه و أبيه .

الحديث الرابع : العاق لوالديه لا يجد ريح الجنة ....

وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال عليه الصلاة و السلام :

((يراح ريح من مسيرة خمسمائة عام ، العاق لوالديه لا يجد ريح الجنة ، و إن ريح الجنة ليجده الإنسان من مسيرة خمسمائة عام))

أحيانا الإنسان يسبّب لوالديه الشتم .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ))

[رواه البخاري]

و الحديث يتوسّع معكم أكثر لو وسَّعته ، أيُّ إساءة لأيّ إنسان تسبب أن يسبَّ هذا الإنسان والديه ، فأنت الذي سبّبت ذلك بنفسك ، إذا أهملت عملك ، أو أخلفت موعدا ، و هناك شخص سفيه ، رأسا يسب أباك مباشرة ، هذا على ألسنة الناس ، مسبة الأب شيء أصبح من لوازم السباب ، فكل إنسان يسيء في عمله ، في مهنته و اختصاصه و حرفته ، يخلف موعدا ، يأكل مالا حراما ، يسيء و يعتدي ، فالسفهاء ماذا يفعلون ، ؟ أول شيء يقابلك به يسبُّ الأب، من الذي سب الأب ؟ هو أنت بإساءتك ، هذا معنى الحديث .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ))

[رواه البخاري]

الحديث الخامس : يا معشر المسلمين اتقوا الله ....

حديث دقيق جدا ، عن جابر بن عبد لله رضي الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم نحن مجتمعون ، فقال :



((يا معشر المسلمين اتقوا الله ، وصلوا أرحامكم – دققوا في الكلام الآن – فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم ، و إياكم و البغي ، فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة البغي ، و إياكم و عقوق الوالدين ، فإن ريح الجنة توجد من مسيرة ألف عام ، والله لا يلجها عاق و لا قاطع رحم و لا شيخ زان ، و لا جارٌّ إزاره خيلاء ، إنما الكبرياء لله رب العالمين))

مفاد هذا الحديث الطويل يعنينا منه فقرات متعلقة بالدرس ، أنه لا يوجد شيء أسرع ثوابا في الدنيا من بر الوالدين ، و لا شيء أسرع عقوبة في الدنيا من عقوق الوالدين ، بالمناسبة ذنوب كثيرة ربما أرجئ عقابها إلى يوم القيامة ، إلا عقوق الوالدين فإن الله عز وجل يعجّل للعاق العقوبة في الدنيا قبل الآخرة .

الحديث السادس : كل الذنوب يؤخرها الله إلا عقوق الوالدين ....

وفي الحديث الواضح عن أبو بكرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله تعالى يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات))

[أخرجه الحاكم في مستدركه]

تلاحظ أحيانا ينزل بالإنسان أشياء مدمّرة بسبب عقوقه لولديه ، هذا هو الترهيب من عقوق الوالدين ، أنا بدأت به كي أنهي الدرسَ بالترغيب في بر الوالدين ، آخر انطباع يكون الترغيب لا الترهيب .

الحديث السابع : أي العمل أحب إلى الله الصلاة على وقتها ثم بر الوالدين ....

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ :

((الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))

[رواه البخاري]

أي أعلى الأعمال الصلاة على وقتها ، و بر الوالدين ، و الجهاد في سبيل الله .

الحديث الثامن : لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ))

[رواه مسلم]



أيضا هذا الحديث يمكن أن يتوسّع ، أي مهما فعلت لن تستطيع أن توفي حقهما إلا في حالة واحدة ، أن يهتديا على يديك ، الإنسان الله عز وجل قال :

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾

[سورة البلد الآيات : 11-13]

أي أيضا المعنى الواسع لهذه الآية ، الإنسان عبد لشهواته ، فما لم يتحرر من هذه العبودية من شهواته فلن يصل إلى الله عز وجل ، فإذا اقتحم العقبة :

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾

[سورة البلد الآيات : 11-13]

أي فكّ رقبته من العبودية لشهواته ، و النبي عليه الصلاة و السلام يقول عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ))

[رواه البخاري]

فالإنسان عبد لشهواته ، فإذا لم يتحرر من هذه العبودية لن يصل إلى الله عز وجل ، يضاف إلى هذا المعنى كما قال عليه الصلاة و السلام :

((لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ))

[رواه مسلم]

أي إذا واحد الله عز وجل هكذا قدَّر ، أو جعله إنسانا بعيدا عن الله ، لا يصلي ، و أحيانا يشرب ، إذا كان الله قدّر لإنسان ، لشاب مؤمن أن يكون من نسل أبٍ منحرف أو مقصِّر أو جاهل أو مرتكب لبعض الذنوب و المعاصي ، والابن بحكمة بالغة بالغة ، و بنفَس طويل ، و بصبر كثير ، و بدعوة لطيفة ، بخدمة فائقة ، إذا استطاع الابنُ أن يحمل أباه على التوبة و على أن يسلك طريق الإيمان ، يكون هذا الابن قد وفّى لوالده حقَّه عليه ، لا تستطيع أن توفّي لوالدك حقَّه عليك ولا لوالدتك إلا أن يجعل الله هداهما على يديك ، لكن هذا يحتاج إلى وقت .



سهل كثيرا أن تهدي صديقك ، الأب صعب كثيرا، لأنك كنت بضعا منه ، يقول : الآن ابننا يريد أن يعلمنا ، لذلك الذي يحاول أن يعين أباه على دينه يحتاج إلى صبر كبير وإلى حكمة كبيرة و إلى نفَس طويل ، و إلى خدمة فائقة ، لذلك الإنسان بالإحسان يمكن أن ينتقل إلى الهدى ، و قد قلت لكم في أصول الدعوة : الإحسان قبل البيان ، و الآمر قبل الأمر ، القدوة قبل الدعوة ، فأنت لا تستطيع أن تقول كلمة لوالدك إلا إذا كنت غارقا في خدمته ، و تلبية حاجاته ، فإذا تكلمت يصغي لك ، وإذا أصغى لك ، واستطعت أن تدعوه إلى بيت الله ، و قدرت أن تحمله على طاعة الله و ترك بعض المعاصي ، هذا عمل لا يُقدّر بثمن ، هو أنجبك ، وسبب وجودك ، أنت تقدر على أن تكافئه ، ليس هناك من مكافئة أعظم من أن تكون سببا في هدايته ، لذلك يقول عليه الصلاة و السلام :

((لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ))

[رواه مسلم]

بر الوالدين يعدل الجهاد في سبيل الله .

الآن عندنا عدة أحاديث مفادها أن بر الوالدين يعدل الجهاد في سبيل الله ، عدة أحاديث مضمونها بر الوالدين يعدل الجهاد في سبيل الله .

كما أن حسن تبعُّل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله ، إذًا جاهد .

تفضّل ، لك أب و أم ، فيهما فجاهد .

أيتها المرأة ألكِ زوج ؟ نعم ، حسن تبعلك له هو جهاد في سبيل الله .

أبواب الخير مفتّحة ، و الإنسان من تعنته أحيانا يقول : لا يوجد أعمال صالحة في هذا الزمن ، الأعمال الصالح لا يوجد أكثر منها دائما .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ :

((أَحَيٌّ وَالِدَاكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ))

[رواه البخاري]

هذا أول حديث ، و في رواية لمسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنْ اللَّهِ قَالَ :

((فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ قَالَ نَعَمْ بَلْ كِلَاهُمَا قَالَ فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنْ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا))

[رواه مسلم]

هذا الثاني ، الثالث ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ قَالَ :

((ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا))

[رواه النسائي]

هذا الجهاد ، صاروا ثلاثة .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْيَمَنِ فَقَالَ :

((هَلْ لَكَ أَحَدٌ بِالْيَمَنِ))

قَالَ : أَبَوَايَ .

قَالَ :

((أَذِنَا لَكَ))

قَالَ : لَا .

قَالَ :

((ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَاسْتَأْذِنْهُمَا فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا))

[رواه أبو داود]

أي برك لهما جهاد ، هذا الرابع ، الخامس :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ :

((أَحَيٌّ وَالِدَاكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ))

[رواه مسلم]

و حديث سادس :

عن أنس رضي الله عنه قال : أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : إني أشتهي الجهاد و لا أقدر عليه : فقال :

((هل بقي من والديك أحد ؟ قال : أمي ، قال : قابل اللهَ في برها ، فإذا فعلت ذلك فأنت حاجٌّ و معتمر و مجاهد .....))

[رواه أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط ، وإسنادهما جيد]



كم حديث ؟ ستة أحاديث صحيحة تؤكد أنك إذا كنت بارا بأمك و أبيك فأنت كالمجاهد في سبيل الله ، هذا كلام رسول ، و ليس كلام شخص ، كلام من لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، و كلما سمعتم حديث رسول الله تذكّروا قول سيدنا سعد : ثلاثة أنا فيهن رجل ، و ما في سوى ذلك فأنا واحد من الناس ؛ من هذه الثلاثة : ما سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا علمت أنه حق من الله تعالى ، الذي خلق هذا الكون أوحى إلى هذا النبي الذي هو رسوله و قد عصمه ، و قد أمرنا أن نأخذ منه ، الذي خلق هذا الكون أوحى إلى هذا النبي هذه التعليمات ، فهذه تعليمات الصانع ، و التعرف قيمة الحديث إلا إذا عرفت المتكلِّم ، المتكلم رسول الله ، والمتكلم الذي يوحَى إليه ، و العلماء قالوا : الوحي وحيان ، وحي متلو وهو القرآن ، ووحي غير متلو وهو السنة ، فكلام النبي كالوحي تماما ، إلا أن الصياغة من رسول الله.

هذا واحد سابع ، و أنا عددت ستة .

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ قَالَ

((وَيْحَكَ أَحَيَّةٌ أُمُّكَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ ارْجِعْ فَبَرَّهَا ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ الْجَانِبِ الْآخَرِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ قَالَ وَيْحَكَ أَحَيَّةٌ أُمُّكَ قُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرَّهَا ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمَامِهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ قَالَ وَيْحَكَ أَحَيَّةٌ أُمُّكَ قُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَيْحَكَ الْزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الْجَنَّةُ))

[رواه ابن ماجه]

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى وَلَدِهِمَا قَالَ :

((هُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ))

[رواه ابن ماجه]

أي برُّهما جنة ، وعقوقهما نار ، هما جنتك و نارك .

عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ))

[رواه ابن ماجه]

معنى ذلك أن أحد أسباب الرزق الوفير طاعة الله عز وجل ، والدليل ، قال تعالى :

﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً ﴾

[سورة الجن الآية : 16]

عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ))

[رواه ابن ماجه]

أي بر الوالدين .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[رواه البخاري]



هما جنتك ونارك

لكن أنا أخشى من قراءة هذه الأحاديث أن تفهموا شيئا ما أراده النبي ، النبي ما أراد أن تطيعا أباك و أمك في معصية الله ، و أكثر الناس " هكذا تريد أمي " هناك أمهات يأمرن أولادهن بتطليق نسائهن ، هذا كلام مرفوض ، و هذا كلام خلاف السنة ، أعط كل ذي حق حقه ، تسأل سؤالا : أبي ليس مستقيما ، أنت عليك أن تحسن إليه ، لا أن تطيعه في معصية الله ، لا تنسوا أن سيدنا سعد بن أبي وقاص لما أسلم قالت له أمه : لن آكل شيئا حتى تكفر بمحمد ، فقال : يا أمي لو أن لك مائة نفس ، فخرجت واحدة واحدة ما كفرت بمحمد فكلي إن شئت أو لا تأكلي .

معنى الإحسان والطاعة :

تلوت عليكم هذه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ، لكنني و أنا أتلوها أخشى أن تفهموا أنه عليك أن تطيع الأب طاعة مطلقة ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، الأمر ليس في الطاعة ، لو قرأت الآيات كلها ، الأمر بالإحسان للوالدين ، الله قال :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾

[سورة الإسراء الآية : 23]

الإحسان شيء ، و الطاعة شيء آخر ، الطاعة لله وحده ، و الإحسان للوالدين ، فأحيانا لا تفرّق العائلة يا ابني ، أغضب عليك ، خمس نساء في أبهى زينة ، زوجات الأولاد ، على صفرة واحدة ، هذا ينظر إلى امرأة أخية و يتمتع بها ، و هذا يمزح معهن ، هكذا تريد أمي ، هذا كلام مرفوض ، أقول لكم : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، و أقول لكم أيضا : لو قالت لك : أغضب عليك ، الله عز وجل لا يأبه لغضبها إذا

أمرتك بمعصية ، ولو كانت كلمة كبيرة ، أغضب عليك ، يثقل قلبي عليك ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، أنت بقدر الإمكان كن لطيفا ، و صاحبهما في الدنيا معروفا ، لا تتحدّاها ، إن شاء بصير خير ، أطيلي بالك علينا ، الله يصلح الأمور ، تكلم كلاما ، لطيفا ، و لو أردت أن تخالف أمرها ، تكلم كلاما لطيفا، و لكن أن تطيعها ، فإن الله عز وجل لا يرضى عنك ، هناك نموذج آخر أعرفه شائع جدا بين الناس، يقولون : يا رضى الوالدين ، ينسى رضا الله عز وجل ، فعلا يرضي أمه إرضاء كاملا ، أمه و أباه ، و يتفلت على حسب هواه ، قد أمّن كل شيء ، أرضى أمه و أباه ، واللهِ ما أمّنت شيئا ، الأصل إرضاء الله عز وجل ، فكل إنسان يتوهم أن أطاع والديه ، برّ والديه ، و أعطى لنفسه شهواتها و حظوظها ، و ترك الأصدقاء ، و سكر و ملاهي ، و يقول لك : الحمد لله أنا بارٌّ بوالدي ، هذا البر لا يقدِّم و لا يؤخر ، الله عز وجل يؤدِّب الإنسان ، أريد أن لا تكون المفهومات غلطا ، الآن في المجتمع هناك مفهومات غلط ، أن البار بوالديه موفّق ، هذا موفَّق إذا كان مستقيما على أمر الله ، يأتي بر الوالدين تاجا يتوِّج عمله ، أما إذا ترك أمر الله عز وجل ، و خالف منهج الله عز وجل ، ماذا يفعل هذا البر ؟ الله يؤدِّبه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم ، قال :

((عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم ، وبروا آباءكم تبركو أبناءكم ....))

كما تدين تدان ، البر لا يبلى ، و الذنب لا يُنسى ، و الديان لا يموت ، اعمل ما شئت كما تدين تدان . هناك قصص أعتقد أنكم كلكم تعرفونها ، أشخاص كثيرون أبناؤهم تطاولوا عليهم ، و ضربوهم في مكان معين ، و يقسم هذا المضروب أنه في هذا المكان قبل أربعين سنة ضرب والده فيه ، من هذا النوع أحفظ حوالي عشرين قصة ، لكن لا داعي للحديث عن التفاصيل ، بالمكان نفسه ، لذلك كما تدين تدان .

((عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم ، وبروا آباءكم تبركو أبناءكم ، و من أتاه أخوه متنصلا ، فلقبل ذلك ، محقا كان أو مبطلا ....))

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلْ الْجَنَّةَ))

[رواه مسلم]

أي بر الوالدين يكفي لدخول الجنة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي قَالَ أُمُّكَ قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ ثُمَّ أَبُوكَ))

[رواه البخاري]

لذلك لما سئل النبي :

من أعظم الرجال حقا على المرأة ؟ قال : زوجها ،

فلما سئل :

من أعظم النساء حقا على الرجل ؟ لم يقل زوجها ، قال : أمه ..."

أعظم النساء حقا على الرجال أمه ، و أعظم الرجال حقا على المرأة زوجها .

الآن هناك موضوع دقيق ، والدتك مثلا ليس فيها دين ، ولا تصلي ، سافرة ، تحب بعض المخالفات ، إياك أن تظن أن وضعها الذي لا يرضي الله يعفيك من برها ، اسمعوا الحديث :

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ :

((قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ وَهِيَ رَاغِبَةٌ - أي أن تزورني - أَفَأَصِلُ أُمِّي قَالَ نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ))

[رواه البخاري]

ألك عذر بعد هذا ؟ أدِّ الذي عليك ، واطلب من الله الذي لك ، أنت عليك أن تبر أمك و أباك ، وضعه جيد يصلي ، أو لا يصلي ، مؤمن ، إيمانه قوي ، إيمانه ضعيف ، له مخالفات، والدتك سافرة ، أبوك مثلا يمضي أوقاته وراء أجهزة اللهو ، هذا شيء لا علاقة لك به ، هذا أبوك ، هذا قدرك ، جعلك الله من نسله ، عليك أن تؤدي الذي عليك ، وأن تطلب من الله الذي لك ، دون أن تطيعه في معصية الله .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ))

[رواه الترمذي]

أي الإنسان إذا أرضى والديه فقد أدرك جزءا من رضاء الله ، دقق معنا ، إذا أرضى والديه ، هل أدرك بهذا الإرضاء كل إرضاء الله عز وجل ؟ لا ، هناك واجبات نحو أولادك ، و نحو زوجتك ، ونحو مجتمعك ، و نحو زبائنك ، نحو المرضى إذا كنت طبيبا ، نحو الموكل إذا كنت محاميا ، و نحو الطلاب إذا كنت مدرِّسا، عليك واجبات كثيرة ، فإذا أرضيت والديك ، أو بررت بوالديك فقد أدركت جزءا من إرضاء الله عز وجل ، لكن إرضاء الله لا ينال إلا بطاعته كله .

عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ قَالَ :

((هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ قَالَ لَا قَالَ هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَبِرَّهَا))

[رواه الترمذي]

معنى ذلك أن الخالة في منزلة الأم ، والذي له خالة أيضا لا بد أن يصلها .

الآن ، من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه من بعده ، أبوك ليس له أصحاب ، ليس له إخوان، فالابن الذي يريد أن يبر والده بعد وفاته ، فالباب مفتوح ، فليصل إخوان أبيه بعده .

من القصص التي تفيدنا جميعا ؛ أب له مجلس علم ، توفي ، صدقوني لو أن ابنه لزم هذا المجلس فكأنما برّه في حياته ، من في المجلس ؟ إخوان أبيك كلهم ، فإذا انخرط فيهم و انضم إليهم و لزم هذا المجلس ، فإن الأب يرضى في قبره ، فهذا من بر الأب ، أعرف أشخاص الأب له بيت ، كل ثلاثاء مجلس علم ، في لك البيت ، فلما توفي الأب تعهد ابنه أن يستمر هذا المجلس ما دام الابن حيًّا ، يأتي عالم جليل و يتكلم كلمتين ، و يقرؤون القرآن ، و يقرءون الحديث الشريف ، عشرون أو ثلاثون شخصا ، هذا البيت من ثلاثين سنة ، في كل ثلاثاء مجلس علم ، فلما توفي الأب تعهد الابن الأكبر على أن يستمر هذا المجلس مادمت حيا، شيء جميل جدا ، أبوك له إخوان طيبون ، أن تصلهم بعد موته ، فكأنما بررته في حياته، دققوا في الحديث .

عن أبي بردة قال : قدمت المدينة قال :

((فأتاني عبد الله بن عمر فقال : أتدري لِمَ أتيت ؟ قال : قلت : لا ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : من أحب أن يصل أباه في قبرِه فليصل إخوان أبيه بعده ، وإنه كان بين أبي عمر و بين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذلك))

في العيد القادم ، الذي له والد توفاه الله و انتقل إلى رحمته ، من هم إخوان أبيه ، طبعا المؤمنون ، و ليس المقصود أي أخ ، إذا كان لأبيه رفقاء سوء – أعوذ بالله – يعني إذا أبوك له إخوان طيبون ، إخوان في مسجد ، طلبة علم ، له شيخ ، فزر شيخ أبيك ، هذا من بر أبيك ، قال : و إنه كان بين أبي عمر و بين أبيك إخاء وود ، فأحببت أن أصل ذلك .

آخر حديث .

((عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ قَالَ بَيْنَا – أي بينما ، في اللغة بينما كبين – نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا قَالَ نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا))

[رواه أبوداود]

بعضهم قال : الصلاة هي الدعاء ، أن تدعو لهما في كل صلاة ، من دعا لوالديه في أعقاب كل صلاة فقد نفذ هذا الحديث ، نعم الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما ، فهذا الذي بقي لك من برهما بعد موتهما .

إخواننا الكرام ؛ بر الوالدين جزء أساسي من أوامر الله ، ونحن في بر الوالدين ندعم الأسرة ، كثير من الأسر يتوفى الأب ، وتتوفى الأم ، فيقول الناس : ما غاب إلا عين الأب و عين الأم ، الأولاد على وفاق ، على تواصل وعلى محبة و على تسامح ، أحيانا يتوفى الأب، بيت الأب كما هو في حياته ، مقر و مستقر و ملتقى ، فهناك أسر التواصل بينها شديد جدا ، وهذا من فضل الله عز وجل ، فأنتم تسمعون و أنا ألتزم الكتاب و السنة ، حتى لا أغلط ، وأي كلام آخر فيه مزلق ، فالكتاب و السنة ، القرآن و الحديث الصحيح ، هذا من عند الله عز وجل ، ليس فيه خطأ ، وليس فيه زلل، و ليس فيه مبالغة ، وليس فيه تقصير ، و ليس فيه طمس ، وليس فيه انحراف ، وليس فيه تناقض ، أنت مع كتاب الله و مع سنة رسول الله ، وهذه توجيهات و تعليمات الصانع .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : حقوق الأبناء على الآباء

الدرس (5–1) : اختيار اسمه

الدرس (5–2) : العلوم التي ينبغي أن يتعلمها

الدرس (5–3) : حسن تربيته

الدرس (5–4) : اختيار الأم

الدرس (5–5) : حسن تأديبه

الدرس (5–6) : تعليمه القرآن

الدرس (5–7) : العدل بالعطاء

الدرس (5-1) : اختيار اسمه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ؛ كما أن الإسلام أمر الأبناء أن يبروا آباءهم وأمهاتهم ، فإنه في الوقت ذاته وجه الآباء والأمهات إلى ضرورة الاعتناء بأطفالهم وأبنائهم ، وإعطائهم حقوقهم ، هذه الحقوق كثيرة تبدأ منذ أن يكون الولد فكرة ، فيأمر الإسلام الأب أن يحسن اختيار الأم ، ويأمر الأم أن تحسن اختيار الأب ، وكل ذلك إكراماً لهذا المولود القادم ليكون فرداً نافعاً في المجتمع ، هذه الحقوق التي تبدأ قبل ولادة المولود تابعوها معنا خلال هذه اللقاء الطيب .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الصادق الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أخوتي الأكارم ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، في مستهل حلقة جديدة من برنامجكم درر ، يسرني أن أرحب باسمكم جميعاً بفضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي.

الدكتور راتب :

بارك الله بكم .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل نحن كنا قد أنهينا الحديث في اللقاء الماضي ولله الحمد عن بر الوالدين ، وحقوق الآباء على الأبناء ، نود أن ننتقل اليوم إلى القيم في تعامل الآباء مع الأبناء ذلك أن الإسلام يرعى الطفل منذ أن يكون فكرة ، فكما تعلمون سيدي يبدأ حق الأبناء على الآباء من لحظة اختيار أمه ، كيف نبدأ بالحق الأول وهو حسن اختيار أم المولود ؟

بطولة الإنسان أن يحسن اختيار زوجته :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا .



الحقيقة الدقيقة أن في حياة الإنسان موضوعات كثيرة ؛ أحد أهم الموضوعات موضوع الزواج ، لأنه مصيري ، ولأنه يترتب عليه نتائج قد تكون رائعة ، وقد تكون مؤلمة ، فموضوع خطير ، هذه المرأة شريكة حياتك ، أم أولادك ، فإن لم تكن في المستوى المطلوب علماً وخلقاً والتزاماً هناك مشكلة تتفاقم ، ينعكس جهلها على أولادها ، وتنعكس طباعها التي لا ترضي الله على أولادها أيضاً ، فالبطولة أن تحسن اختيار زوجتك ، أنا أسميه قراراً مصيرياً ، أم أولادك، أن تحسن اختيارها ، فالإنسان حينما يتريث في اختيار زوجته حتى تأتي المرأة التي تناسب زوجها أ وأيضاً تتمتع بحدّ معقول من الخلق والدين ، هذه المرأة ورقة رابحة كبيرة في حياة هذه الأسرة ، لأن الأم هي المربية الحقيقة ، الأم تربي والزوج يكسب الرزق ، فدورهما متكاملان وليسا متماثلين ، ليس من الصعب أن يدقق الزوج في حسن اختيار زوجته ، في حدّ معقول من الجمال ، وفي حدّ معقول من العلم ، وحدّ معقول من الأدب والأخلاق ، فهذه إذا توافرت في الحد المعقول ، كانت هذه الزوجة في خدمة زوجها وأولادها ، وأحد أسباب نجاح هذه الأسرة إذاً من حسن الاختيار ، أما النظرة العابرة ، القرار السريع فله عقابيل خطيرة ، فقد ينتج عن هذا التسرع في اتخاذ القرار متاعب لا تنتهي .

الأستاذ بلال :

النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

((إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))

[النسائي عن عمرو بن العاص]

المرأة الصالحة خير متاع الدنيا :

الدكتور راتب :

التي إن نظرت إليها سرتك ، وإذا غبت عنها حفظتك ، وإذا أمرتها أطاعتك . هذه مرأة صالحة :

((إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))

[النسائي عن عمرو بن العاص]

الأستاذ بلال :

بعض الناس قد ينكحون أو يختارون الزوجة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمالها أو لحسبها أو لجمالها ويتناسون الدين ، يضعونه في المرتبة الأخيرة ، والنبي يقول :

((فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ]

الدكتور راتب :



أي لو أنه اختارها لحسبها فقط تتيه عليه بحسبها، ولو أنه اختارها لجمالها فقط اذا الجمال قد يجعلها مستعلية أيضاً ، لكن حينما يختار هذه الشروط الثلاثة بالحد المعقول ، وهو رجح في اختياره أخلاقها ودينها :

((فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))

[متفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ]

إن لم تفعل لن تقبض إلا على التراب ، وهذا من أدق الأحاديث في اختيار الزوجة، أيضاً :

((تخيروا لنطفكم))

[ابن ماجه عن عائشة]

أيضاً بالمناسبة حينما تكون القرابة شديدة جداً قد نفاجأ بذرية ضعاف ، اغتربوا لا تضووا ، وهذا الحديث الذي ورد عن سيدنا عمر يلخص مشكلات التقارب بين الزوجين ، وقد عقدت مؤتمرات حول هذا الموضوع ، فقام أحد المؤتمرين وذكر هذا الحديث فكان ملخص هذا المؤتمر ": اغتربوا لا تضووا ".

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل بما أنا تحدثنا على أن الرجل يجب أن يحسن اختيار أم المولود ، وهذا من أول حقوق الابن عليه ألا يجب على المرأة أيضاً أن تحسن اختيار الأب للمولود ؟

على المرأة أن تحسن اختيار الأب للمولود :

الدكتور راتب :

النقطة الدقيقة – وهذه تلفت النظر – عقد الزواج لا يتحقق إلا بموافقة المرأة ، لا يمكن ، وفي كل عقود القرآن لا بد من أن يذهب القاضي إلى المخطوبة وراء الباب وأن يسألها هل أنت راضية ؟ فإن قالت : لا ، فلا يعقد الزواج ، هذا شيء دقيق جداً ، لكن أحياناً يمتنع الأب عن تزويج ابنته لأسباب لا ترضي الله ، في مثل هذه الحالات القاضي هو ولي أمرها ، هو يزوجها .

الأستاذ بلال :


مسؤولية اختيار الزوج المناسب تقع على عاتق المرأة فهو أب أولادها

يحسن الأب اختيار الأم وتحسن الأم اختيار الأب على خلق ودين من أجل أن يكون المولود .

الدكتور راتب :

الموضوع تقريباً صندوق حديد له مفتاحان ؛ الباب لا يفتح إلا باستخدام المفتاحين معاً ، فلا بد من موافقة الزوجة لأنه زوجها ، ستعيش معه طوال العمر ، فإن كان بوضع لا تحتمله المرأة لها أن تقول : لا ، وأيضاً الزوج يحتاج إلى زوجة تحقق له الحصانة .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل لو انتقلنا إلى أدب نبوي آخر وهو من حقوق الابن على أبيه ، النبي صلى الله عليه وسلم :

((لو أن أحدكم إذا أتى أهله قل : بسم الله ؛ اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فقضي بينهما ولد لم يضره))

[البخاري عن ابن عباس]

هذا أيضاً أليس من الحقوق أن يستعيذ ؟

الأدب النبوي الرفيع في اللقاء الزوجي :

الدكتور راتب :

هذا توجيه نبوي ؛ الإنسان حينما يلتقي مع زوجته من أجل إنجاب الولد هذه حالة لها عقابيل خطيرة جداً . فإن كان هذا الولد صالحاً كان سعادة أسرته ، والحقيقة لا يوجد شيء بالدنيا يفوق الولد الصالح، وإن كان هذا الولد سيئاً فهو عبء على أمه وأبيه ، وقد يسبب شقاء هذه الأسرة ، أنا أقول دائماً : لو بلغت أعلى ثروة في العالم، وتسلمت أعلى منصب في الأرض، وارتقيت إلى أعلى درجة علمية ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس ، والذي يحسن تربية أولاده هو يحافظ على سعادته الحقيقة .



الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل جزاك الله خيراً وأحسن إليكم نعود بعد هذا الفاصل ..

عدنا من جيد للحديث عن قيم الإسلام في تعامل الآباء مع الأبناء ، أستاذنا الفاضل قبل الفاصل كنا قد انتهينا من حق حقوق الأبناء ، أولهما أن يتخير الأب الأم ، وأن تتخير الأم الأب لأنه سيكون أباً لابنها في المستقبل ، وستكون أماً لأولاده في المستقبل ، وتحدثنا عن أدب نبوي رفيع في اللقاء الزوجي وهو الدعاء :

((... اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ...))

[البخاري عن ابن عباس]

لو انتقلنا إلى الحق الثالث يقول الفقهاء أن يتخير له الاسم الحسن ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول :

((إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم))

[أبو داود عن أبي الدرداء]

الأبوة شيء عظيم جداً وهي من آيات الله الدالة على عظمته :

الدكتور راتب :

سأجيب عن هذا السؤال ؛ لكن هناك ومضة لا بد منها ، الله عز وجل قال :

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾

[سورة البلد : 1-2]



كأن كلمة ووالد وما ولد نظام الأبوة والبنوة ، هذا من أعظم الآيات الدالة على عظمة الله ، الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى يفرح أن يكون عبده سعيداً مع أنه غني عنه ، الله عز وجل أعطانا مثلاً بشرياً ؛ الأب قد يكون قوياً في منصب رفيع ، وقد يكون غنياً لكن لا يسعده إلا أن يكون ابنه سعيداً ، في حياة الإنسان أب وأم ، يسعدان إذا كان ابنهما سعيداً ، وهناك إنسان واحد بحياة الإنسان يتمنى أن يكون ابنه فوقه في المنصب ، في المكانة ، في الثروة ، الأخ يغار من أخيه أحياناً إلا الأب ، لو أن الابن تفوق ببعض النواحي العلمية والمالية والاجتماعية هذا مما يسعد الأب ، فالأبوة شيء عظيم جداً ، وهي من آيات الله الدالة على عظمته ، وكأن الله أراد أن يعرفنا بذاته المقدسة ، بطريق غير مباشر ، أبوك الذي أنت معه يتمنى لك السعادة ، يتمنى لك أن تفوقه في كل شيء ، هذه حالة استثنائية ونادرة طبعاً والأم كذلك .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل حسن اختيار الاسم مطلوب من الأب والأم أن يحسنوا اختيار الاسم.

من حق الابن على أبيه أن يتخير له الاسم الحسن :

الدكتور راتب :

الإنسان ينادى كل يوم بهذا الاسم ، والله هناك أسماء لا تحتمل ، أنا في التدريس أمضيت ثلاثين عاماً تقريباً إذا كان هناك اسم منفر كنت أغير هذا الاسم للطالب طوال العام الدراسي ، أناديه باسم آخر وآمر زملاءه أن يستخدموا هذا الاسم ، هناك أسماء غريبة منفرة ، فالبطولة أن يحسن اختيار اسم ابنه ، لكن الآن بشارة بالقوانين النافذة الآن ممكن للإنسان أن يطلب تغير اسمه في الدوائر الحكومية .

الأستاذ بلال :

هذا توجيه نبوي في الأصل أن يغير الأسماء صلى الله عليه وسلم ، واليوم شاعت الأسماء الأعجمية ، يسمي ابنه باسم ليس من العربية من لغات ثانية غير معروف ، إلى ماذا ينتمي ؟

الدكتور راتب :

والله هذا تطلع إلى الغرب ، وتقليد أعمى ، وضيق أفق ، خير الأسماء ما عبد وحمد ، عبد الرحمن ، عبد الحكيم ، عبد الرحيم ، محي الدين ، هذه الأسماء التي فيها حمد وفيها عبودية لله ، كما قال النبي الكريم هذه أفضل الأسماء .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل بعد أن تحدثنا عن هذه الحقوق الثلاثة ، وصلت إلى مصطلح لا أدري إن كنتم توافقون عليه: الآباء قد يعقون أبناءهم ، سيدنا عمر لما جاءه هذا الرجل الذي قال له ..

كيفية عقوق الآباء لأبنائهم :

الدكتور راتب :

لأنه لم يحسن اختيار أمه ، ولأنه سماه اسماً غريباً أليس كذلك ؟ قال له : عققته قبل أن يعقك .

الأستاذ بلال :

إذاً ممكن أن يكون العقوق من الآباء للأبناء ؟

الدكتور راتب :



أنا أقول الآن : إذا أهمله ، لم يعتن بتربيته ، ولا بصحته ، ولا بحالاته الاجتماعية ، الحقيقة الأب له دور كبير جداً ، وهذا الدور يقطف ثماره في مستقبل الحياة ، الحقيقة أن شعور الأب الذي عنده ولد صالح هذا سماه القرآن قرة عين ، هذه المشاعر لا توصف من إسعاد صاحبها ، مرة زرت أحد علماء دمشق بالقرآن الكريم ، قال لي : عندي ثمانية وثلاثون حفيداً ، معظمهم من حفاظ القرآن الكريم ، وأطباء ، شيء مسعد .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل بعد هذه الحقوق التي تقريباً تسبق الولادة أو تصاحبها حتى موضوع التسمية ثم يأتي ما يسميه الفقهاء التحنيك والعقيقة ، الذبح عن المولود والأذان في أذنه ، هذه كلها من الآداب النبوية المعروفة، نصل إلى الحق الأهم في علاقة الابن وهو حق التعليم .

ضرورة تربية الابن من يوم ولادته على العادات والأخلاق والصدق :

الدكتور راتب :

أريد أن أنوه لقضية دقيقة ، الآن العلم الحديث أثبت أن السنوات السبع الأولى للطفل من يوم ولادته ولسبع سنوات هذه أخطر سنوات حياته .



في هذه السنوات السبع يتلقى العادات والمهارات والأخلاق والخصال ، كل ما تتمناه بابنك يجب أن تلقنه إياه بالسنوات السبع الأولى ، وهذا شيء دقيق جداً ، مثلاً بكى إذاً جائع أطعمناه ، بكى يحتاج إلى تنظيف نظفناه ، الآن بكى بلا سبب إذا حملناه عودناه على أن يزعجنا طوال الأيام القادمة ، اكتسب عادة سيئة ، فنحن يجب أن نربي الابن من يوم ولادته على العادات والأخلاق والصدق وما إلى ذلك ، هذا الشيء يغيب عن معظم الناس متى يصحون ؟ بعدما ترسخت الأخلاق السيئة والعادات السيئة ، ثم يكتشف بعد حين أن ابنه ليس كما يتمنى ، والإصلاح وقتها صار صعباً .

الحقيقة أن العلماء توصلوا إلى حقيقة خطيرة تغيب عن معظم الناس : السنوات السبع الأولى من حياة الطفل هي أخطر سنوات في حياته ، في هذه السنوات يتلقى العادات والمهارات والأخلاق ، وما ينبغي وما لا ينبغي، وما يجوز وما لا يجوز ، هذه كلها يتلقاها في هذه السنوات ، لكن بعد ذلك يثبت على ما تلقى ، فحينما نعتني بالابن من يوم ولادته حتى يصبح عمره سبع سنوات نكون قد أدينا الواجب الأبوي الذي أقره العلماء .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل لو دخلنا في التفاصيل نحن نقول : من حق الابن على أبيه أن يعلمه ، ماذا يعلمه ؟

من حق الابن على أبيه أن يعلمه أصول الدين :

الدكتور راتب :

والله أصل الدين معرفة الله ، هو صغير ، هذا الماء من أنزله من السماء يا بني ؟



هذا الطعام من صنعه لنا ؟ أثناء الطعام ، أثناء الشراب ، أثناء اللعب ، هذه أمك كيف تحبك مثلاً ؟ من أودع في قلبها محبتك ؟ هذا التوجيه في قيمة الأم والأب وما حول الابن من أشياء لطيفة وجميلة ، هذه تغرس فيه محبة الله عز وجل ، وأنا أقول إن الأب المؤمن يجب أن تتصل كل توجيهاته لأولاده بالدين ، بالخالق العظيم ، بأسمائه الحسنى ، برحمته ، بقوته ، بغناه ، بمحبته للمؤمنين ، هذا الشيء يمكن بالأحاديث اليومية ، أثناء الطعام ، في سهرة ، في لقاء، حتى لفت نظري تفسير جديد :

﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا﴾

[سورة المدثر: 13]

المعنى التقليدي أن هذا الابن يشهد لك أصل الإنسان ، لكن هناك معنى آخر يجب أن يكون معك دائماً ، الزم ولدك يتعلم منك ، يتعلم من لقاءاتك ، يتعلم من ضيوفك الكرام .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

جميل بارك الله بكم أستاذنا الكريم ، وأنتم أخوتي الكرام لم يبق لي في نهاية هذا اللقاء الطيب إلا أن أشكر لكم حسن متابعتكم ، سائلاً المولى جلّ جلاله أن ألتقيكم في أحسن حال ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-2) : العلوم التي ينبغي أن يتعلمها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

ما العلوم التي ينبغي أن يعلمها الأب لابنه ؟ ما الآداب التي ينبغي أن يؤدب بها الوالدان أبناءهما ؟ ثم كيف يكون الآباء والأمهات قدوة لأولادهم فيعلمونهم بلسان حالهم قبل لسان مقالهم ؟ ثم كيف يكون العدل بين الأولاد في الحقوق المادية والمعنوية ؟ هذه الأسئلة يمكن أن تسمعوا الإجابة عليها بعد قليل في هذه الدرة المباركة من درر الشريعة الغراء .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الصادق الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أخوتي الكرام ؛ أخواتي الكريمات ؛ أينما كنتم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، في بداية حلقة جديدة من برنامجكم درر ، حيث نتناول فيه مجموعة من القيم الإسلامية في التعامل بين أفراد المجتمع ، وكنا قد بدأنا في اللقاء السابق الحديث عن حق الأبناء على الآباء ، ونتابع في هذا اللقاء الموضوع نفسه بإذنه تعالى ، ونحن نرحب باسمكم جميعاً بفضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، حياكم الله .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ونفع بكم .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم ؛ كنا قد انتهينا في اللقاء السابق إلى حق وهو الأساس وهو حق التربية والتعليم ، حق الابن في أن يربيه والده ، ويعلمه القرآن الكريم ، وما إلى ذلك ، وبدأتم الحديث عن أول ما ينبغي أن يعلمه الوالد لولده ، وبينتم أن أعظم العلوم هو العلم بالله تعالى من خلال أمثلة مبسطة تقرب معرفة الله إلى ذهن الطفل ، ما هي العلوم الأخرى التي ينبغي أن يتلقاها الابن كحق له على أبيه ؟

العلوم التي ينبغي أن يتلقاها الابن كحق له على أبيه :

الدكتور راتب :

هناك – إذا ذكرت العلوم – العلوم بالله عز وجل ، والعلوم الكونية ، وهناك ظواهر كيميائية ، فيزيائية ، فلكية، طبية ، جيولوجيا ، فضاء ، هذه العلوم العلم بخلقه ، أساساً العلوم أنواع ثلاثة ، علم بخلقه ، وعلم بأمره ، وعلم به ، فالعلم بخلقه هو اختصاص الجامعات في الأرض، الفيزياء ، والكيمياء ، والرياضيات ، والفلك ، والطب ، والهندسة ، إلى آخره .. علم بأمره ، هذا اختصاص كليات الشريعة في العالم الإسلامي .



الحلال والحرام ، والعقائد ، والواجبات ، وما إلى ذلك ، لكن هناك ملاحظة دقيقة أن العلم بخلقه ، والعلم به يحتاجان إلى مدارسة ، ماذا تعني كلمة مدارسة ؟ أي يحتاج إلى معلم ، وإلى كتاب ، وإلى حضور دوام ، وإلى إصغاء للدرس ، وإلى مراجعة ، وإلى حفظ ، وإلى امتحان ، ثم إلى الشهادة ، هذه النشاطات المتعددة توضع تحت عنوان واحد هو علم المدارسة ، فالعلم بخلقه يحتاج إلى مدارسة لا بد من انتساب إلى جامعة ، لابد من قراءة ، لا بد من معلم ، لا بد من وسائل إصلاح ، والعلم بأمره أيضاً كليات الشريعة ؛ العقائد والعبادات وما إلى ذلك ، فالعلم به له خصيصتان الثمن باهظ والنتائج باهرة ، حتى قيل : جاهد تشاهد ، حينما نجاهد أنفسنا نحملها على طاعة الله ، ونحملها على العمل الصالح ، ونحملها على الدعوة إلى الله ، هذه المشاهدة لها نتائج باهرة كبيرة جداً ، لذلك العلم به نتائجه لا تصدق ، لأنه قال تعالى :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

[سورة طه:14]

إنك إن ذكرته أديت واجب العبودية ، لكن الله عز وجل قال :

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾

[سورة البقرة: 152]

المؤمن ، قال تعالى :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

[سورة الأنعام: 81-82]

يمنحك الرضا ، يمنحك السكينة تسعد بها ولو فقدت كل شيء ، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء ، يمنحك الحكمة ، تفعل الشيء المناسب في الوقت المناسب بالقدر المناسب ، فالحقيقة نتائج الاتصال بالله لا تعد ولا تحصى ، تصبح إنساناً آخر لك رؤية ، لك قرار ، لك سعادة ، لك حكمة ، لك سكينة ، لك تألق ، كل ثمار هذا الدين تتمثل بالسكينة ، كل ثمار هذا الدين تتمثل أن الله يقذف في قلب المؤمن نوراً ، يرى به الحق حقاً والباطل باطلاً ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ﴾

[سورة الحديد: 28]



على الأب أن يعلم ولده ما ينفعه لآخرته ودنياه

لو أمضينا دروساً عدة في الحديث عن هذه النتائج الباهرة التي تتأتى من الاتصال بالله عز وجل الثمن باهظ ؛ استقامة ، الثمن باهظ ؛ مجاهدة النفس والهوى ، الثمن باهظ ؛ أن تؤثر طاعة الله على كل شيء ، الثمن باهظ ؛ أن تكون لله ، فهذا الثمن الباهظ له نتائج باهرة ، وكأن الصحابة الكرام وصلوا إلى هذه النتائج الباهرة ، فتحوا أطراف الدنيا ، أي فئة قليلة في جزيرة العرب يصلون إلى مشارف الصين ، وإلى مشارف بواتييه في فرنسا ، كيف وصلوا ؟ بهذه النتائج الباهرة لمجاهدة النفس والهوى ، فلذلك يمكن أن أختم هذه الفكرة الدقيقة

نقول : جاهد تشاهد ، جاهد نفسك وهواك تشاهد كل شيء ، وفي بعض الآثار :" رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى ".

الأستاذ بلال :

كأني فهمت من كلامكم أستاذنا الفاضل أن الأب إذا أراد أن يعلم ابنه قد أجملتم يعلمه العلم بالله أولاً ، ثم يعلمه أمر الله عز وجل ، ثم يعلمه شيئاً من العلم بخلق الله ، من اختصاص يضمن له نجاحه في دنياه ، هذا مجمل الأمر ، مع العلم أننا نحتاج أن يؤدب الأب ابنه ، هناك آداب للإسلام .

آداب الإسلام :

الدكتور راتب :

ما الذي يلفت نظر الناس في النبي صلى الله عليه وسلم ؟ يقال : يا رسول الله ما هذا الأدب ؟ قال : أدبني ربي فأحسن تأديبي . لذلك الأب حينما يؤدب ابنه يؤدبه على الصدق، على الأمانة ، على اللطف ، على خفض الصوت ، على الاستئذان قبل الدخول ، هناك آلاف العادات والتقاليد لا تأتي إلا عن طريق التأديب ، فالابن لو أن ابنه ضحك ضحكة غير مناسبة لفت نظره ولكن بينه وبين ابنه ، كلمة لا تليق سمعها في الطريق ننبه الابن عليها ، هذا التأديب يجعل الابن محبوباً ، وكلما بذل الأب جهداً في تأديب أولاده جعلهم محبوبين عند الناس ، وجعل الطريق أمامهم سالكاً ، فالأبوة والله رسالة ، والأبوة مهمة كبيرة جداً ، لكن أنا ذكرت ذلك في حلقة سابقة فاقد الشيء لا يعطيه ، ما دام الإنسان أراد الزواج وسيكون أباً لا بد من طلب العلم ، تتعلم كي تعلم ، تتطهر كي تطهر ، تترقى كي يرقى بك ابنك .

الأستاذ بلال :



تأديب الأب لابنه بآداب الإسلام يجعله محبوباً

جزاك الله خيراً ، أستاذنا الفاضل يعلم ابنه ويؤدبه ، الآن أريد أن أنتقل إلى حق آخر من حقوق الأبناء على الآباء لكنني أجلت ذلك إلى ما بعد فاصل قصير ..

السلام عليكم ؛ عدنا أخوتي من جديد لنتابع الحديث عن القيم الإسلامية في تعامل الآباء مع الأبناء ، أستاذنا الفاضل انتهينا قبل الفاصل من حق الابن على أبيه أن يعلمه ، وأن يؤدبه ، وتفضلتم ببيان أنواع العلم والأدب التي ينبغي أن يعطيها الأب لابنه ، نتابع الآن أستاذنا الفاضل في بعض الحقوق الأخرى ، يقول الفقهاء : من حق الابن على أبيه ألا يطعمه إلا طيباً، ما هذا الحق أستاذنا الفاضل ؟

من حق الابن على أبيه ألا يطعمه إلا طيباً :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن كلمة طيب قد تفهم بادئ ذي بدء أن الطعام طيب ، أما كلمة طيب في السنة فتعني أن هذا الطعام اشتري بمال حلال ، فالأب حينما يكون كسبه حلالاً من طريق مشروع ، لا يوجد به كذب ، و لا تدليس ، ولا غش ، لا يوجد حرفة لا ترضي الله ، لا يوجد حرفة محرمة ، إذا كان الدخل حلالاً واشترى به الطعام ، فالطعام عند الفقهاء طيب ، هذا طيب الثمن ، فالثمن إذا كان حلالاً فالطعام طيب ، بمصطلح هذه الأحاديث ، إذا كان العمل مشروعاً – نجار ، موظف ، مدرس – لكن عنده ملهى ، الملهى فيه معاص ، إذا كان العمل مبنياً على المعصية ، مشكلة كبيرة جداً ، فالبطولة أنا أن أبحث لابنتي عن رجل دخله حلال، المهمة أن أطعم أولادي طعاماً قد دفع ثمنه من مال حلال ، هذا معنى :

((يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

[الطبراني عن عبد الله بن عباس]



من حق الابن على ابيه ألا يطعمه إلا طيباً

واستجابة الدعوة ميزة كبيرة جداً ، عطاء كبير أن تكون مستجاب الدعوة ، وثمنه ضمن إمكانيتك ، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، أحياناً يكون ببعض الأغذية مادة مسرطنة ، الذي يشتري المادة لا يعلم ، و أحياناً يكون هناك مواد حافظة مسموح بثلاثة بالألف فإذا وضعت خمسة بالمئة أو سبعة بالمئة مشكلة كبيرة جداً ، فلذلك الحياة لا تستقيم إلا بالإيمان بالله ، أنت حينما تعلم أن الله يعلم ويحاسب ويعاقب لا يمكن أن تعصيه ، ومثل بسيط جداً أنت راكب سيارتك تقف على الإشارة الحمراء ، والشرطي واقف ، هذا الشرطي يمثل وزير الداخلية ، إن خالفت واضع القانون علمه يطولك ، وقدرته تطولك ، خالق الأكوان قال تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾

[سورة الطلاق : 12]

فإذا كان الله عز وجل علمه يطولك ، وقدرته تطولك ، وأنت في قبضته ، كيف تعصيه ؟ فلذلك لا يعصي الله إلا غبي ، لا يعصي الله إلا أحمق ، أنا أرى التعريف الدقيق الدقيق للغبي هو الإنسان الذي لا يدخل الله في حساباته .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل فهمت من كلامكم أنه لا يطعمه إلا طيباً ، بمعنى أن يكون الإطعام حلالاً والكسب حلالاً .

الدكتور راتب :

والحرفة مقبولة عند الله ، هناك حرف أساسها إفساد الناس .

الأستاذ بلال :

لو انتقلت إلى حق آخر وهو لعله بيت القصيد ، قال : أن يكون له قدوة ، يفترض بالأب أن يكون قدوة لابنه وهذا من حقه عليه ، كيف نفهم هذا؟

القدوة قبل الدعوة :

الدكتور راتب :

والله أقول لك هذه الكلمة ولعلها تبدو غريبة : لو أن الأب لم يتكلم ولا كلمة توجيهية لأولاده ، ولا كلمة ، لكن رأوه صادقاً ، أميناً ، دمثاً ، ثيابه أنيقة ، يغير ثيابه في غرفة النوم فقط، فهذا السلوك يكفي وإن كان الأب لم يتكلم بكلمة توجيهية ، لذلك قالوا : القدوة قبل الدعوة . أقوى قوة تعليمية أن تكون أيها الأب قدوة لأولادك ، ما سمعوا طرفة لا ترضي الله ، ما سمعوا تعليقاً فيه كلمة قاسية ، ما رأوه بوضع لا يرضي الله .



فالقدوة قبل الدعوة ، هذا كلام للآباء والأمهات، الآن لو أن الأب ضنّ على ابنه بالتوجيه والإرشاد ، لكن الابن يرى أباه قدوة ، صادق ، أمين ، محترم ، يحب أولاده ، وأنا أوجه هذه الكلمة : هناك أب إذا دخل إلى البيت صار البيت عيداً ، وأب إذا خرج من البيت صار البيت عيداً ، فالبطولة أن يكون العيد في دخولك لا في خروجك ، لطيف مع أولاده ، يقنع ولا يقمع ، لا يوجد كلمة قاسية ، و لا ضرب مبرح ، و لا صخب ، فالبيت الهادئ بيت كالجنة تماماً ، وبإمكان أي إنسان أن يجعل بيته جنة.

الأستاذ بلال :

كما يحدث أحياناً يأتي اتصال للأب يقول لابنه : قل لهم أبي ليس موجوداً ، هذا ماذا فعل ؟

الدكتور راتب :

مثلاً الأم خرجت مع ابنتها إلى بيت الجيران في النهار ، وعادت متأخرة ، الطعام غير جاهز ، جاء الأب غاضباً أين كنتم ؟ لم نخرج من البيت ، هذه البنت الصغيرة رأت أمها تكذب على أبيها ، لقنتها الكذب دون أن تشعر ، فيكفي أن يكون الأب قدوة ، إذاً القدوة قبل الدعوة ، فإذا كنت قدوة في البيت لو لم تتكلم بكلمة توجيهية قدوتك تكفي ، رأى الابن أباه صادقاً، حكيماً ، رحيماً ، منصفاً ، هادئاً ، هكذا .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل أنتقل إلى حق آخر ولعله الأخير في لقائنا هذا وهو حق العدل ، النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح : " اعدلوا بين أولادكم " العدل ما قيمته في البيت ؟ العدل في العطية ، وحتى بعد موت الأب .

العدل بين الأولاد :

الدكتور راتب :

الذي أراه أن الأب حينما يعدل يقيم مسافة واحدة بينه وبين كل أولاده ، أما حينما لا يعدل فينشأ حقد على الأخ الذي نال ميزات لم يحصل عليها أخوته ، هذه مشكلة كبيرة ، لذلك العدل أصل في العلاقة مع الأولاد .



أريد أن أشير إلى ناحية لا تربط العطاء بالولاء، قد يكون الابن ذكياً ، كثير الولاء لوالده، يأخذ نصيباً أكبر بكثير ، اجعل الولاء ميزة ، لا تربط العطاء بالولاء ، فالابن البعيد عن أبيه قليلاً إن أخذ من أبيه ما أخذه أخوته تماماً يقربه منه ، فحينما لا يعدل يبعد أولاده المقصرين، فإذا عدل قربهم إليه .

يا رسول الله ! اشهد أني نحلت ابني حديقة ، قال : ألك ولد آخر ؟ قال : نعم ، قال : هل نحلته مثل ما نحلت هذا ؟ قال : لا ، قال : أشهد غيري ، فإني لا أشهد على جور ، هذا الحديث أصل ، فالعدل بين الأولاد واجب الأب بصرف النظر عن مدى ولائهم له .

الأستاذ بلال :



حتى لو كان الولد عاقاً عليه ألا يحرمه من الميراث .

الدكتور راتب :

يعطيه مبرراً أن يزيد في عقوقه ، أما إذا عدل مع العاق فيعطيه دافعاً أن يعود عن عقوقه .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل العدل هل يكون فقط في النواحي المالية أم حتى في العاطفة ؟

الدكتور راتب :

والله أنا أرى أن الإنسان حينما يحمل ابنه الأول يقبله ولم يقبل الثاني فلم يعدل ، دعك من المال ، كل طفل له غرفة وسرير والحاجات كلها بالتساوي ، أما تقبيل ولد دون ولد ، الابتسام لولد دون ولد ، فأنا أعد هذا من الظلم ، ممكن أن يكون لك ولد أحب من ولد آخر ، النبي ماذا قال ؟

((اللهم هذا قَسْمي فيما أملك . فلا تَلُمني فيما تَملك ولا أَملك))

[أبو داود والترمذي والنسائي عن عائشة أم المؤمنين]

الثانية ليست بقدرة الإنسان ، أما يمكن أن تعدل بالعطية ، المال متساو ، كل ولد له بيت ، زوجته ، كل شيء بالتساوي .

الأستاذ بلال :

لا يملك المشاعر الداخلية لكن يملك التعبير عنها بالتساوي بين الجميع .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم ، وأحسن إليكم ، وأنتم أخوتي الكرام لم يبق لي في نهاية هذا اللقاء الطيب إلا أن أشكر لكم حسن متابعتكم ، سائلاً المولى جلّ جلاله أن ألتقيكم في أحسن حال مع الله ومع خلقه ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-3) : حسن تربيته

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ؛ كيف ربى لقمان الحكيم ابنه على التوحيد ؟ كيف علّمه الخوف من الله تعالى ؟ كيف أدبه على مراقبة الله تعالى في كل شيء من شؤون حياته ؟ ما أهم الأمور والواجبات التي أمره بها ؟ ما الآداب الراقية والأذواق العالية التي نشأه عليها ؟ تابعوا وصية لقمان الحكيم لابنه في هذا اللقاء الطيب ، من فم أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي .

بسم الله الرحمن الرحيم ، يا ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض ، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد .

أخوتي الأكارم ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أرحب بكم في مستهل حلقة جديدة من برنامجكم درر ، والذي يتناول القيم التي ينبغي أن تنتظم المجتمع المسلم في تعامل أفراده مع بعضهم البعض ، أرحب بداية بفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم لعلنا في هذا اللقاء ييسر لنا الله عز وجل الانتهاء من الحديث عن حقوق الأبناء على الآباء ، وكنا قد فصلنا في الجانب النظري ، ونحب الآن أن ننتقل إلى وصية عملية يربي فيها لقمان الحكيم ابنه على الطاعات ، وقد وردت في كتاب الله تعالى في سورة لقمان ، أحبّ ان نبدأ بهذه الوصية ونفصل فيها شيئاً بما يسمح به الوقت ، يقول تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

[سورة لقمان : 13]

لماذا كانت أول وصية من لقمان لابنه أن يبتعد عن الشرك ؟ وكيف يكون الشرك ظلماً ؟

الشرك نوعان ؛ شرك خفي و شرك جلي :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين .



الحقيقة أن الله عز وجل إله واحد ، أحد فرد صمد ، أسماؤه حسنى ، وصفاته علا، فالإنسان إذا اتجه إلى غيره ، غيره لا يملك شيئاً ، عند الله الجمال والكمال والنوال ، والإنسان يحب الجمال والكمال والنوال ، فإذا توجه إلى الله فهو بغيته ، يسعد بالله ولو فقد كل شيء ، فلذلك حينما يتوجه العبد لغير الله ظلم نفسه ، توجه إلى جهة فقيرة لا تملك شيئاً، لذلك :

﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

[سورة لقمان : 13]

لمجرد أن نتجه لغير الله ظلمنا أنفسنا ، لأن هذا الذي اتجهنا إليه لا يملك شيئاً ، فإذا كان سيد الخلق وحبيب الحق وسيد ولد آدم يقول : لا أملك لكم نفعاً ولا ضراً أبداً ، الذي يملك النفع والضر هو الله عز وجل ، فأي توجه لغير الله هذا شرك ، لكن هناك شركاً كبيراً وشركاً خفياً ، الشرك الجلي الذي يعبد بوذا من دون الله ، هذا شرك جلي ، هذا في العالم الإسلامي غير موجود ، عندنا الشرك الخفي ، ورد في بعض الآثار النبوية:" أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي ، أما إني لست أقول إنكم تعبدون صنماً ولا حجراً ولكن شهوة خفية، وأعمالاً لغير الله ".

الإنسان إذا آثر شهوته التي لا ترضي الله ، أشرك في العبادة شهوته مع الله ، إذا أطاع مخلوقاً وعصى خالقه ، أشرك في الطاعة مخلوقاً ونسي ربه ، هذا شرك خفي ، هذا منتشر، أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي ، أما إني لست أقول إنكم تعبدون صنماً ولا حجراً ولكن شهوة خفية ، وأعمالاً لغير الله .



الشرك نوعان خفي وجلي

والشرك أخفى من دبيب النملة السمراء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب على جور ، وأن تبغض على عدل ، مثلاً إنسان له صديق يرتكب الكثير من المعاصي ، و لكن هذا الرجل العاصي يكرم صديقه كثيراً ، هذا الإكرام أنساه سلبيات هذا الصديق ، هذا نوع من الشرك ، هذا الذي أتمنى أن يكون واضحاً أمام أخوتي المستمعين ؛ الشرك الخفي هو المشكلة الكبيرة ، أن تحب على جور ، وأن تبغض على عدل ، إنسان نصحك بأدب ما احتملت ذلك ، في الحالة الثانية أشركت نفسك ، وفي الأولى أشركت غيرك .

هذا الشرك الخفي منتشر بشكل كبير ، لذلك قال تعالى :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

[سورة يوسف : 106]

أي الشرك الخفي .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل هذا الشرك الخفي طبعاً ليس المخرج من الملة ، ولكنه يجعل الإنسان في ضياع .

الشرك الخفي هو المشكلة الأولى مع ضعاف الإيمان :

الدكتور راتب :



يتشتت ، نحن كيف نستخدم مكبرة ونحرق بها ورقة ؟ حينما تجتمع الأشعة في المحرك تحترق الورقة ، فالإنسان حينما يجمع كل طاقاته ، ويتوجه بها إلى الله ، يكون في خط ساخن مع الله ، ويتألق أيما تألق ، ما من مخلوقٍ يعتصم بي من دون خلقي أعرف ذلك من نيَّته ، فتكيده أهل السموات والأرض إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً ، وما من مخلوقٍ يعتصم بمخلوقٍ دوني أعرف ذلك من نيَّته ، إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه ، وقطَّعت أسباب السماء بين يديه . أنا أكاد أقول : المشكلة الأولى مع ضعاف الإيمان الشرك الخفي ، يعلق الأمل على زيد ، ويطمع بمال عبيد، ويرجو وساطة فلان ومد علان ، هذا كله شرك ، أما إذا توجهت إلى الله وحده فأنت أقوى الأقوياء ، هذا هو التوحيد ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، أنت حينما تؤمن أن الله وحده هو المعطي والمانع ، والرافع والخافض ، والمعز والمذل ، أنت مع الله إذاً لا تحتاج إلى غيره .

الأستاذ بلال :

وهذا فحوى التوحيد ؛ لا إله إلا الله ، أستاذنا الفاضل الوصية الأولى من لقمان لابنه لا تشرك بالله ، لكن الطفل الصغير كيف يربى على التوحيد ؟

كيفية تربية الطفل على التوحيد :

الدكتور راتب :

مثلاً : الأمطار هطلت يا بني هذا من فضل الله عز وجل .

عليناأن نعزي كل ما في الكون للخالق لنعلم أولادنا التوحيد

صار هناك برق مثلاً ، كل الظواهر الطبيعية أن تعزى إلى الله عز وجل ، الأمطار ، الأحوال الجوية المتنوعة ، الخبز هذا من القمح يا بني ، الله عز وجل أكرمنا به ، القمح ينبت في مكان من الأرض وهو مادة أساسية ، أي كل شيء سأل عنه الطفل يجب أن يربط بالله عز وجل ، هذا هو التوحيد ، فحينما يكون التوجيه : الله أكرمنا بكذا ، الله أكرمنا بالأمطار، بالثمار ، بأنواع الفواكه ، بأنواع الخضراوات ، الحب الذي ألقاه في قلب الأب تجاه ابنه مثلاً ، قال تعالى :

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾

[سورة طه : 39]

هذا كله تعليم لطيف ناعم بمناسبات طبيعية للتوحيد .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل الوصية الأولى لا تشرك بالله ، لو انتقلنا إلى الوصية الثانية ، قال تعالى :

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾

[سورة لقمان : 16]

لعله يدله أو يوجهه إلى علم الله المطلق وقدرة الله المطلقة .

تربية الطفل على الخوف من الله :

الدكتور راتب :

هذا جيد ، لكن مثلاً هذه الآية ينتفع بها في توجيه آخر ، لو داس نملة سيحاسب ، لو أغرق نملة في المغسلة أيضاً سيحاسب ، لو قتل شيئاً في البستان ، حشرة لا تؤذيه لماذا قتلتها ؟ لو داس وردة بقدمه .



نحن نأتي بأمثلة بسيطة حتى نعلمه ، وردة تسبح الله داسها بقدمه، غصن نزعه بشدة ، بعنف ، والآن هناك دراسات دقيقة النبات له نفس ، هناك تجارب بجامعة العراق بغداد شيء مذهل ، كان هناك مؤتمر علمي ، أحضروا نباتات ، نبات شرخ منه أحد الأغصان ، ونبات سمع كلاماً قاسياً جداً ، ونبات سمع القرآن الكريم ، وجدوا فرقاً بالإنتاج ، هذه تجربة بجامعة بغداد ، وكان هناك مؤتمر علمي ، والنتائج كانت مذهلة ، فالنبات كائن .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل يربي به الخوف من الله .

الدكتور راتب :

لا يؤذي قطة مثلاً ، لا يؤذي طيراً ، أو يربط الطير بخيط ، مشكلة أيضاً.

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً ، أخوتي الأكارم مازال في حديثنا عن وصية لقمان لابنه ما يسركم نتابع بعد فاصل قصير .. السلام عليكم نتابع الحديث عن وصية لقمان لابنه ونحن نقتطف هذه الدرر من فم فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، قبل أن أنتقل إلى الآية الثالثة في وصية لقمان لابنه ، قال تعالى :

﴿ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾

[سورة لقمان : 16]

كأنه يشير إلى الأسماء الحسنى أن الله لطيف خبير ؟

تربية الأولاد بأسماء الله الحسنى :

الدكتور راتب :

أولاً : لطيف ؛ الله معنا دائماً ، لو إنسان رافقك فترة طويلة تضجر منه ، هو معنا دائماً لكن الله لطيف ، هو معنا لا نشعر بعبء إطلاقاً ، أحياناً الهواء لطيف ، يحمل طائرة ثلاثمئة وخمسين طناً ، لكن لا تحس بثقل للهواء ، تتحرك ضمن الهواء و لا تحس بثقله ، كلمة لطيف هناك أشياء كثيرة مثلاً الطفل كيف يبدل أسنانه ولا يوجد ألم ؟



مع أن أي طبيب أسنان يحتاج إلى حقنة مخدر، تجد الطفل وهو يأكل شعر أن أحد أسنانه ضمن اللقمة ، الله لطيف ، آلاف الأمثلة من خلق الإنسان ، من خلق الحيوان ، من خلق النبات ، اللطيف أحد أسماء الله الحسنى ، وهذا الاسم ينبغي أن نراه نحن في حياتنا اليومية .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل يربي ابنه بالأسماء الحسنى ، هذه إشارة ، إن الله لطيف .

الدكتور راتب :

وهناك ملمح لطيف ، قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾

[سورة الأعراف : 180]

فادعوه بها الباء للاستعانة ، أي تخلق بخلق مشتق من أخلاق الله عز وجل ، واجعله وسيلة للإقبال على الله.

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل التربية بالأسماء الحسنى وسيلة ، ننتقل إلى تتمة الوصية قال : يا بني عرفه بالله واحداً لا تشرك بالله ، ثم الخوف من الله كما بينتم ، الآن بدأ بالأوامر الشرعية ، قال تعالى :

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾

[سورة لقمان : 17]

هذه التوجيهات ما موقعها بعد الخوف من الله ؟

الصلاة هي عماد الدين وعصام اليقين و انعقاد الصلة بالله :

الدكتور راتب :

لا خير في دين لا صلاة فيه ، لعلي أقول : الحج يسقط عن الفقير والمريض ، والزكاة تسقط عن الفقير ، والصيام يسقط عن المريض ، أما الفرض المتكرر الذي لا يسقط في حال فهي الصلاة ، هي عماد الدين ، وعصام اليقين ، وسيدة القربات ، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسموات ، الصلاة لها حركات وسكنات وقراءات ، ولها حقيقة ، الحقيقة أن تنعقد الصلة بالله ، لكن الحقيقة المرة أهون ألف مرة من الوهم المريح .



لا يمكن أن تنعقد لك صلة مع الله إن سبق الصلاة معصية ، مثلاً إنسان غش في البيع ، وأذن الظهر ، فذهب ليصلي الظهر هل يستطيع أن يعقد مع الله صلة ؟ غشّ إنساناً و أوهمه بشيء غير صحيح ، فلذلك الإنسان إذا وصل إلى هذه النقطة في الدين ، ما دام هناك مخالفة في الشرع ، ما دام هناك إيقاع الأذى بمن حولك ، أنت محجوب عن الله ، اقرأ هذه الآية يقشعر البدن منها ، قال تعالى :

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾

[سورة المطففين : 15]

أنت احتلت على إنسان ، بعته الشيء بعشرة أضعاف رأسماله ، بعد أن اكتشفت أنه لا يوجد عنده معلومات بالأسعار مثلاً ، تسخر من إنسان ويسمح الله لك أن تتصل به ؟ الله أعظم من ذلك ، ما لم تستقم على أمره تماماً لا تشعر بحال في الصلاة ، قد تقف وتصلي وتقرأ الفاتحة وسورة وتركع وتسجد أما أن تنعقد هذه الصلة فلا بد من أن تكون العلاقة مع الله طيبة وهناك خط ساخن مع الله .

الأستاذ بلال :

هذا هو السر أنه خوفه بالله أولاً ، ثم أمره بتوحيد الله ، ثم قال له : أقم الصلاة ، حتى تنعقد الصلة بالله ، قال تعالى :

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾

[سورة لقمان : 17]

يربيه على هذه الثقافة .

ضرورة التزام الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر :

الدكتور راتب :



ثقافة المعروف دقيقة جداً ، الإنسان بفطرته السليمة يعرف المعروف ، وسمي المعروف معروفاً لأنه يعرف بالفطرة من دون تعليم ، إذا إنسان أمه جائعة وهو جائع وأحضر طعاماً وأكله لوحده ، ولم يتلقّ أي توجيه ديني بحياته يشعر بالكآبة ، والآن مرض العصر الكآبة، الناس أعرضوا عن الدين في العالم الغربي ، عندهم كآبة ، حدثنا دكتور في الجامعة قال: نسبة الكآبة في العالم الغربي مئة و اثنان و خمسون بالمئة ، لفت نظرنا لهذه النسبة ، قال: المئة معهم كآبة و الاثنان والخمسون معهم كآبتان . ما دام هناك مخالفة للفطرة يشعر بالكآبة ، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

[سورة طه: 124]

هذه كآبة .

الأستاذ بلال :

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

[سورة لقمان : 17]

ثم وجهه وقال :

﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾

[سورة لقمان : 17]

التربية على الصبر .

التربية على الصبر :

الدكتور راتب :

أنت بدار عمل ، بدار ابتلاء ، بدار امتحان ، بدار كسب ، فإذا قصرت في علة وجودك في الدنيا لا بد من تنبيه ، عفواً هل هناك إنسان في الأرض يرى ابنه الصغير يقترب من المدفأة المشتعلة ويقف ساكتاً ؟ مستحيل ، من رحمة الله بنا أنه يضعنا أمام مشكلة حينما نقصر ، حينما نغفل ، حينما نشرك، حينما نعتمد على غيره ، حينما نؤذي عباده ، نقع في مشكلة ، قال تعالى :

﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾

[سورة لقمان : 17]

المؤمن يعتقد يقيناً أنه لا يمكن أن يسوق الله عز وجل للإنسان شدة بلا سبب ، والدليل:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾

[سورة النساء : 147]

هذا على مستوى الفرد ، على مستوى الأمة ، قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾

[سورة الأنفال: 33]

ما دام منهج الله مطبقاً في هذا المجتمع ، هذا المجتمع في مأمن من عذاب الله ، فالبطولة والذكاء أن ترجع إلى السبب الحقيقي لما يصيبنا .

الأستاذ بلال :

ثم ينهاه عن الكبر والاستعلاء ، قال تعالى :

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

[سورة الأنفال: 18]

النهي عن الكبر و الاستعلاء :

الدكتور راتب :



سيدي عندنا حالة مرضية اسمها : عبادة الذات ، فالإنسان إذا استغنى عن عبادة الله يعبد ذاته ، أول محور : لا يسمح لإنسان أن ينال منه ، ما دام هناك عبودية لهّ فهو في تواضع ، وما دام هناك بعد عن الله فهو في كبر ، والكبر شيء صعب جداً ، أنا أقول : الكبر يفسد العمل ، لبن أضف له خمسة أمثاله ماء ، صار شراباً رائعاً جداً ، أما إن أضفت له نقطة بترول فستفسده ، نفس الشيء الكبر يفسد العمل ، المؤمن لا يتكبر ، متواضع ، يرى عظمة الله عز وجل ، دائماً يرى افتقاره إلى الله ، يرى أن العباد كلهم عياله ، و الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل نهاية الوصية يقول له :

﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾

[سورة لقمان : 19]

بعض الآداب الراقية في التعامل .

بعض الآداب الراقية في التعامل :

الدكتور راتب :



اقصد في مشيك طاعة الله ، اقصد في حركتك اليومية رضوان الله ، اقصد فيما تفعله مع الناس أن يرضى الله عنك ، أي وحد ، دعك من الناس، تعامل مع رب الناس ، تعامل مع الإله الواحد الأحد ، هذا التوحيد ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

الأستاذ بلال :

﴿ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾

[سورة لقمان : 19]

كأن هذه أذواق ؟

الدكتور راتب :

الصوت المنخفض حضارة ، الصوت المنخفض أدب مع الله عز وجل .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم هذه الوصية لعلها تكون نبراساً لكل أب يريد أن يربي ابنه ، منهج في التربية .

الدكتور راتب :

والله أنا أتمنى أن تكتب بخط جميل ، تكتب عند خطاط بخط جميل ، و تعلق في البيت ليقرأها كل يوم .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

جمعت التوحيد مع الخوف من الله مع إقامة الصلاة مع الآداب ، جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم ، وأحسن إليكم ، وأنتم أخوتي الكرام لم يبق لي في نهاية هذا اللقاء الممتع بوجودكم ووجود شيخنا الكريم إلا أن أشكركم، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-4) : اختيار الأم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

حقوق الأبناء على الآباء :

أيها الأخوة المؤمنون, في الدرس الماضي أنهينا بفضل الله عزَّ وجل حقوق الآباء على الأبناء، وها نحن أولاء في هذا الدرس ننتقل إلى موضوعٍ آخر متمِّمٍ للأول, ألا وهو حقوق الأبناء على الآباء ، لأن كل حقٍ يقابله واجب، وكل واجبٍ يقابله حق، فما دام للآباء حقوقٌ على الأبناء، لا بدَّ من أن يكون للأبناء حقوقٌ على الآباء، والحديث الشريف الذي تعرفونه جميعاً:

((رحم الله والداً أعان ولده على برِّهِ))



موضوع حقوق الزوج على الزوجة، وحقوق الزوجة على الزوج، وموضوع حقوق الآباء على الأبناء، وحقوق الأبناء على الآباء، هذه موضوعاتٌ دقيقةٌ جداً، لأنه ما من واحدٍ من الأخوة الحاضرين إلا وتمسُّه هذه الموضوعات، فإذا أدَّيت ما عليك من حقوق صار الطريق إلى الله سالكاً، وإذا كان هناك تقصيرٌ، أو مجاوزةٌ، أو جنوحٌ، أو مخالفةٌ، أو إساءةٌ كانت هذه الأعمال حجاباً بين العبد وبين ربه، والحديث الذي تعرفونه أيضاً جميعاً, هو أن الإنسان قد يستحق النار يوم القيامة, فيقف بين يدي الله عزَّ وجل ويقول:

((يا رب لا أدخل النار حتى أُدخِل أبي قبلي))

وهذا الطفل الذي شبَّ على الانحراف، وشجَّعته أمه الجاهلة على ذلك، وكبر وارتكب جريمةً, استحقَّ عليها الإعدام، قُبَيْلَ إعدامه طلب أن يلتقي أمه –هكذا الصحيح أكثرهم يقول : أن يلتقي بأمه–, فلما جيء له بأمه, قال: مدي لسانك كي أقبِّله, مدَّت لسانها فعضَّه وقطعه، وقال: لو لم يكن هذا اللسان مشجِّعاً لي على الجرائم ما فقدت حياتي:

إهمال تربية البنينَ جنايةٌ عادت على الآباءِ بالويلاتِ .

إذاً: الحديث النبوي الشريف:

((رحم الله والداً أعان ولده على برّهِ))

هو عنوان هذا الموضوع: حقوق الأبناء على الآباء.

ما هي هذه الحقوق؟

1–أن يحسن الأب اختيار الزوجة :



يا أيها الأخوة الأكارم, جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب –رضي الله عنه– يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر سيدنا عمر بن الخطَّاب –رضي الله عنه– ابنه, وأنَّبه على عقوقه لأبيه, فقال الابن: يا أمير المؤمنين, أليس للولد حقوقٌ على أبيه؟ قال: بلى, فقال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: أن ينتقي أمه، وأن يحسن اسمه، وأن يعلِّمه الكتاب –القرآن– فقال الابن: يا أمير المؤمنين, إنه لم يفعل شيئاً من ذلك، أما أمي فإنها زنجيةٌ كانت لمجوسي، وقد سماني جُعْلاً –أي خنفساء– ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً, فالتفت أمير المؤمنين إلى الرجل, وقال له: أجئت تشكو عقوق ابنك؟ لقد عققته قبل أن يعقَّك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك.

هذا النص أن ينتقي أمه، وأن يحسن اسمه، وأن يعلّمه القرآن، فإذا أهمل الأب هذه الأشياء, يكون قد عَقَّ ابنه قبل أن يعقَّه ابنه، ويكون الأب قد أساء إليه قبل أن يسيء الابن إلى أبيه.

فأول واجبٍ على الآباء تجاه الأبناء: أن يحسن الأب اختيار الزوجة، إن هذا الواجب يسبق وجود الولد، الواجب الأول بل هو أخطر واجب إنه يسبق وجود الولد، وهو: أن يحسن اختيار أمه.

صفات الزوجة الصالحة :

النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول:

((خير فائدة أفادها المرء المسلم بعد إسلامه امرأة صالحة, تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه في غيبته في ماله ونفسها))

فأثمن شيءٍ أن تحسن اختيار الزوجة، ينبغي أن تكون الزوجة صالحة:

((تسرُّه إذا نظر إليها –أي أنها نظيفة– وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه في غيبته في ماله ونفسها))

وفي حديثٍ آخر: عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال:

((يا رسول الله, أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ))

في هذا الحديث ليس فيه كلمة إليها؛ أي إذا نظر إلى غرفة النوم تسره، منظَّمة ومرتَّبة والملاءة نظيفة، وإذا نظر إلى المطبخ تسرُّه، وإذا نظر إلى أولاده تسرُّه، وإذا نظر إلى البيت إجمالاً تسرُّه، أي أنها تقوم بواجبها خير قيام، أي تحسن تبعُّل زوجها.

والنبي –عليه الصلاة والسلام كما تعرفون– يقول:

((اعلمي أيتها المرأة, وأعلمي من وراءك من النساء: أن حسن تبعل إحداكن لزوجها يعدل ذلك كله))

يعني الجهاد في سبيل الله.

((تسره إذا نظر، ولا تعصيه إذا أمر، ولا تخالفه بما يكره في نفسها وماله))

هذه صفات الزوجة الصالحة، لأن اختيار الزوجة الصالحة أول واجبٍ على الآباء تجاه الأبناء الذين سوف يأتون إلى الدنيا.

وفي حديثٍ آخر: عن أبي سعيدٍ الخدري –رضي الله عنه– قال:

((قال عليه الصلاة والسلام: تنكح المرأة على إحدى خصال؛ لجمالها، ومالها، وخُلُقها، ودينها, فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك))

[أخرجه أحمد في مسنده]

وفي حديثٍ آخر: عن النبي –عليه الصلاة والسلام–، رواه البخاري ومسلم، يقول عليه الصلاة والسلام :

((تنكح المرأة لأربع؛ لمالها، ولخلقها، ولجمالها، ولدينها, فاظفر بذات الدين تربت يداك))

أي إن لم تفعل ما نلت إلا التُراب، والتراب شيءٌ لا قيمة له إطلاقاً، إذا جهدت، وتحمَّست ، وانقضضت، وأمسكت بشيء فإذا هو تراب، يقال: تربت يمينك؛ أي لن تأخذ شيئاً، لم تنل شيئاً، لم تفلح في هذا الزواج.



العلماء قالوا: يستحب أن تختار امرأة تسرُّك إذا نظرت إليها.

هذا من السنة، لكن العلماء أيضاً, ومنهم الماوردي يقول: كره العلماء أن يختار الإنسان امرأةً ذات جمالٍ بارع, لأنها متعبةٌ إلى أقصى الحدود، فإنها تزهو بجمالها، وتحب أن ينظر الناس إليها، وربَّما تعاند زوجها، وربَّما تتفلَّت من أوامر الشرع تفلُّت البعير.

لذلك هذا رأي بعض العلماء: أنه يجب أن تختار زوجةً تسرك إذا نظرت إليها، أما أن تختارها فائقةً فائقةً, فهذا ربما عاد عليك بالمتاعب التي لا حصر لها.

في حديث آخر: يقول عليه الصلاة والسلام:

((من تزوَّج المرأة لجمالها أذلَّه الله.

–هي تزهو عليه بجمالها, وهو يتصاغر أمام هذا الجمال، فكأنها هي الآمرة الناهية، وكأنها هي القَيِّمة، وكأن لها القِوامة، لذلك–:

من تزوَّج المرأة لجمالها أذلَّه الله –أي لجمالها فقط–

ومن تزوَّجها لمالها أفقره الله، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءةً, فعليك بذات الدين تربت يداك))

لكن لو أنك تزوجت امرأةً غنيَّة, وطابت لك عن بعض مالها، فهذا يأكله الزوج هنيئاً مريئاً، كما قال الله عزَّ وجل في القرآن الكريم :

﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾

[سورة النساء الآية: 4]

والنبي –عليه الصلاة والسلام– يقول:

((إياكم وخضراء الدمن.

–الدِّمَن جمع دِمْنَة وهي المزبلة، وخضراء الدمن أحياناً تنبت نبتةٌ في هذه القمامة، فإذا هي نضرة، لأنها كلها سماد، هذه سمَّاها النبي –عليه الصلاة والسلام– خضراء الدمن، قال عليه الصلاة والسلام– :

إياكم وخضراء الدمن، فقيل: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء))

البيئة سيِّئة، البيئة غير إسلاميَّة، البيئة غير ديِّنة، متفلِّتة، الجو العائلي جو مريض، الجو العائلي جو غير صحي، الشاعر الحكيم قال:

ليس الجمال بأثوابٍ تُزيننا إن الجمال جمال العلم والأدبِ .

حديثٌ آخر: رواه سيدنا أنسٌ, عن النبي –عليه الصلاة والسلام– :

((من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره, ويحصن فرجه, أو يصل رحمه, بارك الله له فيها وبارك لها فيه))

والنبي –عليه الصلاة والسلام– كان إذا حضر عقد قِران, يقول:

((بارك الله لكما وعليكما وفيكما))

وعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنه– قال:

((قال عليه الصلاة والسلام: لا تزوجوا النساء لحسنهن))

فإذا ذُكرت كلمة حُسن أو جمال, المقصود الجمال وحده؛ أي أنك آثرت الجمال على الدين، هناك رقَّةٌ في الدين وتفوُّقٌ في الجمال، آثرت الجمال على الأخلاق، هناك شراسةٌ في الأخلاق، ورقةٌ في الدين، وتفوُّقٌ في الجمال, فالأمر فيه نذر السّر، إذا ذكر النبي –عليه الصلاة والسلام– كلمة الجمال أو الحُسن, فالمقصود به من آثره على بعض الشروط الأخرى.

يقولون: إن واحداً وضع عشرة شروط: أول شرط الجمال، ثاني شرط الكمال، الثالث الغنى –المال– الرابع الحسب، الخامس النسب، السادس الثقافة، السابع إلى أن صاروا عشرة ، أرسل والدته فلم يجد، فتخلَّى عن شرط، عمل جولة ثانية بعد سنة فلم يجد فتخلى عن شرط ثانٍ، عمل جولة ثالثة فلم يجد فتخلى عن شرط ثالث، بعد عشر سنوات بقي على شرطٍ واحد: وهو أن يعثر على امرأةٍ ترضى به، فعلى المرء ألا يعقِّد الأمور كثيراً.

((لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن .

–أي جميلة وجاهلة، حسنها يرديها، يجعلها تستعلي عليه، لا يحتملها زوجها فيطلِّقها، وهذا يحصل دائماً، استعلاؤها على زوجها يحملها على أن تكون فظَّةً معه، وقد لا يحتمل الزوج هذا، فيكون الفراق والشِقاق، إذاً–:

لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوَّجوهنَّ لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن

–المال يطغي–

ولكن تزوَّجوهنَّ على الدين، ولأمة خرماء –أي أذنها مشرومة– سوداء ذات دينٍ أفضل))

وكان عليه الصلاة والسلام يأمر بالباءة –أي بالزواج– وينهى عن التبتُّل نهياً شديداً، ويقول :

((تزوجوا الودود الولود, فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة))

النبي –عليه الصلاة والسلام, وهو سيد الخلق, وحبيب الحق– اختار لنا هذين الشرطين: الودود الولود. أي ما من طبعٍ أبغض عند الرجل في المرأة من أن تكون لئيمة، أو قاسية، أو متكبِّرة، أو لها لسانٌ سليط، أو مستعلية.

النبي –عليه الصلاة والسلام– قال:

((تزوَّجوا الودود –تحب زوجها، تتحبَّب إليه، ترضيه، تؤثره على كل شيء، هذه الودود– الولود –لأنها إذا أنجبت لك طفلاً, ملأ هذا الطفل البيت أنساً ولطفاً، ومحبَّةً واشتياقاً، ومتَّن العلاقة بين الزوجين–.

تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة))

وقال عليه الصلاة والسلام:

((عليكم بالأبكار، فإنهن أعذب أفواها .

-أي كلامها لطيف, وليست كلما تحدثت بكلمتين, قالت عن زوجها الأول: المرحوم ما كان يفعل هذا، المرحوم ما كان يفعل هذا، وفي هذا تنغيص لزوجها الحالي-.

عليكم بالأبكار، فإنهن أعذب أفواها -أي كلامها لطيف- وأنتق أرحاما، وأرضى باليسير))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

هذا كلُّه من حقوق الأبناء على الآباء، أي ليحسن الأب اختيار الزوجة الصالحة.

((الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة))

[أخرجه مسلم في الصحيح, والنسائي في سننه]

الزواج سنة الأنبياء :

أراد ابن عمر -رضي الله عنه- ألا يتزوَّج، فقالت له أخته حفصة: أي أخي لا تفعل، تزوَّج فإن ولد لك ولد فماتوا كانوا لك أجراً، وإن عاشوا دعوا الله عزَّ وجل لك. لقول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَ: إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ, أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ, أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

الأنبياء العِظام -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- كلهم تزوَّجوا، قال الله عزَّ وجل :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً﴾

[سورة الرعد الآية: 38]



الأنبياء تزوَّجوا، الزواج لا يتعارض مع الدين بل هو في خدمة الدين:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾

[سورة النحل الآية: 72]

من فضل الله على الإنسان أن جعل له زوجة، وجعل له منها أبناءً، ورزقهم من الطيِّبات. هناك أب ذكر لأبنائه فضله عليهم, فقال:

وأول إحساني إليكم تخيُّري لماجدة الأعراق بادٍ عفافها .

هذا هو الحق الأول: حق ابنك عليك أن تحسن اختيار أمه.

2-التعوذ بالله من الشيطان قبل اللقاء الزوجي :

الآن الحق الثاني: التعوُّذ بالله من الشيطان قبل اللقاء الزوجي.

لأن في هذا الموضوع أحاديث كثيرة, وردت عن النبي عليه الصلاة والسلام، لكن هناك سؤال دقيق: كلَّما سألني سائل حول التعوذ, قال: إنني تعوَّذت بالله فلم يحصل ما أريد؟ وأرد عليه قائلاً: ربنا عزَّ وجل قال:

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾

[سورة فصلت الآية: 36]

يقول لك: استعذت بالله ولم يحصل شيء، فما جدوى هذه الاستعاذة؟.

في الجواب عن هذا نقول: إن الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم :

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[سورة فصلت الآية: 36]

السميع باستعاذتك، والعليم لما في قلبك، استنبط العلماء من هذه الآية: أن الاستعاذة باللسان لا قيمة لها، ولا تكفي، ولا جدوى منها، ما لم يكن القلب في أعماقه متجهاً إلى الله بالاستعاذة، فلذلك:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

[سورة الناس الآية: 1-6]

-قل أعوذ- لا تقبل هذه الاستعاذة، ولا تُجدي، ولا تقطف ثمارها, إلا إذا كانت نابعةً من قلبك، بالدليل: أن الله سبحانه وتعالى ختم الآية, فقال:

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[سورة الأعراف الآية: 200]

سميعٌ لهذه الاستعاذة, ولكن يعلم أن قلبك ليس في مستواها، فإذا اتجه الإنسان إلى الله عزَّ وجل بكليَّته مستعيذاً, لا بدَّ من أن ينجيه من كل مكروه، هذا شيءٌ ثابت.

الله عزَّ وجل قال :

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾

[سورة الإسراء الآية: 64]

فالمشاركة في الأولاد: أن الزوج الذي ينسى أن يستعيذ بالله قبل اللقاء الزوجي، قد يشرَكه في هذا اللقاء الجن، وعندئذٍ يأتي الابن شريراً مخيفاً، هذا تفسير بعض العلماء لهذه الآية.

النبي –عليه الصلاة والسلام– فيما روى البخاري ومسلم، عن ابن عبَّاسٍ –رضي الله عنهما– من طرقٍ كثيرة –أي صار هذا حديثاً متواتراً تواتراً معنوياً– أنه قال:

((لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ, اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ, وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا, فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ, لَمْ يَضُرُّهُ))

أي الشيطان لم يضر هذا الولد. هذا الحديث واضح .

الإمام الداودي قال: معنى لم يضرَّه؛ أي لم يفتنه عن دينه إلى الكفر.

وليس المراد أن هذا الابن معصومٌ عن المعصية، فالقضية سهلة, إذا كان الواحد قد سمى, فهل يأتيه ولد صالح عالِم جليل؟ لا, بل إن العلماء يقولون: ليس معنى هذا أنه يصبح معصوماً عن المعصية، ولكن لم يضرُّه الشيطان فيهوي به إلى الكفر، إذا كان قد استعاذ الزوج بالله من الشيطان الرجيم قبل اللقاء الزوجي. وكلكم يعلم: أن الإنسان إذا دخل بيته ولم يسلِّم, قال الشيطان لأخوانه: أدركتم المبيت في هذا البيت –الليلة هنا، طول الليل مشاكل– فإذا جلس إلى الطعام ولم يسمِ, قال الشيطان لأخوانه : وأدركتم العشاء –كذلك وعند العشاء، يشبع الجماعة– فإذا دخل ولم يسلِّم، وجلس إلى الطعام ولم يسمِّ, قال الشيطان لأخوانه: أدركتم المبيت والعشاء معاً.

أي أنكم الليلة نومكم هنا والعشاء كذلك جاهز.

إذاً خلاصة التوجيه النبوي: أن الإنسان عليه أن يسلِّم إذا دخل إلى بيته قائلاً: السلام عليكم، وعليه أن يسمي إذا أكل، عندئذٍ يجنبه الله الشيطان في علاقاته وفي طعامه.

3-أن يتخير له اسماً ذكراً كان أو أنثى :

الواجب الذي يلي هذا الواجب هو :أن يتخيَّر له اسماً حسناً ذكراً كان أو أنثى .

ففي الحديث الشريف:

((إنكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم))

[أخرجه أبو داود في سننه]

هكذا قال عليه الصلاة والسلام, بعضهم يسمي ابنه جعيفص مثلاً، ما هذه جعيفص؟ عبد الرحمن، عبد اللطيف مثلاً، عبد الله، حَسن، حُسين كذلك، هناك أسماء كثيرة جداً؛ أسماء إسلاميَّة، وأسماء أخلاقيَّة، من ذلك اسم مجيب أحياناً، واسم هُمام، لدينا أسماء كثيرة فيها معنى الشجاعة وغيرها.

طبعاً سبب هذه الأسماء القبيحة جهلٌ قائم بالأهل، إن سمَّاه اسماً قبيحاً يعيش ولا يموت كما يزعمون، يسميه فلفل، فجلة، خيشة، جدي، في أسماء أخرى أيضاً، هذه الأسماء يتوهَّم الآباء أنها تقي ابنهم من الأمراض ومن الموت، هذا كله كلام فارغ ولا أساس له من الصحَّة ، هذه أسماء مزرية بأصحابها. وهناك أسماء مستوردة؛ ميمي، وشونو، وسونا، وفيفي، وشوشو، هذه أسماء لا تليق بالمسلم أساساً، لا تسمي اسماً خشناً ولا اسماً مستورداً، نريد اسماً إسلامياً، والآن لدينا الكثير من الكتب بالأسواق، وعندنا معاجم حوالي أربعة أو خمسة آلاف اسم مرتَّبة ترتيباً جيداً، اقتنِ كتاباً منها، فاختيار الاسم شيء مهم جداً، هذا الاسم سوف يكون علماً على هذا الابن, في حلِّه وترحاله، في علاقاته، في حركاته وسكناته، في نشاطاته.

الأسماء المحبب إلى الله؟ :

النبي –عليه الصلاة والسلام– عن ابن عمر –رضي الله عنه– وفيما رواه الإمام مسلم يقول:

((إن أحب أسمائكم إلى الله عزَّ وجل؛ عبد الله وعبد الرحمن))

وكان عليه الصلاة والسلام إذا لم يعرف اسم إنسان, قال له:

((ادن مني يا عبد الله))

هذا اسم يطلق على الكل: يا عبد الله.

وعن جابرٍ –رضي الله عنه– قال:

((ولد لرجلٍ منا غلام فسمَّاه القاسم، فقلنا: لا نُكنيك أبا القاسم ولا كرامة –رسول الله أبا القاسم– فَأُخبِر النبي –عليه الصلاة والسلام– فقال: سمِّ ابنك عبد الرحمن))

أحياناً يكون بالأسرة رجل وقور وله قيمته يسمونه باسمه، وهذا الابن أحياناً يشذ، ينحرف، يتعرض لدعاء سوء من الأهل، فتصير هذه مشكلة، فيفضَّل إذا كان في الأسرة إنسان وهو عميد الأسرة له قيمته، فلا تعمل إحراجات وتسمي الصغير باسمه.

فالنبي –عليه الصلاة والسلام– لم يرضَ، قال له:

((سمه عبد الرحمن))

والنبي أمرنا في حديثٍ آخر رواه أبو داود:

((تسموا بأسماء الأنبياء))

[أخرجه أبو داود والنسائي في سننهما]

((وأحب الأسماء إلى الله؛ عبد الله وعبد الرحمن))

[أخرجه أبو داود والنسائي في سننهما]

إبراهيم، سيدنا إبراهيم:

((تسموا بأسماء الأنبياء , وأصدقها حارثٌ وهُمام، وأقبحها حربٌ ومرَّة))

[أخرجه أبو داود والنسائي في سننهما]

وكان عليه الصلاة والسلام يبدِّل الأسماء.

أحياناً هذا الكلام أسوقه للمعلمين، إذا عندك طفل له اسمه لا يليق، أنت بدِّل له اسمه أثناء العام الدراسي في تعاملك معه، لا أقول بالسجلات فلها وضع آخر، وقت تقديم الشهادة تأخذ اسمه الصحيح، لكن أثناء التعامل اليومي أطلق عليه اسماً لطيفاً, ينتعش فيه هذا الطفل.

فالنبي –عليه الصلاة والسلام– قال: عن سعيد بن المسيِّب بن حَزْن, أعطيه الحُزن, والحَزَن هو المعروف، معروف عند الجميع، وهو ما يعتري النفس من ألم ..:

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾

[سورة النمل الآية: 70]

الحُزن والحَزَن بمعنى واحد، لكن الحَزْن الأرض الوعرة.

قال عليه الصلاة والسلام:

((أَلا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ثَلاثًا, أَلا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ))

الحَزْن الأرض الوعرة، أما الحَزَن والحُزن بمعنى واحد وهو الألم النفسي.

فعن سعيد بن المسيب بن حَزْن, عن أبيه, أنه جاء النبي –عليه الصلاة والسلام– فقال:

((ما اسمك؟ قال: حَزْن, فقال: أنت سهل, قال: لا أغير اسماً سمَّانيه أبي, فقال بن المسيّب فيما بعد: فما زالت الحزونة فينا بعد))

أي غلظ الوجه وشيءٌ من القساوة.

النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول لك: أنت سهل, وهو يقول: لا اسمي حزْن ويرفض تسمية النبي. قال: فما زالت الحزونة فينا بعد.

والحزونة غلظ الوجه وشيءٌ من قساوة القلب.

امرأةٌ اسمها عاصية سمَّاها النبي جميلة، لماذا عاصية؟.

ما اسمكِ؟ قالت:

((أنا عاصية, فقال لها: بل أنتِ جميلة))

وامرأةٌ اسمها برَّة فقال عليه الصلاة والسلام:

((أنتِ زينب))

الأنسب أن يختار الإنسان اسماً مناسباً، والذي أعرفه أن الإنسان له الحق أن يبدِّل اسمه، فإذا لم يرق له اسمه الذي سماه به أبوه, فله الحق أن يبدِّل اسمه حتى في قيود الدولة وسجلاتها، هذا من حقوق الأبناء على الآباء.

الحقيقة: الأسماء القبيحة أسبابها عادة قبيحة، وعقليَّة قبيحة، وتصوُّر قبيح, إذ يزعم الجهلة أن هذه الأسماء القبيحة تقي صاحبها من الضرر، والهلاك، والموت، والآفة، والمرض، والحق أنه لا يقي الإنسان إلا الله عزَّ وجل، لكن النبي قال:

((العين حق، إن العين –أي عين الحسود– تضع الجمل في القدر، والرجل في القبر))

المحسود الغافل عن الله عزَّ وجل تؤثِّر فيه عين الحسود، أما المحسود المُقبِل على الله لا تؤثِّر فيه عين الحسود .

وللتعوُّذ موضوعٌ آخر إن شاء الله، التعوُّذ بالله من الحسد وغيره يحتاج إلى موضوع تفصيلي نتحدَّث عنه في وقتٍ آخر.

ما ورد عن الغزالي في رياضة الصبيان :

نختار أيضاً من حقوق الأبناء على الآباء ما ورد في كتاب إحياء علوم الدين عن رياضة الصِبيان: فاعلم أن الطريق في رياضة الصبيان -والمقصود هنا بالرياضة هي التربية- من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانةٌ عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرةٌ نفيسة ساذجة، خاليةٌ من كل نقشٍ وصورة، وهو قابل لكل ما نُقِش، ومائلٌ إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلمٍ له ومؤدِّب، وإن عوِّد الشر وأُهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له، وقد قال الله عزَّ وجل:



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

[سورة التحريم الآية: 6]

إذا كان الأب يصونه عن نار الدنيا، فلأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته عن نار الآخرة بأن يؤدِّبه ويهذبه -الكلام للإمام أبو حامد الغزالي- ويعلّمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قُرَناء السوء، ولا يعوِّده التنعُّم، ولا يحبِّب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيّع عمره في طلبها إذا كبر، فيهلك هلاك الأبد، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره، فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه, إلا امرأةً صالحةً متدينةً تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، إذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبث, فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث, قال: فإذا رأى فيه مخايل التمييز -صار مدركاً- فينبغي أن يحسن مراقبته ..

((لاعب ولدك سبعاً، وأدِّبه سبعاً، وراقبه سبعاً، ثم اترك حبله على غاربه))

1-أن يعلمه الحياء :

وأول ذلك ظهور أوائل الحياء، فإنه إذا كان يحتشم ويستحي، ويترك بعض الأفعال, فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه، حتى يرى بعض الأشياء قبيحاً ومخالفاً للبعض الآخر، وهذه عندئذٍ هديَّةٌ من الله تعالى إليك وبشارةٌ تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب.

2-أن يعلمه الأدب في الطعام :

وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام، فينبغي أن يؤدَّب فيه, فلا يأخذ الطعام إلا بيمينه، وأن يقول عليه: بسم الله عند أخذه، وأن يأكل مما يليه، فقد ورد عن عمر بن أبي سلمة -رضي الله عنهما- قال: كنت غلاماً في حجر النبي -عليه الصلاة والسلام-، وكانت يدي تطيش في الصحفة -أي يأكل من كل الأطراف- فقال لي النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((يا غلام, سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما, ومالك في الموطأ]



وأن يعوِّده ألا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وألا يحدق النظر إليه، ولا إلى من يأكل، ولا أن يسرع في الأكل، وأن يجيد المضغَ، وألا يوالي بين اللُّقم، ولا يلطِّخ يديه ولا ثوبه، وأن يعوَّد الخبز القِفار في بعض الأوقات -من حين لآخر خبز فقط، هذا توجيه الإمام الغزالي - وأن يعوَّد في بعض الأوقات الخبز القفار حتى لا يصير الإدام حتماً.

-هذا مصداق قول النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم))

ويقبِّح عنده كثرة الأكل، ويمدح عنده الصبي المتأدِّب القليل الأكل، وأن يحبِّب إليه الإيثار بالطعام، وقلَّة المبالاة فيه، والقناعة بالطعام الخشن أي طعامٍ كان.

-ابن المقفَّع له صديق قال عنه: من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظَّمه في عيني, صغر الدنيا في عينيه، فكان خارجاً عن سُلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد, ولا يكثر إذا وجد.

3-أن يحبب إليه الثياب البيض دون الملون :

قال-: وأن يحبِّب إليه الثياب البيض دون الملوَّن، والإبريسيم -أي المعرَّق- فإن هذا من شأن النساء والمخنَّثين، وإن الرجال يستنكفون منه، ومهما رأى على صبيٍ ثوباً من إبريسيم أو ملوَّن, فينبغي أن يستنكره ويذمَّه.

4-أن يحسن تأديبه :

وإن الصبي إذا أهمل من ابتداء نشأته, خرج في الأغلب رديء الأخلاق، كذَّاباً، حسوداً، سروقاً، نمَّاماً، لحوحاً، ذا فضول، وضحك، وكِياد، ومجانة -أي من المجون-, وإنما يُحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب، ثم يُشغل في المكتب؛ فيتعلَّم القرآن، وأحاديث الأخبار، وحكايات الأبرار وأحوالهم، ليغرس في نفسه حب الصالحين, ويحفظ من الشعر والنثر الأدبي ما يقوِّم لسانه، ويجعله محباً للغة العربيَّة وعاشقها.

5-أن تثني عليه إذا رأيت منه خلقاً حميداً :


الثناء على الابن يشجعه على تبني الأخلاق الحميدة

-قال-: فإذا ظهر على الصبي خُلقٌ جميل وفعلٌ محمود، فينبغي أن يكرَّم عليه -يجب أن تثني على ابنك إذا رأيت منه خُلقاً حميداً؛ أمانةً، وفاءً، صدقاً- ويجازى عليه لما يفرح به، وأن يُمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرَّةً واحدة, فينبغي أن يتغافل عنه.

-غلط غلطة ننتقده انتقاداً صارخاً أمام الناس على غلطة واحدة، لا, فهذا لا ينبغي أن نفعله, وكما جاء في وصية الغزالي: فإذا خالف ذلك في بعض الأحوال مرَّةً واحدة, فينبغي أن نتغافل عنه, وأن لا نهتك ستره، وألا نكاشفه، ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر على أحدٍ مثله, أي أن التغافل على أخطاء قليلة حكمةٌ تربويَّة، أما إذا عاد ثانيةً يُعاتب عتاباً رقيقاً فيما بينك وبينه، ويقال له: إياك أن تعود إلى ذلك مرَّةً ثانية.

قال-: وليكون الأب حافظاً مع ابنه هيبة الكلام، فلا يوبِّخه إلا أحياناً، والأم تخوِّفه بالأب, وتزجره عن القبائح.

6-أن يمنع الابن من النوم نهاراً فإنه يورث الكسل وألا يمنع منه ليلاً :

-قال-: وينبغي أن يمنع الابن من النوم نهاراً, فإنه يورِّث الكسل، وألا يمنع منه ليلاً، ولكن يُمنع الفُرش الوطيئة حتى تتصلَّب أعضاؤه -الفرش الوثيرة المريحة هذه تعوِّده النوم-, وينبغي أن يمنع من كل فعلٍ يفعله خفيةً، فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح، فإذا تعوَّد ترك فعل القبيح فقد تعوَّد شيئاً طيباً، ويعوَّد في بعض النهار المشي والحركة والرياضة, حتى لا يغلب عليه الكسل، ويعود ألا يكشف أطرافه, وألا يسرع في المشي، وألا يرخي يديه, بل يضمهما إلى صدره.

7-أن يمنع أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه أبوه :

ويُمنع أن يفتخر على أقرانه بشيءٍ مما يملكه أبوه -أبي كذا، أبي عنده بيته، سيارته، حاجته- أو بشيءٍ من مطاعمه وملابسه، أو أدواته، بل يعود التواضع والإكرام لكل من عاشره, ويُمنع أن يأخذ من الصبيان شيئاً بطريق الحيلة، بل يعلم أن الرفعة في الإعطاء والدناءة في الأخذ، وإن كان الأخذ من أولاد الأغنياء لؤمٌ وخسَّة، فإن الأخذ من أولاد الفقراء يعلِّم الطمع والمهانة والذِلَّة -على الحالتين- وأن يُقبَّح عند الصبيان حب الذهب والفضَّة والطمع فيهما.

8-أن يعود ألا يبصق في مجلسه وألا يتمخط ... :

ويعوَّد ألا يبصق في مجلسه، وألا يتمخَّط، ولا يتثاءب بحضرة غيره، وألا يستدبر غيره ، وألا يضع رجلاً فوق رجل، وألا يضع كفَّه تحت ذقنه، ولا يعتمد رأسه في ساعده, فإن هذا دليل الكسل، ويعلِّم كيفية الجلوس, ويمنع كثرة الكلام، ويمنع أن يبتدئ بالكلام، ويعلَّم ألا يتكلَّم إلا جواباً, وبقدر السؤال، ويعلَّم حسن الاستماع ممن هو أكبر منه سناً، وأن يقوم لمن هو أكبر منه سناً، ويوسِع له في المكان، ويُمنع من لغو الكلام والفُحش، ومن اللعن والسب، ومن مخالطة من يجري على لسانه شيءٌ من ذلك.

9-ينبغي ألا يكثر الصراخ والشغب إذا ضربه المعلم ولا يستشفع بأحد بل يصبر :

وإذا ضربه المعلِّم ينبغي ألا يكثر الصُراخ والشَغَب -هذه الزعبرة- ولا يستشفع بأحد بل يصبر، وينبغي أن يعلَّم طاعة والديه ومعلِّمه ومؤدِّبه، وكل من هو أكبر منه سناً من قريبٍ أو أجنبيٍ، وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم، وأن يترك اللعب بين أيديهم.

هذا فصل ورد في إحياء علوم الدين عن رياضة الصبيان – تأديب الصبيان– وهو فصلٌ تربويٌ مهمٌ جداً, إذا أخذ الأب به، وإذا طبَّقه بقدر إمكانه, ولكن الظروف صعبةٌ جداً، أي قبل أن تستطيع أن تؤثِّر بابنك هناك ألف مؤثِّرٍ آخر، كما قال الله عزَّ وجل:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾

[سورة الروم الآية: 41]

فأرجو أن يكون هذا الكلام واقعياً، لكن قبل سنواتٍ طويلة، قبل مئات السنين, كان الجو جواً صحياً، والأخلاق هي السائدة، والحكمة هي المسيطرة .

الخاتمة:

وفي درسٍ آخر –إن شاء الله– هناك واجباتٌ كثيرة هي على الآباء تجاه أبنائهم؛ تعليم القرآن، وتعليم السباحة، والرماية، وركوب الخيل، والخِتان، والأذان في أذنه، وتحنيكه، والعقيقة.

أشياء كثيرة –إن شاء الله– نأخذها في الدرس القادم تتميماً لموضوع حقوق الأبناء على الآباء :

((ورحم الله والداً أعان ولده على برِّهِ))

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-5) : حسن تأديبه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

من حقوق الأبناء على الآباء أيضاً :

4-أن يؤدب الأب ابنه بالأدب الإسلامي :

أيها الأخوة المؤمنون, لا زلنا في موضوع حقوق الأبناء على آبائهم، وربَّما كان هذا الدرس هو الدرس الأخير في هذا الموضوع.

من حقوق الأبناء على آبائهم: أن يُؤدَّب بالأدب الإسلامي.



كل دينٍ، أو كل مذهبٍ، أو كل مبدأٍ، أو أية حضارةٍ هي مجموعة أفكار، ومجموعة قيَم، ومجموعة أخلاقيات، وقد يعبَّر عنها بالأدبيات، الإسلام له أفكاره، وله قيمه، وله آدابه.

هناك آداب الاستماع، آداب الحديث، آداب الطريق، آداب طلب العلم، آداب تلقين العلم، هناك آداب الزوج مع زوجته، آداب الزوجة مع زوجها، آداب الجار مع جاره، في الإسلام بعامة وفي السُنَّة المطَّهرة بخاصة موضوعٌ كبيرٌ ويحتل مساحةً كبيرةً: إنه موضوع الآداب.

فالابن فضلاً عن أن الأب مُلزم عن أن يعلِّمه مبادئ الإسلام، وأن يعلِّمه قيم الإسلام, عليه أن يؤدِّبه بأدب الإسلام.

ومرَّةً ثانية أوضِح حقيقةً دقيقةً جداً هي: أن الأب دوره كدور الطبيب, عليه أن يبذل قُصارى جهده، أما أن يكون تحقيق النجاح محاسباً عليه, فهذا شيءٌ فوق طاقته، لأن الله عزَّ وجل خاطب النبي –عليه الصلاة والسلام وهو سيّد المُربين، وإمام المعلّمين، وسيّد العلماء، وسيد الأتقياء، وأخشع خلق الله–, قال:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة البقرة الآية: 272]

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾

[سورة هود الآية: 86]

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾

[سورة الغاشية الآية: 21–22]

سيدنا نوح –عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام– كان من أنبياء الله عزَّ وجل، ومع ذلك لم يتمكَّن أن يلقِن العلم الشريف لابنه الذي هو من صُلبه.

أقول هذا الكلام لأن موقف الأب يجب أن يكون دقيقاً جداً، لو أنه أهمل فهو محاسبٌ على إهماله، لو أنه عجز عن تحقيق الهدف الذي أراده الله من الإنسان في ابنه, نقول له: إن هذا العجز لست محاسباً عليه، لأن الطبيب عليه أن يبذل قُصارى جهده وليس عليه ضمان الشفاء، هذه حقيقةٌ مسلَّمٌ بها لا تقبل الأخذ والرد.

ما دور الكلام في نقل الآداب وما دور الكلام في نقل القيم؟ :

فعلى الأب أن يؤدِّب ابنه بالآداب الإسلاميَّة، ولكن وهذه كلمةٌ صريحة: ما دور الكلام في نقل الآداب؟ ما دور الكلام في نقل القيَم؟ .

إن دور الكلام دورٌ ضئيلٌ جداً، محدودٌ جداً، ولكن يكفي أن يتأدَّب الأب بالأدب الإسلامي، وأن يكون في بيته مسلماً صادقاً، يكفي أن يَصْدُق ليعلِّم أبناءه الصدق من حيث لا يشعر ولا يشعرون، لمجرَّد أن يكشف الابن أن الأب يكذب على أمِّه، وأن الأم تكذب على الأب، وأن الأخ يكذب على أخيه, هذا اسمه كذبٌ ممارس، الواقع فيه كذب، فالابن يتعلَّم من الواقع أضعاف ما يتعلَّم بالتلقين، من هنا قالوا: لغة العمل أبلغ من لغة القول.

المسلمون في أندونيسيا أسلموا لا عن طريق الدعوة؛ ولكن عن طريق الممارسة، عن طريق المعاملة .

في موسم الحج الماضي, حدَّثني أخٌ كريم فقال لي: التقيت برجل من أوروبا، هو في عرفات يدعو ويبكي، مظهره يُنْبِئُ عن أنه ليس عربياً، وليس من بلاد الشرق الأوسط، فلما سأله, عرف أنه من دولةٍ في قلب أوروبا، أول سؤالٍ يخطر في باله: كيف أسلمت؟ أو لماذا أسلمت؟ فكانت الإجابة في منتهى البساطة :



إن طالباً مسلماً سكن في بيته، هذا الطالب رآه مثلاً أعلى في الاستقامة؛ عفَّةٌ ما بعدها عفَّة، صدقٌ ما بعده صدقٌ، جديَّةٌ ما بعدها جديَّة، انضباطٌ، صلاةٌ، ذكرٌ، عبادةٌ، من حيث لا يشعر, هذا الطالب ترك أبلغ تأثيرٍ في هذا الإنسان، وكان إسلام هذا الرجل على يد هذا الطالب، وجاء إلى بلاد الحجاز ليؤدي الفريضة.

إذاً: هذه كلمة أقولها من القلب: الإسلام الآن لا يحتاج إلى كلام، الكلام ولا سيما في هذا العصر, هناك منه طَوَفان، أو هناك طُوفان، أي من الكلام، الكتابات، المقالات، الكتب، التسجيلات، الخُطَب، المحاضرات، الندوات بلغت من الكثرة، والعمق، والتفنُّن، والتنوُّع، والقدرة على التأثير الحَدَّ الأقصى، وما لهؤلاء الناس لا يرتدعون، ولا يؤثِّر فيهم هذا الكلام؟ لأن لغة العمل أبلغ من لغة القول .

أنا أقول لكم هذه الكلمة: "بدأ الدين غريباً وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء.

الآن لا يؤثِّر في أخيك، ولا في جارك، ولا في زميلك، ولا في صديقك، ولا في أي إنسان تلتقي به, لا يؤثِّر فيه دقة الفكرة ولا دليلها، بل يؤثِّر فيه الموقف الإسلامي؛ أن تكون صادقاً، أن تكون منضبطاً، أن تكون عفيفاً، أن تكون سَخياً، أن تضع المادة تحت قدمك من أجل مبدئك، أن تكون عند وعدك، عند ما تقول، فإذا كان هذا هو الطريق الوحيد لنشر الدين في الأوساط، فأن يكون الطريق الوحيد لتلقين أولادك: فمبادئ الإسلام وقيمه وآدابه من باب أولى, لذلك قبل أن تقول لأولادك: عُدَّ للألف وللمليون, هل أنت في مستوى هذا القول؟ إن دعوتهم إلى الصدق فهل أنت صادق؟ إن دعوتهم إلى أن يفعلوا كذا وكذا فهل تسبقهم أنت إلى فعل كذا وكذا؟ هذه الازدواجيَّة في شخصية الإنسان هي الطامَّة الكبرى في هذا العصر, هناك شرخٌ كبير بين ما تعتقده، وبين ما تؤمن به، وبين ما تدعو إليه، وبين ما تمارسه في حياتك اليوميَّة، هذا الشرخ الكبير، هذه الهوة الكبيرة, فصلت الإسلام عن الحياة .

ما تسمعه في المسجد، ما تسمعه من خطيب المسجد, كلامٌ طيب مائة في المائة، ولكن ما تراه في الحياة اليوميَّة شيءٌ آخر مختلفٌ كل الاختلاف، لذلك الكلمة الفصل، والكلمة الصادقة:

إذا أردت أن تربي أبناءك على أي شيء, لا تنتظر أن يكونوا كما تريد, إن لم تكن أنت كما يريد الإسلام، إذا كنت أنت عاجزاً عن أن تكون صادقاً, فأولادك أعجز عن الصدق منك، إذا كنت أنت عاجزاً عن أن تضبط شهواتك، يكفي أن يراك ابنك تستقبل امرأةً لا تحلُّ لك؛ قريبة أو صديقة، أو، أو ....، ويكفي أن ينظر إليك, وأنت تدير معها حديثاً لطيفاً, وأنت تملأ عينيك منها، أي كلامٍ تقوله لابنك عن غض البصر، وعن العفَّة، وعن كلامٌ لا قيمة له إطلاقاً، يجب أن يرى الابن من أبيه الصدق، العفَّة.

من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((الإسلام عفيفٌ عن المحارم، الإسلام عفيفٌ عن المطامع))

إذا أردنا أن نوسِّع الدائرة فهذا ممكن, دعونا من تربية الأبناء ووسِّعوا الدائرة إلى الدعوة إلى الله، لن تستطيع أن تؤثِّر في إنسان كائناً من كان, إن رأى هذا الإنسان مسافةً بين أقوالك وأفعالك، الكلام سهل، لذلك قال بعض الأدباء:

إن أكثر الناس يستطيعون الحديث عن المُثُل العُليا، ولكنهم لا يستطيعون أن يعيشوها.

أي لك أن تقول: هذه حقوق الأم, ولكن البطولة أن تعرف هذه الحقوق وأنت متزوِّج، حينما تصطدم أمك مع زوجتك، تقف مع من؟ تقف مع مبدئك أم مع شهوتك؟ تقف مع مصلحتك العاجلة أم مع مصلحتك الآجلة؟.

كيف أؤدب ابني بالأدب الإسلامي؟ :

لذلك هذه الكلمة لا بدَّ منها تقديماً لهذا الموضوع الدقيق؛ أي يا رب كيف أؤدِّب ابني بالأدب الإسلامي؟ يجب أن تكون أنت مسلماً، يجب أن يكون هذا البيت إسلامياً، يجب ألا تعد وعداً إن لم تكن متأكِّداً من أن توفيه, الطفل يصدِّق كل ما تقوله له، لقد وعدته بمكافأةٍ إذا نجح ، وها هو ذا قد نجح أين المكافأة؟ هو لا يعرف أنك لا تملك مالاً ولكن يعرف أنك وعدته، أنت أبوه وهو يظن كما يقولون: المرأة والطفل الصغير يحسبان الرجل على كل شيءٍ قدير, هكذا تظن المرأة وابنها في وقتٍ واحد، فإذا كنت لست متأكِّداً من قدرتك على أن تفي بوعدك فلا تعد؛ أي علِّم ابنك قدسيَّة الكلمة.

أنا ألاحظ ملاحظة هي مشكلة؛ على مستوى الأقارب، على مستوى الأصحاب، الأصدقاء، على مستوى الجيران، على مستوى العلاقات اليوميَّة، تطلب طلباً: أنا بحاجة لهذا الشيء, تجد أربعة أو خمسة اندفعوا اندفاعاً عجيباً لتقديم خدماتهم، تنتظر يوم الأحد، والاثنين, والثلاثاء، والأربعاء، بل يمضى أسبوع واثنان وثلاثة ولا تجد استجابةً لهذا الطلب، فلماذا؟



هذا الذي قال لك: أنا سأفعل هذا, هذا كلام، أما وعد الحر دين، أنت ابق صامتاً، الصامت في سلام، والمتكلِّم إما له أو عليه، أنت إذا كنت لست متأكِّداً من قدرتك على أن تفي بما وعدت فابقَ صامتاً، فهذا أشرف موقف تقفه.

أحياناً الأخ يزور أخته، تشكو له بعض ما هي بحاجةٍ إليه, فيقول لها: هذه اتركيها لي، وهذه على عيني, الأخت تصدِّق, وتنتظر الأسبوع والأسبوعين، والشهر والشهرين، ولا من مجيبٍ، ولا من سميعٍ، ولا من قريب، فهذه المشكلة أن الوعود كثيرة، التبجُّح كثير، التوجيه كثير، الوعظ كثير، ولكن التطبيق قليل، فلذلك قبل أن تفعل شيئاً:

يا أيها الرجل المعلِّم غيره   هلا لنفسك كان ذا التعليمُ؟
ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها   فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ
لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله   عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

هذه أبياتٌ بليغة.

والآن يطالعنا سؤال دقيق: ما هو الفرق الجوهري بين دعوة الأنبياء –عليهم صلوات الله– وبين دعوة الدعاة؟.

الفرق الجوهري هو: أنك لن تجد في حياة النبي أي مسافة بين ما يقول وبين ما يفعل، هذا هو ملخَّص ملخَّص الملخَّص، إذا أردت أن تؤثِّر في الناس فكن في مستوى دعوتك، إذا علَّمت الناس السُنَّة طبِّقها قبل أن تعلمهم إياها، إذا علَّمت الناس أدب التواضع كن متواضعاً، إذا علَّمت الإنسان أدب إنكار الذات أنكر ذاتك أولاً، إذا علَّمت الناس أدب التوكُّل توكَّل أنت قبلهم، إذا علَّمت الناس أدب السخاء كُن سخياً قبل أن تعلِّمهم السخاء، هذا إذا فعلناه رضي الله علينا جميعاً، لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول:

((إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلا إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما, ومالك في الموطأ]

الأبوة مسؤولية :

من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم))

[أخرجه ابن ماجة في سننه]

سبحان الله! هناك جبلَّةٌ جبلها الله عزَّ وجل في قلب كل أب، هذه الجبلَّة هي الحرص على أولاده، ولكن المشكلة أنك تحرص على أولادك من زاوية نظرك، من وجهة نظرك، فالأب الذي لا يعرف الله عزَّ وجل يحرص على مستقبل أولاده وفق تخطيطه هو، هذا الذي يسميه الناس ضالٌ مُضل، يحب أن يكون أولاده أحراراً في أعمالهم، وفي حركاتهم، وفي سكناتهم، ولا يتأثَّر كثيراً إذا رأى انحرافاً, لا بدَّ من أن يكون ابنه كذا وكذا، لذلك تعلُّم الأب فرض عينٍ قبل أن يُعَلِّم، الأبوَّة مسؤوليَّة.



فكل إنسان يتزوَّج ينجب أولاداً، هذا في مقدور أي إنسان؛ جاهل، عالم، عظيم، تافه، أخلاقي، لا أخلاقي -أمر واضح- كائن مع كائن ينجبان مولوداً، ولكن الأبوَّة في الإسلام مسؤوليةٌ قبل أن تكون مُتعة، مسؤوليَّة كبيرة، هذا الذي أنجبته له حقٌ عليك.

النقطة التي ذكرتها لكم في الدرس السابق: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لماذا جعل الدِرهم الذي تنفقه على عيالك خيراً من أي درهمٍ آخر؟ لأن إنفاق المال على الفقراء مثلاً قد تنفق عليهم أنت وهناك آخرون ينفقون عليهم، أي هو بابٍ من أبواب الخير, إن امتنعت أنت عن الإنفاق تقدَّم غيرك، ولكن رعاية الأولاد، هؤلاء الأولاد إن تخليت أنت عنهم من لهم؟ ليس لهم أحد، من هنا كان الدرهم الذي تنفقه على عيالك أو على أولادك خيراً من أي درهمٍ آخر، كما قال عليه الصلاة والسلام في مقدمة هذا الموضوع.

والحديث الثاني: عن أيوب بن موسى, عن أبيه, عن جده, أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((ما نحل والدٌ ولداً أفضل من أدبٍ حسن))

معنى نحل؛ أي أعطى.

قلت لكم سابقاً فكرةٌ مهمة أُعيدها مرة ثانية:

الله سبحانه وتعالى جعل في الأرض معايش، معنى معايش: أي جعل في الأرض أبواباً لكسب الرزق، كل واحد له حرفة؛ هذا مدرّس والتدريس بابٌ لكسب الرزق، هذا محامٍ والمحاماة بابٌ لكسب الرزق، هذا موظَّف، هذا صاحب مهنةٍ يدويَّة –حرفةٍ يدويَّة–, كل إنسانٍ يعيش من عملٍ والناس في أمس الحاجة إليه، وهذا تصميم الله عزَّ وجل، فالإنسان يُتقن عملاً واحداً, وهو بحاجة إلى آلاف آلاف الخدمات والحاجات، الحياة تقوم على العلاقة المتبادلة , كذلك ربنا سبحانه وتعالى جعل في الحياة الدنيا أبواباً للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى, الأسرة أحد أكبر هذه الأبواب؛ أي يكفي أن تكون زوجاً مثالياً، أن ترعى زوجتك، أن تحملها على طاعة الله، أن تعرِّفها بأمر آخرتها، أن تعطيها سؤلها بالمعقول من دون شطط، من دون إسراف، من دون تبذير، من دون مباهاة، أن تكفيها مؤنتها، أن تطمئنها لا أن تهددها بالطلاق صباح مساء، يكفي أن تبثَّ في قلبها الأمن والطمأنينة، وأن تطعمها مما تأكل، وأن تلبسها مما تلبس، وأن توقِّرها توقيراً يليق بها كزوجة شريكة حياة، هذا بابٌ كبير من أبواب العمل الصالح.

أولادك يكفي أن تحرص على مستقبلهم، يكفي أن تحرص على هدايتهم، يكفي أن تسعى لتنشئتهم نشأةً صالحة, بناتك يكفي أن ينشأن على طاعة الله ورسوله، يكفي أن تكون هذه البنت وفق ما أراد النبي –عليه الصلاة والسلام–، وأن تبحث لها عن زوجٍ مؤمن, فإن في هذا المسعى عملاً عظيماً هو مدخلٌ لك على الله عزَّ وجل.

الأبواب المفتحة إلى الجنة لا تعد ولا تحصى :

الآن أوسِّع الدائرة؛ حرفتك, عملك يكفي أن تتقنه، وأن تكون صادقاً فيه، وألا تغش به المسلمين، وأن تمارسه وفق الشرع، وأن تبتغي به خدمة المسلمين, حتى ينقلب هذا العمل إلى عملٍ صالح.
فأحياناً الإنسان يتوهَّم أنه عدداً قليلاً من الناس فقط لهم عند الله مكانة كبيرة، أقول: إن هذا وهم, فحسب ظنه أن الذي يبني هذا المسجد، وهذا الداعية، وهذا الخطيب مثلاً فقط هم أصحاب الخطوة عند الله، لا, أنت أنت أيها الأخ الكريم بحرفتك، وعملك اليومي، وفي بيتك، ومع زوجتك وأولادك، وفي علاقاتك الاجتماعيَّة إذا أوقعتها وفق منهج الإسلام، وضبطت عملك, هذه كلها أبوابٌ لدخول الجنَّة، فهل من المعقول أن يكون كل

الناس دعاة؟ لا، وكن أنت صاحب مهنة، صادق، مستقيم، أمين، تنصح المسلمين، تبتغي بعملك هذا خدمة المسلمين, هذا بابٌ كبير من أبواب دخول الجنَّة.



فأنا أريد أن أقول: إن الأبواب المفتَّحة للجنَّة لا تعد ولا تحصى، وذو مكانة عند الله كثيرون.

شيءٌ آخر: عن عبد الله بن عامر –رضي الله عنه –هذا الحديث يؤكِّد كل هذا الكلام الذي قيل قبل قليل– قال:

((جاء النبي –عليه الصلاة والسلام– إلى بيتنا –يبدو أن بينهم قرابة– وأنا صبيٌّ صغير، فذهبت لألعب, فقالت لي أمي: يا عبد الله تعالَ أعطيك, فقال عليه الصلاة والسلام: ما أردتِ أن تعطيه؟ قالت: تمراً، فقال عليه الصلاة والسلام: أما إنكِ لو لم تفعلي ذلك لكُتبت عليكِ كذبة))

فعليك أن تمارس مع ابنك الصدق قبل أن تأمره بالصدق .

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال:

((أخذ الحسن بن علي تمرةً من تمر الصدقة فجعلها في فيه

–أحياناً الأب لا يبالي ماذا يأكل ابنه؛ من طعام حلال، من طعام حرام، هذا الشيء يجوز أكله، أو لا يجوز أكله؟ شاهد معه حاجة ليست له, فلم يسأله: من أين هي؟ هذا الذي لا يبالي, ربَّما شجَّع ابنه على أكل مالٍ حرام وهو لا يدري–.

فقال عليه الصلاة والسلام لحفيده الحسن، وقد أخذ تمرةً من تمر الصدقة: كخ كخ –هذه كلمةٌ فصيحة وهي اسم فعل: ارم بها– أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة؟))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

هذه حرام، فإذا مرَّ الأب على بائع وأكل شيئاً من هذا المبيع وهو لا ينوي الشراء، على مرأى من ابنه، صار عند ابنه شعار: ضع في الخُرج, هذا شعار آخر: لا تدقِّق، أما إذا تعفَّف الأب انتبه الابن، وصار لديه انضباط, لذلك مرَّ بنا سابقاً أنه:

من أكل لقمةً من حرام جُرِحَت عدالته.

تطفيفٌ بتمرة تجرح العدالة.

عندنا قاعدة شهيرة جداً: لا يستقيم الظلُ والعود أعوجُ.

أحضر عوداً أعوج وضعه في الشمس، هل يمكن أن يأتي ظلُّه مستقيماً؟ مستحيل، متى يستقيم العود والظل أعوج؟ والبيت الشهير الذي تعرفونه جميعاً:

إذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل البيتِ كلُّهم الرقص .

فالأب كما قلت لكم سابقاً: يكون ابنه في سن لا يُجدي معه إلا الملاعبة والمداعبة.

((لاعب ولدك سبعاً .

–طفل صغير، هذا الذي يستيقظ ليضرب ابنه ضرباً مبرِّحاً, إذا بكى في الليل وأيقظه، وعمره سنتان، هذا ليس أباً، هذا الإنسان ليس في مستوى أن يكون أباً لولد، من عام لسبعة أعوام, هذا الطفل الصغير يحتاج إلى إيناس، يحتاج إلى ابتسام، يحتاج إلى ملاعبة، يحتاج إلى أن تهبِط إلى مستواه، يحتاج إلى أن تمضي معه فترةً في تأليف قلبه، فالنبي على عظمة شأنه ، وعلى عِظَمِ قدره كان يمشي على أربع، ويركب الحسن والحسين على ظهره, ويقول:

((نعم الحملان أنتما، ونعم الجمل جملكما))

((نعم الجمل جملكما, ونعم العدلان أنتما))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

من كان له صبي فليتصابى له .

وكانت الجارية تأخذ بيد رسول الله –البنت الصغيرة جداً– وتمضي به حيث تشاء.

الآن–:

لاعب ولدك سبعاً، وأدبّه سبعاً))

من السابعة إلى الرابعة عشرة تأديب، تكلَّم الابن قليلاً خلاف الحق, أو أخذ ما ليس له، أو نظر نظرةً غير مؤدَّبة، فيجب أن تؤدِّبه باستمرار, لكن ما هي المشكلة؟.

أنه أحياناً ألف إنسان ينظّف, لا يستطيع أن يزيل أثر إنسان يوسِّخ، فكيف إذا كان منظّف واحد وألف موسِّخ؟ اعكسوها, الإنسان أحياناً بحكم الفساد الاجتماعي العام، يجد مصدراً واحداً للتوجيه وألف مصدرٍ للإفساد، على كلٍ؛ وأدِّبه سبعاً.

وصية لقمان لابنه وهو يعظه:

1-أن يتقي الله :

هناك وصية لسيدنا لقمان مأثورة عن هذا النبي الكريم, وهي من وصايا كثيرة أثرت عنه، وبعضهم يقول: هو ليس نبياً، على كلٍ؛ ورد ذكره في القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾

[سورة لقمان الآية: 13]

قد تواجهك مرحلة لا تملك عندها إلا التوجيه الصحيح وأن تكون قدوةً، وعلى الله الباقي.

يا بني, اتخذ تقوى الله تعالى تجارتك, يأتك الربح من غير بضاعة.

أول ملاحظة: استقيموا ولن تحصوا:

-استقم على أمر الله, واجعل تجارتك أن تكون مستقيماً على أمر الله، ولا تسأل عن كثرة الخير الذي سيأتيك من كل جانب-.

2-أن يحضر الجنائز :

النصيحة الثانية: يا بني احضر الجنائز فإن الجنائز تذكِّرك بالآخرة.

-الجنائز تذكر بالآخرة، فأحياناً الشباب في مرحلة من حياتهم, أسقطوا من حساباتهم كلياً موضوع الموت، أو موضوع مغادرة الدنيا، هناك مفاجآت، فكم من شابٍ مات في مقتبل العمر؟! هذه الفكرة الخاطئة أنا شاب الآن، هذا كلام غير صحيح، نسمع كل يوم بنعوات الشاب أو الشابَّة، أو فلانة الوالدة مع ابنها، إذاً الموت لا يعرف صغيراً ولا كبيراً. فالنصيحة الثانية: أن يتجه الشاب إلى أمر الآخرة-.

3-أن يستيقظ في وقت السحر :

يا بني, لا تكن أعجز من هذا الديك الذي يصوِّت بالأسحار, وأنت نائمٌ على فراشك.

-أي في الصباح ساعة فيها من التجلِّي، وفي من البركات والخيرات لا يعلمها إلا الله.

((لَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا))

ربنا عزَّ وجل في هذا الوقت يتجلَّى على عباده، فلذلك هناك من يستيقظ ليأخذ من هذا التجلِّي شيئاً، وهناك من يمضي هذا الوقت نائماً.

على كلٍ؛ الله سبحانه وتعالى يقول في الحديث القدسي :

((إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فيعطى سؤله؟ حتى يطلع الفجر))

4-أن لا يؤخر التوبة :

يا بني, لا تؤخِّر التوبة فإن الموت يأتي بغتة.

-لذلك مرَّ معي أن من أدعية المصطفى -صلى الله عليه وسلَّم-: اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا, وإسرافنا في أمرنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

هذا دعاء قرآني كان النبي -عليه الصلاة والسلام- كثيراً ما يتمثَّله.

وهناك شيء آخر هام جداً: "اللهمَّ تب علينا من نسيان التوبة، وتب علينا من تأخير التوبة.

نسيان التوبة ذنب يضاف إلى ذنب الذنب، وتأخير التوبة ذنب، أيضاً وبعض الشباب دائماً يردد: أنا شاب، وغداً أتوب, وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((ويحك! أو ليس الدهر كله غدا؟))

والقول الشهير : هلك المسوِّفون- .

5-أن لا يرغب في ود الجاهل :

يا بني, لا ترغب في ود الجاهل, فيرى أنك ترضى عن عمله.

-إذا أثنيت على جاهل فكأنك تثني على جهله، من هنا الحديث الشريف:

((إن الله يغضب إذا مُدِحَ الفاسق))

إذا مدحت فاسقاً أمام ابنك، هو لا يصلي، يشرب الخمر، يا أخي لطيف، تقول عنه لابنك : مهذَّب، لبق، ذكي، شاطر، فإلى أين أنت مندفع في ثنائك الزائف؟ ابنك يصدِّقك، إذا خلعت على هذا الإنسان العاصي لربه، المقترف للكبائر, ووصفته بكل صفات الأدب, والذكاء، واللطف، فهذه مشكلة، يجب أن تسكت, وإلا فإنك تكون قد وضعت ولدك في خصم المتناقضات ...:

((إن الله يغضب إذا مُدِحَ الفاسق))



يغضب، حينما تمدح الفاسق ماذا تفعل؟ تجعل القيم تضطرب في ذهن ابنك.

لذلك: أحياناً في القصص والأعمال التي تجسِّد هذه القصص في بعض أجهزة اللهو، ما الذي يحصل؟ أن شخصيةً من الشخصيات يسبغ عليها كاتب القصَّة البطولة، الشهامة، المروءة، حب الآخرين، حب خدمة الناس، الصدق، الأمانة، كل الصفات البطوليَّة تُسْقَطُ على هذه الشخصيَّة، ومع ذلك يشرب الخمر، ولا يأبه لأوامر الله عزَّ وجل، إذا قرأ الإنسان هذه القصَّة، أو شاهدها ممثَّلةً، ماذا يحصل؟ هذه القيم تتسرَّب إلى أعماقه، إلى عقله الباطن، فأخطر ما في القصَّة إذا أراد الكاتب منها تدمير القيَم هذا الخطر الماحق، إذ أن كل صفات البطولة يخلعها كاتب القصَّة على شخصيَّةٍ ما، وفي الوقت نفسه يظهر أن هذه الشخصيَّة ليست منضبطة بأوامر الدين، في أعماق المشاهد أو القارئ, يتسرَّب إلى عقله الباطن: أن البطولة ليس من مقوماتها معرفة الله ولا طاعته، بل إن المعصية من لوازم البطولة.

يكفي خطراً أن تبرز امرأةً, وتصفها بأنها دينةً, مع أنها ثرثارة، أو مهملة لأولادها، وأنها جاهلة، أو أن تظهر امرأةً متبرِّجةً متفلِّتةً من كل أدبٍ إسلامي على أنها امرأةٌ صالحة، وزوجةٌ ناجحة، صادقة، مربِّية، مخلصة لأولادها، ترعى زوجها، مثل هذه المتناقضات في الأحكام, كمن أن تقضي على مجتمعٍ بأكمله, وتحيله إلى ضلال في السلوك والعقيدة، والضلال ضياع وكفر, لذلك:

إذا قرأت أدباً, وشعرت أنه حرَّك مشاعرك العُليا وتفكيرك المرتفع, فأنت أمام فنٍ رفيع، فإذا لم يحرِّك هذا الأدب إلا المبتذل من مشاعرك، والتافه من تفكيرك, فأنت أمام فنٍ رخيص، ويستطيع الكاتب الرخيص؛ كاتب

القصَّة الرخيص، كاتب الشعر الرخيص، كاتب المقالة الرخيص, يستطيع إذا آتاه الله مقدرةً أدبيَّةً رائعة أن يدمِّر مجتمعاً بأكمله.

يجب أن تعرف ماذا يقرأ ابنك؟ إذا جئت بمطبوعات من المستوى الهابط إلى البيت, فتعلم أن هذا يُقرأ من قِبَل الزوجة والأولاد، إذاً من أنت؟ أنت وعاء تفكيرك، تصوراتك محصلة ما يملأ في هذا الوعاء, فهذا الذي يعاشر رفاق السوء، هذا الذي يعاشر أناساً متفلّتين من أوامر الدين، هؤلاء يبثون فيه قيماً أخرى غير قيم الدين، يبثون فيه عادات ليست إسلاميةً ، يبثون فيه مبادئ ليست إسلاميَّة، لذلك أنت أو ابنك في النهاية وعاء، ماذا يصبُّ في هذا الوعاء؟.

فإذا كنت ممن يقرأ القرآن، ممن يقرأ سُنَّة النبي العدنان، إذا كنت ممن يحضر مجالس العلم، إذا كنت ممكن يقرأ كتاباً إسلامياً يغذي قلبه وعقله, فأنت في النهاية إنسانٌ مبدؤك صحيح، قيمك صحيحة، وكذلك عاداتك وتقاليدك وأخلاقك، أما إذا سمحت لمُغَذِّياتٍ أخرى، لثقافاتٍ أخرى، للباطل المزيَّن المزخرف أن يملأ بيتك، عن طريق كتاب، أو مجلَّة، أو قصَّة، هناك أثر للقصَّة لا يعرفه إلا المختصّون، أن تقرأ ما تشاء هذا غذاء، حتى إن هناك دراسات –الآن– تؤكِّد: أن أكثر الجرائم التي يرتكبها الصغار، والراشدون، والمراهقون, إنما هي مستقاةٌ بشكلٍ أو بآخر مما يرونه من خلال الأعمال الفنيَّة التي تجسِّد بعض القصص.

حدَّثني رجل أثق به, فقال لي: في بعض القصص التي انقلبت إلى قصص مشاهدة، ثلاث عشرة خيانة زوجيَّة، لو أن شابةً رأت هذا العمل الفني، فإن الخيانة الزوجية لديها تصبح شيئاً بسيطاً جداً, يمكن أن تفعله المرأة انتقاماً من زوجها، أو تأديباً لزوجها، أما المرأة المسلمة بينها وبين أن تنزلِق في هذا العمل مسافاتٌ لا يعلمها إلا الله، بعيدةٌ عنه بعد الأرض عن السماء؛ فهذا الذي تقرؤه، هذا الذي تسمعه، هذا الذي تشاهده شئت أم أبيت، أحببت أم لم تُحب, في النهاية هو الذي يصنع عقيدتك، وهو الذي يصنع قيَمك، وهو الذي يصنع عاداتك وتقاليدك، فالخطر يأتي من هنا, اقرأ القرآن فهذا كلام الله عزَّ وجل:

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾

[سورة فصلت الآية: 42]

مرَّة قرأت في مجلَّة كلمة مداها سطر واحد، إنها سُمٌ من أشد أنواع السموم فتكاً، قال قائلها:

أنت أخلاقي لأنك ضعيف، وأنت ضعيف لأنك أخلاقي.

بلاء، أربع كلمات، هذا يدعوك من خلالها لتكون لا أخلاقياً من أجل أن تكون قوياً، أو من أجل أن تأخذ ما تريد، لذلك لا بدَّ من مقصٍ بيد الأب, يقصُّ به كل شيءٍ لا يعجبه حتى لا يقرأه ابنه، إذا أردت أن تؤدِّبه أدباً إسلامياً-.

6- اتقِ الله ولا ترى الناس أنك تخشاه لشيءٍ ما :

يا بني, اتقِ الله ولا ترى الناس أنك تخشاه لشيءٍ ما.

-فأحياناً الإنسان لا يخشى الله ابتغاء مرضاة الله، بل إنه يخشى الله ابتغاء ألا يتعرض لغضب الناس، هذا نوعٌ من الشرك-.

يا بني ما ندمت على الصمت قط، فإن الكلام إذا كان من فضَّةٍ كان السكوت من ذهب.

-لأن الصامت في أمان أو في سلام، والمتكلِّم إما له أو عليه-.



يا بني, اعتزل الشر يعتزلك, فإن الشرَّ للشر خُلِق.

يا بني عليك بمجالسة العلماء، واستمع إلى كلام الحكماء, فإن الله يحيي القلب الميِّت بنور الحكمة, كما يحيي الأرض بوابل المطر، وإياك والكذب وسوء الخُلُق، فإن من كذب ذهب ماء وجهه، ومن ساء خلقه كثر غمُّه، ونقل الصخور من موضعها أيسر من إفهام من لا يفهم.

-عندنا باللغة مصطلحان: الفهم والتَفَهُّم، الفهم معروف، أما التفهُّم هو محاولة الفَهْمِ، وتجد إنساناً لا يحب التفهُّم، أي ليس مستعداً أن يبذل أي جهدٍ ليفهم، وتجد إنساناً لا يفهم ولكنَّه يتفهَّم-.

يا بني, لا ترسل رسولاً جاهلاً, فإن لم تجد حكيماً, فكن رسول نفسك.

-أحياناً الإنسان يكلِّف إنساناً بمهمَّة، فهذا الإنسان يشوِّه سمعته، يسئ إليه، الرسول يجب أن يكون من جنس المرسل، وشرف الرسول من شرف المُرسل-.

يا بني, يأتي على الناس زمان لا تقرُّ فيه عين حليم.

–النبي –عليه الصلاة والسلام– تعجَّب من آخر الزمان، كيف أنه يدع الحليم حيران؟–.

يا بني, اختر المجالس على عينك، فإن رأيت المجلس يُذكر فيه الله عزَّ وجل, فاجلس معهم، فإنك إن تكن عالِماً يزدد علمك، وإن تكن جاهلاً يعلّموك، وإن يطلع الله عزَّ وجل عليهم برحمةٍ تصبك معهم.

يا بني, لا تجلس المجلس الذي لا يُذكر فيه الله عزَّ وجل، فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك، وإن تكن غبياً يزدك غباءً، وإن يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخطٍ تصبك معهم.

–أي أن أجدى شيءٍ لك: أن تحضر مجالس العلم التي تثق بها–.

يا بني, لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء.

يا بني, إن الدنيا بحرٌ عميق وقد غرق فيه ناسٌ كثير، فاجعل سفينتك تقوى الله عزَّ وجل.

يا بني, إني حملت الجندل والحديد –الجندل هو الصخر– فلم أحمل شيئاً أثقل من جارٍ السوء، وذقت المرارة كلها فلم أذق أشدَّ من الفقر .

يا بني, لا تتعلَّم ما لا تعلم، حتى تعمل بما تعلم .

– من عمل بما علم ورَّثه الله علم من لم يعمل–.

يا بني, إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره.

–فالبطولة أن تنصف الناس وأنت غضبان لا وأنت فرحان–.

يا بني, إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة، فدارٌ أنت إليها تسير أقرب من دارٍ أنت عنها راحل.

يا بني, عوّدِ لسانك أن يقول: اللهمَّ اغفر لي، فإن لله ساعاتٍ لا يُرَد فيها الدعاء.

يا بني, إياك والدَين, فإنه ذلٌ في النهار, وهمٌ في الليل.

هذه بعض الكلمات التي أُثرت في الكتب القديمة عن سيدنا لقمان الحكيم.

على كلٍ؛ إذا بلغ ابن الرجل السن التي يميِّز بها, فليس عليك إلا أن تنصحه، هذا كل ما تملكه نحو ابنك.

سيدنا ابن عباس –رضي الله عنه– قال:

((كنت خلف رسول الله –صلى الله عليه وسلَّم– يوماً, فقال لي: يا غلام, إني أعلِّمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإن استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف))

[أخرجه الترمذي في سننه]

هذا أيضاً من توجيه الأب لابنه، حديثٌ رائع .

حديثٌ آخر في توجيه الأولاد :

((احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، إن مع العسر يسرا))

الحق الذي قبل الأخير من حقوق الأبناء هو :أن يعوله حتى يبلغ سن الرشد.

أنا لست مجبوراً بك، لا إنك مجبور به، هذا الكلام الصحيح، أنت حينما أردت أن تكون زوجاً وأباً, فلهؤلاء الأولاد حقوق عليك، لذلك:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– قالا:

((قال عليه الصلاة والسلام

–استمعوا جيداً–:

كفى بالمرءِ إثماً أن يضيّعِ من يقوت))

[أخرجه مسلم في الصحيح, وأبو داود في سننه]

مجبور فيه وزيادة .

الشيء الآخر: عن أبي قلابة, عن أبي أسماء, عن ثوبان, أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال:

((أفضل دينارٍ ينفقه الرجل على عياله، ودينارٌ ينفقه على دابَّته في سبيل الله))

إذاً: أن تعوله حتى يبلغ سن الرشد ويستطيع الكسب.

الخاتمة :

بقي حقٌ ليس في الوقت فسحةٌ كي نشرحه، وسوف أُؤخره –إن شاء الله تعالى– إلى درسٍ قادم, لأنه من أعظم أبحاث هذا الموضوع أهميةً: إنه العدل بين الأولاد في العطاء والوصيَّة، فهذا الذي يقع فيه معظم الناس في تفضيل الذكر على الأنثى؛ في الوصيَّة, وفي الإرث، ويلجؤون إلى أساليب لا يرضاها الله عزَّ وجل في التهرُّب من إعطاء البنات حقَّهن، هذا الموضوع –إن شاء الله تعالى– نرجئه إلى درسٍ قادم, لننتقل بعده إلى حقٍ آخر من حقوق الإنسان مما له أو عليه.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-6) : تعليمه القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

تتمة حقوق الأبناء على الآباء :

5-أن يعلم الأب ابنه القرآن الكريم :

أيها الأخوة المؤمنون, لا زلنا في موضوع الحقوق، ولا زلنا في موضوع حقوق الأبناء على آبائهم، وقد تحدَّثت في الدرس الماضي عن بعض هذه الحقوق، وفي هذا الدرس نتابع الحديث عن هذه الحقوق .

فمن هذه الحقوق: أن يُعَلِّمَ الأب ابنه القرآن الكريم، هذا حق الابن على أبيه.

فقد ورد في حديثٍ شريف, رواه البيهقي, عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال:

((حق الولد على الوالد: أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية، وألا يرزقه إلا طيباً))

هذا الحديث الذي رواه البيهقي, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, ورد في الجامع الصغير في الجزء الأول.

لماذا وجه النبي أبناء أمته ليتعلموا القرآن الكريم؟ :


أمرنا أن نعلم أولادنا القرآن

أيها الأخوة الأكارم, القرآن الكريم لماذا وجَّهنا النبي –عليه الصلاة والسلام– كي نعلمه لأبنائنا؟

لأن القرآن الكريم منهجٌ تفصيليٌ للإنسان، تعليمات الصانع، فأيَّة حركةٍ في مضمونها وفي شكلها تكون خارج هذا الكتاب، فهي حركةٌ ليست مجدية بل إنها مؤذية, أي أن الله سبحانه

وتعالى خلق الخلق وخلق الخلق وفق سننٍ ثابتة، وخلق الإنسان وفطره على فطرةٍ ثابتة، وربنا سبحانه وتعالى نظَّم تنظيماً دقيقاً علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، فما دام الإنسان وفق هذا المنهج فعمله ينجح، فإذا خرج عن هذا المنهج فلا بدَّ من أن يشقى.

والمقولة التي تعرفونها جميعاً هو أنه: ما من مشكلةٍ على وجه الأرض إلا بسبب خروج عن منهج الله، وما من خروج عن منهج الله إلا بسببِ جهلٍ به، إذاً كل مصيبةٍ، كل مشكلةٍ: أساسها الجهل وعلاجها العِلم، والقرآن الكريم كتاب الله عزَّ وجل، فيه هذا كتاب مقرر ، فيه تعليمات الصانع، فمن أخذ به فقد أمسك مفتاح النجاح، ومن أهمله فقد جانب النجاح، ومن هنا قال الله عزَّ وجل:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾

[سورة مريم الآية: 59]

وقد لقي المجتمع الذي جعل هذا المنهج وراء ظهره وانغمس في شهواته، لقي هذا المجتمع الغَي كما وعد الله عزَّ وجل .

الأهداف التي يستفيدها الطفل من تعليم القرآن الكريم :

إذاً في تعليم الابن القرآن الكريم, هناك أهدافٌ لا تعدُّ ولا تحصى، أول هذه الأهداف: أن القرآن الكريم فيه النُظُم التي لا بدَّ من تطبيقها في الحياة، فربنا عزَّ وجل في هذا الكتاب ذكر أشياء، وسكت عن أشياء، وأقرَّ بعض الأشياء، وبعض الأشياء تركها مَرِنَة، فالشيء المَرِن هو الذي يمكن أن يتطور وفق الزمان والمكان، والشيء الذي بَتَّ القرآن فيه, هو الشيء الذي لا علاقة له لا بالمكان ولا بالزمان ولا بالبيئة, والشيء الذي سكت عنه القرآن الكريم, هو الذي لا يتعلق بسعادة الإنسان ولا باتصاله بخالقه.

فحينما يعلِّم الأب ابنه كتاب الله عزَّ وجل، يكون قد أدى ما عليه من حقوقٍ تجاه الدين.

لكن هنا ملاحظة مهمة جداً: يربي الأب ابنه, فهذا عمل يختلف اختلافاً كلياً عن أي عمل آخر، فمثلاً: أن تمسك بقطعة خشب وتنجّرها وفق ما تريد، فهذا أمر سهل لأن قطعة الخشب مطواعةٌ لك، فأنت تفعل بها ما تشاء؛ تقطعها، تنجّرها، تصلها بأختها، ولكن الابن له اختيارٌ مستقلٌ عن أبيه، فكأن الأب مطالب أن يبذل العناية الكافية، ولكن ليس على الأب أن يحقق النتائج المرجوة في ابنه، فهذا فوق مقدور الإنسان، لأن الله عزَّ وجل ضرب بسيدنا نوح مثلاً، ابن سيدنا نوح، ومن هو سيدنا نوح؟ نبيٌ كريم, قال:

﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾

[سورة هود الآية: 42-43]

وبعد بضع آيات قال:

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[سورة هود الآية: 45-46]

أنا ذكرت هذا الكلام حتى يبذل كل أب أقصى جهده في تربية ابنه، ولكن أحياناً مع بذل غاية الجُهد وأقصى العناية والتوجيه، فالابن قد يأخذ موقفاً آخر لأن الابن مخَيَّر، من هنا قال الله عزَّ وجل للنبي –عليه الصلاة والسلام–:

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة البقرة الآية: 272]

وهذه آيةٌ ثانية في الموضوع ذاته:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾

[سورة القصص الآية: 56]

وآيةٌ ثالثة :

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾

[سورة هود الآية: 86]

وآيةٌ رابعة :

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾

[سورة الغاشية الآية: 21-23]

فعلى الإنسان أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح، هذا الكلام أريد أن أذكره, لئلا يتألَّم أبٌ بذل قصارى جهده في تربية ابنه، وفي تعليمه، وفي إرشاده، وفي توجيهه، فرأى هذا الأب ابنه في طريقٍ آخر، وفي وادٍ آخر، ولم يستجب له, النجَّار علاقته بقطعة الخشب شيء، والأب علاقته بابنه شيءٌ آخر، لو أن عناية الأب وحدها كافيةٌ لهداية الابن, لما نشأ ابنٌ عاقٌ عند أبٍ مؤمن.



ولكن كما يُمسك الطبيب مريضاً, فيبذل الطبيب قصارى جهده في معالجته، وتشخيص دائه، ووصف الدواء المناسب، ثم تنتهي مهمة الطبيب عند بذل العناية، ولذلك أجمع الفقهاء على أن أجرة الطبيب ليست من المعاوضات، ما هي المعاوضات؟ .

أي حينما تشتري بيتاً تدفع العِوَض، تستلم المَبيع وتدفع الثمن، فهذا عقد معاوضة، الإيجار والبيع وما شاكل ذلك، ولكن أجرة الطبيب والمحامي سمَّاها العلماء جُعالة؛ أي أن الطبيب يستحقها لا عند شفاء المريض ولكن عند بذل العناية الكافية، يأكل الطبيب أجرته حلالاً مائة في المائة إذا بذل العناية الكاملة للمريض، أما أن يشفى المريض أو أن لا يشفى فهذا شيءٌ آخر بتقدير الله وبعلمه. إذاً: شأن الأب كشأن الطبيب, هناك بعض المهن تكون العلاقة خلالها بينك وبين الإنسان الآخر علاقة عناية وبذل جهدٍ ليس غير، لكن بالمقابل هناك أخطاءٌ كثيرةٌ عند الأبناء سببها تقصير الآباء، وكل إنسانٍ يعلم بالضَبط ما إذا كان قد بذل العناية القصوى أو لم يبذل، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾

[سورة القيامة الآية: 14-15]

الأب يعرف، إذا كان انحراف ابنه أو تقصيره بسبب تقصير الأب أو إهماله، أو بسبب إصرار الابن على اختيارٍ معين، هذا الشيء يعلمه الأب وحده دون غيره، فلذلك المسؤولية تنتهي حينما تبذل قصارى جهدك مع ابنك، وإذا أكرم الله عزَّ وجل أحد الآباء بابن طيّبٍ بار، فأنا أنصحه نصيحةً غالية أن يسجد لله عزَّ وجل، ويشكر الله على هذه الموهبة.

أقول: على هذه الهبة, لأن الله سبحانه وتعالى قال:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾

[سورة العنكبوت الآية: 27]

وهبنا، ومعلومٌ لديكم أن الهبة بلا مقابل، فإذا كان عند إنسان ابن صالح مؤمن، دَيّن، مطواع، بار، فهذا من فضل الله عليه، وأنا أنصحه مرةً ثانية ألا يعزو هذا إلى تربيته، ولا إلى ضبطه، ولا إلى توجيهه، ولا إلى

حَزْمِهِ، ولا إلى شدته، يجب أن يعزو هذا لفضل الله وحده, فكم من أبٍ منحرفٍ، سيءٍ، ضالٍ، مضلٍ، جاءه ابنٌ صالحٌ كأنه مَلَك؟ وكم من أبٍ مؤمنٍ مستقيمٍ, جاءه ابن منحرف؟

فهذا الحال جزءٍ منه، داخل باختيار الإنسان، وجزءٌ آخر داخلٌ بتقدير الله عزَّ وجل، ولذا أنصح أن يتأدب الإنسان مع الله عزَّ وجل، فإذا عزوت هذا إليك، إلى قدراتك، إلى حزمك، إلى خبراتك في التربية، فهذا من الضلال ومن الشرك.

إذاً:

((حق الولد على الوالد: أن يعلمه الكتابة, والسباحة, والرماية، وألا يرزقه إلا طيباً))

الفرق بين المتعلم والجاهل .

الإمام الشافعي –رحمه الله تعالى– يقول: ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم، فهو نورٌ يهتدي به الحائر.

أي كما تعلمون مني سابقاً: أن هذه القيَم التي يتفاضل الناس بها في الدنيا؛ القوة، الغنى، الوسامة، الجمال، الذكاء، الصحة، هذه القيَم قد رفض القرآن الكريم أن يعتمدها قيماً مُرَجِّحَة، إلا قيمةً واحدة هي قيمة العلم والعمل به، فلذلك قال الله عزَّ وجل:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الزمر الآية: 9]

وقال الله عزَّ وجل :



﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾

[سورة طه الآية: 114]

والفرق الدقيق الدقيق بين الإنسان الذي أكرمه الله بالعلم، وبين الإنسان الذي بقي جاهلاً هو فرقٌ كبيرٌ جداً فهما لا يستويان، فلذلك على الأب أن يحرص على تعليم ابنه في الدرجة الأولى المنهج الإلهي الدقيق.

فمرة ثانية، وثالثة, ورابعة: إذا كانت لديك آلة معقدة جداً، غالية جداً، ذات نفع عظيم جداً، وأنت حريصٌ عليها حرصاً بالغاً، إذا كنت حريصاً عليها، وإذا كان ثمنها باهظاً، وإذا كان نفعها عظيماً, فما عليك إلا أن تقرأ كتاب التعليمات المرافق لهذه الآلة وإلا خسرتها.

والقرآن الكريم في جوهره تعليمات الصانع لهذا الإنسان الأول، لذلك إذا جاء الأب بابنه وأحضره ليعلمه القرآن الكريم؛ ليعلمه تجويده، ليعلمه تفسيره، ليعلمه أحكامه، ليعلمه إعجازه، هذا الوقت الذي يبذله الأب، أو يمضيه الأب في تعليم ابنه القرآن الكريم, هو توظيف الموقت واستثمارٌ له، وليس تضييعاً كما يتوهم جهلة الناس. أعرف أباً بلغ من نجاحه في الدنيا مرتبةً عاليةً جداً، فقد نجح في تجارته وفي صناعته إلى درجة أن تفرَّد في الشرق الأوسط في صناعةٍ معيَّنة، فحاز بها قصب السبق ودخلت عليه الأموال بغير حساب، ولكنه أهمل أولاده، نشؤوا على المعاصي، والانغماس في الشهوات، قُبَيْلَ وفاته قال لزوجته باللغة الدارجة: يا فلانة فرطنا بالذهب واتَّبعنا الفحم, لأنه هذه الأموال الطائلة سوف تغدو بين أيدي أبناء فسقة منحرفين، فعرف هذه الغلطة الكبيرة.

من هنا سيأتي معنا: أن خير كسب الرجل ولده؛ أي مهما بذلت من وقتٍ، من جهدٍ، من تعليمٍ، من توجيهٍ، من حلمٍ، من صبرٍ، من خسارةٍ، إذا أمكنك أن تصل بهذا الابن إلى الطريق الصحيح, فأنت الرابح الأكبر.
بعض الأبيات الشعرية اللطيفة :

بالعلم تحيا نفوسٌ قط ما عرفت

من قبل ما الفرق بين الصدق والمَيْنِ

العلم للنفس نورٌ يسـتدل به

على الحقائق مثـل النور للعين

-المَيْنِ: هو الكذب-.

ولولا العلم ما سعدت نفوسٌ ولا عرف الحلال من الحرام

فبالعلم النجـاة من المخازي وبالجهل المـذلة والرغام



أنا مرة ضربت لكم مثلاً: عامل في بعض المطارات أثناء تنظيف الطائرة, رأى غرفة العجلة –والطائرة وعندما تكون جاثمة, فإن عجلاتها على الأرض، فوق العجلة غرفة كبيرة, حينما تُقلع الطائرة، فإن هذه العجلة تُرفع من قِبَل الطيار، من أجل ألا يعيق حجمها حركة الطائرة– هذا العامل نظر إلى هذه الغرفة رآها واسعة، قال: لمَ لا أقبع بها, وأنتقل من مطار إلى مطار, بلا أجور، وبلا رسوم، وبلا جواز سفر، وفي ذاك البلد أعمال كثير جداً؟ فصعد إلى هذه الغرفة، فلما أقلعت الطائرة, اضطر ربان الطائرة –حسب تعليمات القيادة– أن يرفع العجلة للغرفة المخصصة بها، فابتعدت جوانب الغرفة عن بعضها لتأخذ العجلة مكانها، فسقط هذا الإنسان على أرض المطار من على ارتفاع ثلاثمائة متر، فمات فوراً.

هذه قصة أُعلّق عليها أهميةٌ كبرى، ما الذي قتل هذا الإنسان؟ جهله، هل كان يريد أن يموت؟ لا والله، كان يظن أنه ذكيٌ جداً، وأنه سوف يوّفر رسوم السفر، ورسوم الخروج, وجواز السفر، وينتقل بلا قيود ولا شروط إلى بلد آخر، ولكن لو عرف أن هذا المكان مكانٌ لا بدَّ من أن يموت الإنسان فيه إذا دخله, لما ألقى به وأوردها حتفها.

قال لي واحد: لو كان في الغرفة مكان ثابت وغير متحرك ليبقى فيه الإنسان, لمات بسبب البرد, إذ تبلغ الحرارة في الجو خمسين تحت الصفر فيموت برداً، إذاً: أعدى أعداء الإنسان هو الجهل، فإذا علمت ابنك القرآن الكريم، الإنسان العالم إنسان ثمين جداً، هل هو شخصية فَذَّة؟ والجاهل مهما ارتفع قدره في الدنيا, هذا ارتفاعٌ هوائيٌ لا قيمة له، مهما انتفخ جيبه، هذا غنىً لا قيمة له، لأن الله عزَّ وجل قال:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾

[سورة طه الآية: 114]

وسيدنا علي –كرم الله وجهه– يقول: العلم خيرٌ من المال, لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق.

وأنا أذكر أخاً قبل اثنتي عشرة سنة، بعد خطبة الجمعة سألني سؤالاً والدموع من عينيه تسيل: إن زوجته خانته، وله منها خمسة أولاد، وهو في بحبوحة، يسكنها بيتاً فخماً، وهو يعجب لماذا حدث هذا؟ ماذا يفعل؟ أيطلقها؟ أيسكت عنها؟ أيعفو عنها؟ تكلَّم والبكاء والدمعة تترقرق من عينه والألم يعتصر قلبه, قلت: كيف حصل هذا؟ قال لي: من سنتين تقريباً وأنا لا أدري, مع من؟ مع جارنا, لكن كيف تعرف على زوجتك؟ قال لي: والله أنا السبب، فقد طرق علينا الباب ذات مرة زائراً فأمرتها أن تجلس معنا، وكان الحريق المدمر من تلك الشرارة الواهية.

فهذا الزوج لو كان يحضر مجالس العلم، ولو عرف الحرام من الحلال، وأن هذا يجوز وهذا لا يجوز ما وقع في هذه الورطة، فلما يترك الإنسان نفسه بلا علم، يدفع الثمن غالياً في تجارته، في بيعه، في شرائه، في زواجه، في أولاده، في صحته أحياناً.

فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم. فالله عزَّ وجل كرم الإنسان بالعلم، فإذا أهمل العلم وقع ضحية الجهل, وليس العار أن تكون جاهلاً، ولكن العار كل العار أن تبقى جاهلاً.

إذا أحببت إيضاحاً أكثر: فما من قصةٍ تصل إلى أذنيك إن حلَّلْتها, تَرى أن هذا الطلاق، وأن هذا الإفلاس، وأن هذا المرض العُضال –أحياناً أقول أحياناً– وأن هذا الخلاف الزوجي، وأن هذه الجريمة، وأن هذه المشكلة، وأن هذه الفضيحة، وأن هذه الفِتنة سببها معصية، وأن هذه المعصية سببها الجهل، لذلك: العلم نور وهدى.

اللهم صلِّ عليه قال:

((إنما بعثت معلماً))

بعثة النبي –عليه الصلاة والسلام– في أصلها بعثة تعليم.

حقيقة مسلم بها :

وبالمناسبة: يا أخواني, الإنسان يحب ذاته، هذه حقيقةٌ مُسلَّمٌ بها، والمطلب الثابت للإنسان في كل مكانٍ وفي كل زمان: السلامةُ والسعادة، ولو سألت خمسة آلاف مليون من البشر واحداً واحداً: ماذا تريد؟ يقول لك: السلامة من كل مرض، من الفقر، من الخوف، من الشقاق الزوجي، من الضعف، من الذل، من أن أفقد حريتي، وأتمنى البحبوحة في المال، والسعادة الزوجية، و و....

إذاً: أنا أستطيع أن أقول: إن المطلب الثابت لكل إنسان في كل مكانٍ وزمان هو السلامة والسعادة، والسلامة والسعادة لا تكونان إلا إذا سرت على منهج الله:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾

[سورة طه الآية: 123]

هذا كلام ربنا، والله الذي لا إله إلا هو, لزوالُ الكونِ –لا أقول الأرض بل الكون– أهون على الله من أن كون هذا الكلام غير صحيح:

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾

[سورة طه الآية: 123]

لا يضل عقله ولا تشقى نفسه:.

﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: 38]

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

[سورة النحل الآية: 97]

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

[سورة طه الآية: 124]

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾

[سورة طه الآية: 125 –126]

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سورة الجاثية الآية: 21]

وهكذا ....

إذا علّمْتَ ابنك القرآن فقد علمته منهج الحياة حقيقة، والقرآن ليست وردةً تتزين بها، أنا تعلمت القرآن, وأنت إذا تعلمت القرآن تعلمت أهم شيء في حياتك، تعلمتَ المنهج.

مرةً ضربتُ مثلاً: كمبيوتر ثمنه ثلاثون مليوناً لتحليل الدم، وكل كبسة زِر أجرها ألف ليرة، وينتظر مائة زبون بالدور، نقطة دم تضعها وتكبس زراً يعطيك أربعةً وعشرينَ تحليلاً بكبسة زر واحدة، وكل نتيجة مسجلة على الورق، هكذا حاسوب، وعندك مائة زبون ينتظرونك، وكل زبون بألف ليرة، مائة ألف كل يوم، مبلغ ضخم، هذا الحاسوب اشتريناه، لكنْ حدث خطأ هو: أن الشركة نسيت أن تبعث لنا كتيب التعليمات، إن شغلته من دون تعليمات تخربه، وإن خفت عليه عطلت المائة ألف دخله كل يوم، يا ترى أليست هذه التعليمات أهم مِن

هذا الجهاز؟ إن استعملته بلا تعليمات خرَّبته، وإن خفت عليه فلم تستعمله، جمدت ثمنه وفاتك ربح وفير, إذاً: يمكن أن تركب الطائرة وأن تدفع عشرات الألوف كي تحصل على هذه التعليمات.

إن القرآن الكريم في علاقته بالإنسان لأخطر من هذه التعليمات؛ أخطر بكثير وأهم، كيف تعيش؟ كيف تفكر؟ كيف تعتقد؟ كيف تقف؟ كيف تَصِل؟ مَن تصل؟ مَن تقطع؟ مَن تعطي ؟ مَن تمنع ؟ كيف تتعامل مع شهواتك؟ هذه الشهوة مسموح بها، هذه ممنوعة، هذه محرمة، هذا مكروه، هذا محرَّم، هذا واجب، هذا مُباح، هذا فرض، فالإنسان بلا علم بهيمة، وإن كانت الكلمة قاسية: بهيمة، وأنا أقول: دابة فلتانة، دابة جموح, فلتانة، هكذا الإنسان بلا علم, لذلك:

((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

أي على كل شخصٍ، أي على كل مسلمٍ ومسلمة بالتعريف الدقيق .

وصف للقرآن الكريم من قبل إنسان غير عربي :

هناك إنسان وصف القرآن الكريم وهو ليس عربياً، لكن هؤلاء الذين يؤمنون بدافع قناعتهم وسلامة فطرتهم فقط، يفعلون المستحيلات.



قال هذا الإنسان العالم الدكتور: إن القرآن الكريم هو بمثابة ندوةٍ علمية للعلماء، ومعجم لغةٍ للغويين، ومعلم نحوٍ لمن أراد تقويم لسانه، وكتاب عروضٍ لمحب الشعر وتهذيب العواطف، ودائرة معارف للشرائع والقوانين، وكل كتابٍ سماوي جاء قبله لا يساوي أدنى سورةٍ من سوره في حُسن المعاني وانسجام الألفاظ، ومن أجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية من الأمة الإسلامية يزدادون تمسكاً به، واقتباساً لآياته، ويبنون عليها آراءهم كلما ازدادوا رفعةً في القدر ونباهةً في الفكر.

أي أنه كتاب شامل، فدائماً ضع الفرق بين القرآن وبين كلام البشر، ادخل لمكتبة، فلو أن فيها مائة ألف مجلد، كل هذه المجلدات من تأليف البشر، والإنسان يخطئ ويصيب, ففي كلٍ منها تجد الخطأ والصواب، لكن كلام الله عزَّ وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه, لذلك:

دخل إنسان إلى مكتبة في إيطاليا، فلفت نظره القرآن الكريم مترجماً، فسأل صاحب المكتبة: مَن مؤلف هذا الكتاب؟ فقال له: خالق الكون, وهو مغنٍ شهير، فاشترى الكتاب وقرأه مترجماً، ويبدو أنه آمن به، الآن هذا المغني الشهير من المؤمنين المتفوقين، ترك الغناء وصار يشتري كل تسجيلاته ليحرقها، يشتريها بماله، بثروته الطائلة، وهو حالياً يعيش في لندن.

فهذا كلام الله عزَّ وجل، منهجك في الحياة، إنسان بلا منهج كالبهيمة.

ضرورة تعليم القرآن للإطفال :

فإننا نرحب بكل أخ عنده ابن حريص عليه، ونحن عندنا معهد تحفيظ القرآن الكريم، طبعاً تحفيظه، وتجويده، وتعليم أحكامه أحياناً، وشيء من علومه وتفسيره، كذلك درس التفسير, هذا درس مهم جداً، لماذا هو مهم؟ هذا منهجنا في الحياة، فهل هناك عمل أخطر وأهم وأعظم من أن تتعلم المنهج الذي ينبغي أن تسير عليه؟.

فقد يقول أحدنا: الفصل شتاء فإلى أين نذهب لنسهر فالليل طويل؟ درس التفسير جيد, نذهب ونسمعه عقب صلاة العشاء, لا, ليس هذا الموضوع بل الموضوع أخطر من ذلك، لا لأن الفصل شتاء، فهذا صار ذبوناً شتوياً، بل لأن هذا منهج منهجك بالحياة، فإذا عرفت ما هو التوكل؟ ما هو الصدق؟ ما هو اليقين؟ ما هو التوحيد؟ ما هو الشرك؟ فقد عرفت الخير والإيمان حقاً.

هذه أشياء خطيرة جداً تدخل في صميم حياة كل إنسان، لذلك حضور مجلس علم هو الأجدى، وليس قولك: اليوم عندي فراغ وليس لدي ما يشغلني، أو أن أقول: أنا مشغول لا أقدر أن آتي, فموضوع أن تكون مشغولاً أو غير مشغول، الفصل شتاء، والليل طويل، لا يوجد شيء يشغلني، هذا كله مرفوض, ما من عملٍ أعظم من أن تتعلم منهج الحياة وهو القرآن.

ولابنك محل آخر عندنا، لدينا معهد يعلمه التجويد مبدئياً، يعلمه التحفيظ، مع شيء من أحكام القرآن، وشيء من العقيدة، يعلمه شيئاً من السُنَّة أحياناً، فلذلك على الإنسان أن يحرص على ذلك، عندنا لكل المستويات، عندنا ابتدائي، وإعدادي، وثانوي .

6-أن يعلمه السباحة :

الحق الآخر: أن يعلمه السباحة.

أحياناً باللغة أنت تذكر الجزء وتريد الكُل، مثلاً: الفقراء والمساكين, العلماء قالوا:

إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

كيف؟ أي أن الله عزَّ وجل إذا قال: للفقراء والمساكين, معناها: أن الفقراء هم الذين لا يجدون حاجتهم، دخل أحدهم أقل من حاجته، أما المساكين فهم الذين لا يستطيعون العمل، أو هم بلا أعمال، إذا اجتمعا افترقا، ولكن إذا افترقا اجتمعا, فإذا قال ربنا عزَّ وجل: للفقراء؛ أي للفقراء والمساكين، إذا قال: للمساكين؛ أي للفقراء والمساكين، حيثما اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- عندما قال في حديثٍ رواه البيهقي:

((أن يعلمه الكتاب والسباحة ....))

أنا أعتقد أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يقصد بالسباحة مدلولها بالذات، بل مدلول السباحة عموماً, لأنها تحرّك كل عضلات الجسم، فكأنه لما ذكر هذا النوع من الرياضة, وأراد به كل أنواع الرياضة، فقد يكون الإنسان بمكان لا يوجد فيه أنهار أو مسابح إطلاقاً، كما هو الحال في بعض القرى، إذاً صار المقصود من السباحة هنا, أي يجب أن ينشأ ابنك في بنيته الجسمية نشأةً قوية، لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول:

((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

لكن روعة الحديث: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قيَّد القوة بالإيمان، لأن القوة وحدها شيءٌ خطير، شيءٌ مخيف، شيءٌ مدمِّر، أما المؤمن القوي، لم يقل: القوي, بل المؤمن القوي، لأن الإيمان فيه ضوابط: الإيمان قَيْدُ الفتك ولا يفتك مؤمن.

المؤمن القوي، والإنسان -كما قال سيدنا علي، هذا كلام واقعي وخطير- أعظم نعمةٍ تمتلكها ما هي؟ نعمة الإيمان.

فسيدنا عمر إذا أصابته مصيبة, كان يقول: الحمد لله إذ لم تكن في ديني ...

أي أن أعظم نعمة ألا تكون واقعاً في الكبائر، ألا تكون ذا مالٍ حرام، ألا تكون مصلحتك لا ترضي الله عزَّ وجل، ألا يكون في بيتك منكر لا تستطيع أن تزيله، هذه أكبر مصيبة، بل هي مصيبة المصائب، فإذا كان الإيمان، ما هي أكبر نعمةٍ بعد الإيمان؟ أكبر نعمة –أقول وأعني ما أقول–: هي الصحة, فما قيمة المال من دون صحة؟ لكن ما هي أكبر نعمةٍ بعد الصحة؟ أن تكون مكتفياً, لذلك: الإيمان والصحة والكفاية إذا توافرت لك, فالدنيا كلّها لا تعدل شيئاً أمامها، من هنا قال عليه الصلاة والسلام :

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ, مُعَافًى فِي جَسَدِهِ –الآمن أي مطمئن إلى ربه– عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ, فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))

[أخرجه الترمذي في سننه]

فالإنسان متى يطمئن؟ هل يطمئن إنسان عاصٍ؟ أبداً فهو في قلق، لا يطمئن إلا المؤمن، والدليل :

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِي آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام الآية: 81–82]

هذه آية قرآنية، أي لا تمتع بنعمة الأمن حصراً إلا المؤمن.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾

[سورة الحشر الآية: 2]

أقوى إنسان في الأرض، أغنى إنسان في الأرض، إذا أشرك, قذف الله في قلبه الخوف، وقد ذكرت هذا في درس الشِرك، كيف أن أصحاب أموال الطائلة إذا اعتمدوا على أموالهم فهم معذَّبون, كيف؟ لأن الله عزَّ وجل يقول:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية: 213]

لكن كيف يعذَّب هذا الغني؟ هذا الغني يعذب بخوف فقد المال، هذا عذاب، وإذا فقده يعذب بفقده، فهو إن كان معه المال معذبٌ بخوف فقده، وإن فقده معذبٌ بفقده، في كلا الحالين هو معذب، لذلك: أعظم نعمةٍ أن تكون مؤمناً:

آمناً في سربه.

إن الله يعطي الصحة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدرٍ لأصفيائه المؤمنين.

فالسكينة هي الطمأنينة:

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ, مُعَافًى فِي جَسَدِهِ –صحة– عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ, فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"بحذافيرها))

[أخرجه الترمذي في سننه]

إذاً: صحة الجسد شيءٌ مهم، والحقيقة: أن الجسد مطيَّتك إلى الله عزَّ وجل، فمن الناس من يقول: يا أخي إن العمر محدود, وهذا صحيح, لكن هل من الممكن لأحد الناس أن يعيش ثلاثةً وثلاثين عاماً مسطحاً على ظهره أو واقفاً على قدميه؟ العمر هو العمر، لكنك إذا اعتنيت بصحتك، بين أن تعيش هذا العمر في راحةٍ وطمأنينة، لأنه جسمك مطيَّتك، الإنسان بالصحة يعمل، ويدرِّس، ويدعو إلى الله عزَّ وجل، ويكسب المال، ويفعل كل شيء، أما إذا تعطلت صحتك, فإنك تتعطل عن العمل بسبب المرض، فالقضية خطيرة جداً، أي أن العناية بالصحة, أريد أن أقول شيءٌ يلي الإيمان في الأهمية، من هنا قال عليه الصلاة والسلام:

((علموا أولادكم الكتاب والسباحة))

المقصود بالسباحة؛ أي الرياضة، فالإنسان بطعامه، بشرابه، وبكل أموره, يجب أن يكون دقيقاً, وإلا فالخسارة محققة.

سمعت من يومين أن سرطان الفم أسبابه –هذه نصيحة للأخوان– إذا كان لديك سن انكسرت ولم تقلعها، إذا وجد نتوء حاد بالفم والإنسان بدافع الفضول يدأب بلسانه ليحكه، هذا التخريش أحد أسباب سرطان الفم، إذا انتبه الإنسان لهذه النقطة, فإنه لن يترك شيئاً من النتوءات الحادة بفمه، لأن الحركة الدائمة مع النتوء الحاد يسبب تخريشاً، هكذا سمعت من طبيب يقول، فالعلم مهم حتى في صحتك، هناك مواد مؤذية، ومواد مخرشة، ومواد كيميائية، وأصبغة إذا تراكمت, تسبب أمراضاً معينة، فالإنسان قبل أن يأكل، قبل أن يشرب، قبل أن يتحرك, قبل أن يفعل هذا كله, عليه أن يكون واعياً من أجل سلامته.

وقد يُبهر البعض فيقول: جهاز يسخن الأكل خلال ثوانٍ, هذا الجهاز أساسه تخريب الخلايا، يا ترى: هل أنت متأكد مائة بالمائة أنه لا خطر منه؟ لا تعرف، تضع الطعام في صحن بارد، واللحمة مثل الحطبة، وخلال ثوانٍ يصبح اللحم مثل النار, والصحن بارد، يتعرض الطعام لإشعاعات تخرب الخلايا وتسخنه, هذا إنجاز حضاري عظيم, لكن يا ترى: هل نحن متأكدون أن هذا الإنجاز الحضاري ليس له مضاعفات ثانية؟ لا نعرف، لذلك على الإنسان أن يبقى طبيعياً في شؤونه، فكل إنجاز حضاري قد يكون له أخطار كبيرة

تكتشف بعد سنوات من وجوده، فأنا ليس عندي معلومات دقيقة حول هذا الموضوع، ولكن مجرد استنباط عام، فقد يكون هناك شيء ضار، هذا الطعام الذي تم تحضيره بثوانٍ حسب الظاهر؛ أنه إنجاز سريع، تسخين سريع.

قصة بين فيلسوف وملاح :

قالوا: إنَّ فيلسوفاً من كبار الفلاسفة ركب سفينة, فالتقى بملاَّح على ظهر السفينة، فسأله عن درجة علمه: ما معك من شهادات؟ هذا الملاح قال له: والله لا أعرف شيئاً, قال له : إنك لا تنفع مطلقاً لأنك لا تعرف شيئاً, ما قيمتك بالحياة ألم تدرس أبداً؟ فقال له الملاح: يا مولاي أتعرف السباحة؟ قال: لا إنها لا تجدي نفعاً, واتفق بعد زمنٍ يسير أن حدث هياجٌ واضطرابٌ عظيمٌ في البحر، حتى أشرفت السفينة على الغرق، فدنا الملاح من هذا الفيلسوف العظيم, وقال: يا سيدي إننا هالكون لا محالة, فهل تعرف السباحة؟ فقال الفيلسوف: والله لا مفر لي من الموت، ولا حيلة بيدي, فقال الملاح: ادعُ معارفك وعلومك لعلها تنجيك, فقال الفيلسوف: إن معارفي لا تنجي من الغرق, فقال الملاح: أما أنا فأعرف السباحة، وهي تنجي من الغرق بإذن الله، رغم أنك قلت لي قبل قليل: أنها لا تجدي نفعاً, وها أنت الآن تعرف أنها تجدي حقاً.

وبينما هما يتكلمان, لطمت الأمواج السفينة فقلبتها, وسقط من فيها في الماء، فأمسك الملاح الفيلسوف بإحدى يديه وسبح بالأخرى حتى نجا كلاهما، فقال الفيلسوف: صدقَ من قال: علمك بالشيء خيرٌ من الجهل به .

المؤمن -شيء عالٍ- إن كان يسبح، وكان جسمه قوياً، وهو ذو مصلحة, بيده مهنة، يقول أحدهم: أنا كهربائي، أنا خياط، أنا مزارع, شيء رائع جداً.

فسيدنا عمر يقول: إني أرى الرجل ليس له عمل يسقط من عيني.

وقال سيدنا علي: قيمة الرجل ما يحسن.

لذلك: المؤمن الذي بيده حرفة, مصلحة، تجارة، صناعة، حرفة, خدمات، دارس، مدرِّس، طبيب، مهندس، خيَّاط، نجَّار، حدَّاد، فهو إنسان نافع، إذاً تعلَّم للآخرة، وتعلَّم مصلحة للدنيا، واجمع بينهما، و ..:

ما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا واقبح الكفر والإفلاس في الرجل

إذاً: السباحة بمعنى مُطلق القوة؛ القوة الجسمية، الرياضة البدينة.

قواعد فقهية :

لكن بالمناسبة: الآن لا بدَّ من التحفُّظ, فأذكركم بالحكمة الثانية:

دع خيراً عليه الشر يربو .

لو فرضنا أني أردت أن أعلم ابني السباحة، والمسبح فيه كشفٌ للعورات، أو على شاطئ فيه نساءٌ كاسيات عاريات، هذه سباحة ولكن معها فسادٌ كبير.

وعندنا قاعدة فقهية تقول:

دَرْءُ المفاسد مقدمٌ على جلب المنافع.

أي أنك إذا علمت ابنك السباحة, وفسدت أخلاقه من جراء ذلك, وانجرف إلى شهواتٍ محرمة، وضيّع دينه ودنياه وآخرته، ماذا تجديه السباحة؟.

أريد أن أعلم ابني اللغة الإنكليزية مثلاً, قالوا لي: أفضل شيء ابعثه إلى بريطانيا، إذا لم يقم لدى أسرة قد اختلط بأفرادها شهراً بكامله، وصار لديه براتيك –محادثة– فإنه لا يتقوّى, شيء جميل، بعث ابنه إلى مجتمع فاسد منحرف، الزنا في هذا المجتمع كشربة الماء، شاب في مقتبل حياته مثل الوردة, تضعه في أسرة فيها صبايا وفتيات، والأب منحرف، والأم منحرفة، رجع الابن يُتقن البراتيك ولكنه رجع زانياً، فما قولك؟ أيُّ براتيك هذا؟ .

دع خيراً عليه الشر يربو.

درء المفاسد مقدمٌ على جلب المنافع.

أحياناً تكون مصلحة تجارية رائجة جداً، لكن في السوق فيه فساد كبير ، والربح ثلاثون بالمائة، وكل يوم رواج وبيع، لكن كل العلاقة مع النساء، علاقة صارخة مع النساء، الإنسان يصبر يوماً، يومين، شهراً، ثم بعد ذلك يستسلم، بعد ذلك تزل قدمه:

درء المفاسد مقدمٌ على جلب المنافع.

قاعدة أساسية، فإذا تحدثنا عن الرياضة والسباحة, فالحديث جميل بشرط ألا نضيع من أجلها أخلاق أبنائنا، هذه قاعدة مهمة جداً، كشف العورات، الاختلاط، هذا كله يتناقض مع قواعد الدين.

في أحاديث أخرى :

((علموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية))

والنبي –عليه الصلاة والسلام– يقول :

((ألا إن القوة الرمي, ألا إن القوة الرمي, ألا إن القوة الرمي))

[أخرجه مسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما]

وهذا من إعجاز النبي –عليه الصلاة والسلام–، فأحدث سلاح الآن أساسه دقة الرمي، والآن اسمع: يقول لك الخبراء: الخطأ متر.

إن كان السلاح مدافع، وإن كان صواريخ، وإن كان صواريخ موجهة، وأي سلاح، قوة السلاح بدقة إصابته، والنبي –عليه الصلاة والسلام– يقول :

((ألا إن القوة الرمي, ألا إن القوة الرمي, ألا إن القوة الرمي))

[أخرجه مسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما]

هذا الحديث الشريف من أحاديثه التي تُنْبِئ عن نبوته صلى الله عليه وسلم .

ويقول في حديثٍ آخر رواه أبو داود :

((ارموا واركبوا, ولأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبةً عنه فقد كفر))

أي كفر هذه النعمة نعمة الرمي، طبعاً هذا كله من أجل إعداد العدة من أجل قتال الأعداء .

النبي –عليه الصلاة والسلام– كان يشجِّع أبناء المسلمين على الرمي:

فعن سلمة بن الأكوع –رضي الله عنه– قال:

((مر النبي –عليه الصلاة والسلام– على قوم ينتضلون؛ –أي يستابقون في الرمي– فقال: ارموا بني إسماعيل, فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان –فريقان انضم النبي لأحد الفريقين, وقال: ارموا أنا مع بني فلان– فأمسك أحد الفريقين بأيديهم –الفريق الثاني توقف عن الرمي– فقال عليه الصلاة والسلام: ما لكم لا ترمون؟ قالوا: يا رسول الله كيف نرمي وأنت معهم؟ –فهل نتسابق مع قوم أنت معهم!! لا يعقل هذا؟ إنه منتهى الأدب, كيف نرمي وأنت معهم؟– عندئذٍ قال عليه الصلاة والسلام: ارموا وأنا معكم جميعاً))

أي أنا مع الفريقين فتنافسوا. هذا من تشجيعه صلى الله عليه وسلم للرماية .

وفي حديث آخر رواه الطبراني :

كل شيءٍ غير ذكر الله فهو لهوٌ أو سهوٌ:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية: 5]

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون الآية: 1-3]

فسر القرطبي هذه الآية: بأن اللغو هو كل ما سوى الله هو لغو-، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((كل شيءٍ غير ذكر الله فهو لهوٌ أو سهوٌ, إلا أربع خصال؛ مشي الرجل بين الغرضين -بين الأهداف أي تعلمه الرمي- وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعليم السباحة))

أي إذا قعد الإنسان مع أولاده، فليس هذا لهواً, فقد كان النبي يمشي على يديه ورجليه ويركب الحسن والحسين على ظهره.

الفرق بين اللهو وملاعبة الأطفال

ويقول:

((نعم الجمل جملكما, ونعم العدلان أنتما))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

النبي -عليه الصلاة والسلام- كانت بنتٌ صغيرة جارية تأخذ بيده وتقوده حيث شاءت، فإذا الإنسان دخل بيته أحداً, صار هذا القادم واحداً من أهله، داعب أولاده، أدخل على قلوبهم السرور، كن بسَّاماً، كن ضحَّاكاً، هذا ليس من اللهو، لأن هؤلاء لهم حقٌ عليك، والرجل العظيم هو عظيم خارج بيته, أما إذا دخل بيته فهو إنسان عادي بين أهله.

المشي بين الغرضين, وتأديبه فرسه, وملاعبته أهله, وتعليمه السباحة.

7-ألا يرزقه إلا طيباً :

الآن: الحق الثالث: ألا يرزقه إلا طيباً.

والمراد بالرزق الطيب الكسب الحلال، ومعنى ذلك: أن يتحرى الحلال في تجارته، وأن يؤدي الأعمال بإتقان, قضية دقيقة جداً, فإذا كنت صانعاً صاحب مهنة، وطلبت أجراً لهذا العمل مبلغاً معتدلاً جداً ومناسباً، لكن الأداء مستواه منخفض، هذا الأجر الذي تأخذه أجرٌ حرام، هذا مثل بسيط:


اتقان المرء عمله جزء من الدين وكسبه يصبح حلالاً

قريب لي اضطر إلى أن يكسر كل البلاط، بلاط رخام إيطالي بالحمام، كسرناه كله, السبب: أنبوب الماء الساخن ينحصر بالإسمنت مع خوابير، وينحصر بالجبصين، فيه يحف سريعاً، بين أن يضع الخوابير حتى يحصر الأنبوب, ويضع له إسمنت, وينتظر خمس ساعات لكي يجف، وبين أن يضع قطعة من الجبصين بعد خمس دقائق جفّت فتثبت، الجبصين يأكل الحديد أكلاً، فخلال عدة سنوات يحدث ثقب كبير قدر الباهم في الأنبوب، فهذا مبلط بالرخام، والحمام قَلد بسيراميك، والمالك أحسن كساءه، وقد دفع دم قلبه بهذه الكسوة، وأنت لكي تختصر خمس ساعات, ثبت الأنابيب بالجبصين, فماذا حصل؟ بعد خمس سنوات الحيطان سال الماء عليها، فاضطر صاحب المنزل لإصلاحها لتكسير كل الرخام، نتيجة إهمال مقصود من قبل العامل، ولذلك الأجر الذي يأخذه صاحب المهنة, إذا أهمل مهنته أو أساء أو أدَّاها أداءً منخفضاً, هذا الأجر حرام، سرقة، ولذلك: فإتقان العمل جزءٌ من الدين.

قال عليه الصلاة والسلام:

((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه))

يقول بعضهم: أنا صلاتي متقنة, وأنا أقول: إذا لم يكن عملك متقن, فكل صلاتك ليست لها قيمة، لأن الدين في التعامل.

قال له: هل عاملته بالدرهم والدينار؟ هل حاككته؟ هل جاورته؟ قال: لا، قال: إذاً أنت لا تعرفه. فالدين لا يبدو في الصلاة والصوم والحج والزكاة، الدين يبدو في أداء العمل، العمل المتقن، فبالمهن كلها هناك أشياء مخيفة جداً.

أحدهم باع طقم كنباة, جاء لبيت الذي اشتراه ضيوف, فمن أول يوم قعدوا نزل، سارع لعند البائع قائلاً: نزل, قال له: يمكن أنكم قعدتم عليه، استعملته؟ فلماذا اشتراه؟ هل اشتراه ليقف بجانبه أم ليقعد عليه؟. إذاً: الكسب الحلال، ومعنى الحلال: أن يتحرى الحلال في تجارته, وأن يؤدي أعماله بإتقان, حتى يكون كسبه حلالاً.

الآن بالتصريح, يقول له: هذه البضاعة متينة, قل له الحقيقة: هذه بضاعة درجة ثانية، هذه ليست أصلية، هذه فيها خيط تركيبي، يقول لك: صوف مائة بالمائة، وثمنها ثلاثمائة ليرة، والحقيقة: إذا كان صوفاً مائة بالمائة ثمنها ألف ومئتا ليرة، لماذا تكذب عليه؟ فهذا خيط تركيبي، عند الغسيل يشلف، قل له: هذا خيط تركيبي, هذا سعره، لا يوجد منها صوف مائة بالمائة كله كلام فارغ، والمشتري معه هذا المبلغ, فقنع أنه صوف مائة بالمائة فاشتراه، لو قلت له: هذا تركيبي, لما اشتراها، فأنت أخذت من تعبه، هذا اسمه عدوانٌ على الكسب.

وهناك كسب الكسب: أنت اعتديت على كسب الإنسان، أخذت من كسبه الحلال كسباً حراماً، طبعاً إذا بيَّن البائع فلا مانع، وأصبح ليس بغاش، فلو قلت للمشتري: هذا قماش درجة ثانية، هذا ينكمش، هذا خشب نوع ثانٍ، هذه طاولة مصنوعة من نشارة، يظنها لاتيه، يضع لها برغي, يغوص كل البرغي، ينساها تحت المطر فيزيد سمكها، قل له: هذه نشارة وليست لاتيه ، بيّن له، وضِّح له .

قال عليه الصلاة والسلام:

((من أصاب مالاً في مهاوش -أي بالهيلمة- أذهبه الله في نهابر))

يذهب المال نهيباً، كيف يأتي المال يذهب.

حديثٌ ورد في الجامع الصغير:

((من أصاب مالاً في مهاوش, أذهبه الله في نهابر))

قال لي: تعاملت مع واحد أربع أو خمس سنوات، أشتري بوراً على أساس أنه أجنبي, والسعر ثلاثة أمثال، فظهر لي أنه يعطيني بللوراً وطنياً، يستنظف بعض الألواح, ويعطيني على أساس أنها من صنع أجنبي بثلاثة أمثال السعر، وإذا أذّن المؤذّن للظهر يذهب أول واحد للجامع:

((مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي))

((مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا))

[أخرجه مسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

انظر الفرق: من غشنا ومن غش؛ من غش مطلقاً، لو غششت مجوسياً فلست من أمة محمد، ليس من غشنا، بل مطلق الغش فليس منا.

قال:

((الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ, أَشْعَثَ أَغْبَرَ, يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ, يَا رَبِّ يَا رَبِّ, وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ, وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ, وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ, وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ, فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لذلك!؟))

[أخرجه مسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

((يا سعد, أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

[أخرجه الطبراني في المعجم الصغير]

معنى الغش: -وهذا بحث طويل -إن شاء الله- نعالجه- الغش بالوصف، إن قلت أجنبي وهو وطني فهذا غش، إن قلت من نوع أول، وهو من النوع الثاني فهو غش، إذا وصفته وصفاً وهو على وصف آخر فهو غش، إن كنت أعطيته وزناً أقل من وزنه، ونوعاً أقل جودة من نوعه، إن حددت له وقتاً أبعد من الوقت المطلوب، وفوّت عليه ربحاً كثيراً، فكل هذا من أنواع الغش، إذا أديت عملاً أداء لا إتقان فيه فهو غش، وهذا أيضاً يسبب الكسب الحرام.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((من سعى على عياله من حِلِّه, فهو كالمجاهد في سبيل الله, ومن طلب الدنيا حلالاً في عفاف, كان في درجة الشهداء))

وفي الأثر أنه:

((من لم يبال من أين مطعمه, لم يبال الله عزَّ وجل من أي أبواب النيران دخل))

هذه كلمة: حط بالخرج؛ هذه كلمة الشيطان، ومثلها كلمة: لا تدقق، ضعها بذمتي, هذا كله كلام فارغ، ومن وحي الشيطان.

كلكم يعلم: أن أكل لقمةٍ من حرام يجرح العدالة، تطفيفٌ بتمرة يجرح العدالة.

الإمام ابن حنبل -رضي الله عنه- له صديق اسمه يحيى بن معين، له معه صحبةٌ طويلة، الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- هجر صديقه سنوات طويلة, لأن صديقه قال: إني لا أسأل أحداً شيئاً ولو أعطاني الشيطان شيئاً لأكلته, -هكذا قال له صديقه-، فحينئذٍ غضب ابن حنبل حتى اعتذر يحيى، وقال: " كنت أمزح, فقال: " تمزح بالدين؟! أما علمت أن الأكل من الدين؟!!

بل هو أخطر ما في الدين، قدمه تعالى على العمل الصالح.

في قوله تعالى في سورة المؤمنون الآية الحادية والخمسون:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾

[سورة المؤمنون الآية: 51]

الله عزَّ وجل قدم الأكل الحلال على العمل الصالح؛ أي أن عملك الصالح من دون أن تأكل مالاً حلالاً لا قيمة له:.

﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾

[سورة المؤمنون الآية: 51]

إذاً: العمل الصالح ليس مجدياً إلا إذا كان كسب المال في الأصل حلالاً .

أبناء أصحاب النبي –عليه الصلاة والسلام– كانوا يوصون أباهم قبل أن يذهب إلى العمل، يقولون له: اتقِ الله فينا ولا تعد علينا إلا بالحلال، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على عذاب الله.

إن شاء الله في الدرس القادم نتابع حقوق الأبناء على آبائهم، واعتقد أن هذه الموضوعات تمس كل إنسان منا، وهي مهمة جداً, لأنه ما من إنسان إلا وله أب أو ابن, فليعرف إذا كل واحد منهما ما له وما عليه .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-7) : العدل بالعطاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

من حقوق الأبناء على الآباء أيضاً :

8-العدل بين الأولاد في العطاء والوصية :

أيها الأخوة المؤمنون, لا زلنا في حقوق الأبناء على الآباء، وقد وصلنا في الدرس الماضي إلى حقٍ جديد، إنه: العدل بين الأولاد في العطاء وفي الوصية.

المشكلة التي يعيشها بعض المسلمين: هو الفصل بين العبادات وبين المعاملات، فإذا أدَّى صلواته الخمس، وصام شهره، وحج بيت الله الحرام، وأدى زكاة ماله، يظن أنه قد أدَّى كل شيء، أما أن يأتي فيحابي ولداً على حساب ولد، أو يعطي ولداً على حساب ولد، فيظن أن هذا من شأنه الشخصي، مع أن الإسلام نظامٌ كاملٌ أمثلٌ لكل مواقف الإنسان، سواءٌ أكانت هذه المواقف أُسَرِيَّة، أو في عمله، أو في علاقته بربه.

الحق الأخير من حقوق الأبناء على الآباء: العدل بينهم في العطاء والوصية .

فقد ورد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-, أن أحد أصحابه أعطى أحد أولاده عطيةً، وأراد أن يُشهد النبي صلى الله عليه وسلم- على ذلك, فسأله النبي الكريم:

((أَفَكُلَّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَهُ؟ فقال هذا الصحابي: لا, فقال عليه الصلاة والسلام: فَلَيْسَ يَصْلُحُ هَذَا - هذا العمل لا يصلح- وَإِنِّي لا أَشْهَدُ إِلا عَلَى حَقٍّ))

وفي رواية:

((لا أشهد على جور))

من خلال هذا الحديث يتضح: أن الذي يفرق بين أولاده في العطية, خرج عن سنة النبي -عليه الصلاة والسلام- إلا في حالات خاصة.



فأحياناً هناك أبٌ يزوج بناته الأربع، ثلاث بناتٍ منهن في وضعٍ ماديٍ جيّد، بينما بنتٌ رابعة زوجها فقير، فإذا أعطاها في حياته شيئاً, فأعانها على صعوبات الحياة، وقد رضي بقية الأخوة، فهذا وضعٌ استثنائي, له عند الله حُجَّة ومبررات، ولكن الأصل أن يعدل المُسلم بين أولاده في العطية.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما, أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم))

أمر:

اعدلوا بين أولادكم.

أمرٌ من النبي عليه الصلاة والسلام.

المشكلة: أن الإنسان أحياناً يظن أن هذا حديث شريف وقد مر به، قد قرأه, أو سمعه من مدرس، أو اطلع عليه، وهذا مجرد أمر:

﴿وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر الآية: 7]

أي أن الله سبحانه وتعالى خالق السموات والأرض, هو الصانع، هو الخالق، بيده كل شيء، أعطاك أمراً واضحاً بيناً، قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، يقول لك: اعدل بين أولادك, وتقول: هذا حديثٌ شريف, قرأته, واطلعت عليه، وقد مر بي, القضية أخطر من ذلك، إنه أمرٌ من عند النبي -عليه الصلاة والسلام-, الذي فوّضه الله عزَّ وجل أن يشرع لنا:

﴿وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[سورة الحشر الآية: 7]

والنبي –عليه الصلاة والسلام– لم يشرّع من عنده, إنما كما قال الله عزَّ وجل:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾

[سورة النجم الآية: 3-4]

اتقوا الله واعدلوا في أولادكم

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, وأبو داود والترمذي والنسائي في سننهما, ومالك في الموطأ]

والحديث الآخر :

((سووا بين أولادكم في العطية –سووا: فعل أمر من التسوية– فلو كنت مفضلاً أحداً لفضَّلت النساء))

وهذا الحديث أيضاً رواه الإمام الطبراني.

العدل بين الأولاد :

إذاً: حديثٌ أول، وثانٍ، وثالث: يحضُّ المسلمين على أن يعدلوا بين أولادهم، والدين تطبيق هذه السنة.

لعلك رأيته يصلي, قال: نعم, قال: أنت لا تعرفه.

هذه العبادات إن لم تكن مبنيةً على استسلامٍ لأمر الله, وعلى طاعةٍ له، وعلى انصياعٍ كامل في كل ما أمر، وفي كل ما نهى، فهذه العبادات جوفاء لا تقدِّم ولا تؤخِّر ولا قيمة لها.

النبي –عليه الصلاة والسلام– رفض أن يشهد على جور, حينما بلغه أن أحد أصحابه فضَّل ولداً من أولاده على آخر، والنبي –عليه الصلاة والسلام– يأمرنا أن نتقي الله, وأن نعدل في أولادنا، والنبي –عليه الصلاة والسلام– في حديثٍ ثالث يقول:

((سووا بين أولادكم في العطية, فلو كنت مفضلاً أحداً لفضَّلت النساء))

هذه النصوص الثلاثة الصحيحة التي هي الأصل في العدل بين الأولاد .



العلماء قالوا: يحرم على المرء أن يوصي لأحدهم بأكثر مما يستحق شرعاً، أو أن يحرمه مما يستحق، أو أن يحرمه بعض ما يستحق.

يحرم؛ أي دخلنا في الحرمة، هناك حرمة، وهناك كراهةٌ تنزيهية، وهناك كراهةٌ تحريمية، وهناك أمرٌ مباح، وهناك سُنَّةٌ غير مؤكدة، وسنةٌ مؤكدة، وواجب، وفرض, أن تحرم أحد

أولادك من حقه، أو من بعض حقه، أو أن تعطي أحد أولادك فوق حقه، فهذا مما يحرُم شرعاً، فهذا الذي سيغادر الدنيا كيف سيلقى الله عزَّ وجل؟ يلقاه وقد ظلم أولاده، وقد فضَّل بعضهم على بعض، وقد حابى بعضهم على حساب بعض, إن هذا يزيد البعيد بعداً، قد يقول قائل: إن هذا الابن لا يَبَرُّني, إن هذا التصرُّف من قبل الأب, يزيد الابن البعيد بعداً، وتنشأ عداواتٌ بين الأخوة بعد الوفاة لا يعلمها إلا الله, لذلك الأولى أن تبقى على السُنَّة، السنة منهج، طريق مستقيم، فالإنسان مهما اجتهد، وفكر، وتأمل، ليس أعظم فهماً من خالقه ومربيه الذي شرع له هذا الدين.

الآن عندنا نقطة دقيقة: ويجب أن يعطي أبناءه في الوصية مثل ما أخذه أحدهم زيادةً عنهم. فأحياناً ولد يأخذ نصيباً كبيراً من والده, بحكم كونه أكبر أولاده، فيزوجه، يشتري له بيتاً، ويغادر الدنيا, وعنده أربعة أولادٍ آخرون، هؤلاء سوف يقتسمون الإرث بالتساوي مع أخيهم الأكبر الذي أخذ هذه الدفعة الكبيرة، الأولى أن يسوِّي بينهم في العَطية، بمعنى أنه إذا أعطى الأخ الأكبر، فيجب أن يعطي كلاً من الصغار بقدر ما أعطى الأكبر، هذا أيضاً حكم الله عز وجل، أي يجب أن يتم التوازن بين الأولاد في تقسيم الميراث. شيءٌ آخر: لا يحق للأب أن يعطي في وجوه الخير أكثر من الثلث، والثلث كثير.

أي أنه إذا كان مندفعاً لفعل الصالحات, فيدع ورثته عندئذٍ من بعده عالةً يتكففون الناس, وهذا لا يرضي الله عزَّ وجل أبداً، لا يرضيه أبداً, فأحياناً يقول لك: يجب أن أوصي بثلث المال للمساجد, وقد ترك بيتاً واحداً، ويسكنه أولاده، فمن أجل أن توصي للمسجد فسوف ترغم أولادك على بيع هذا البيت، فإذا كان هناك بيت وحيد يأويهم، ففي مثل هذه الحالة لا ينبغي أن توصي لا للمسجد ولا لغيره.

((لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون))

هذا توجيه النبي عليه الصلاة والسلام, فسواء في حياته، أو بعد مماته, فلا ينبغي أن يعطي أحداً فوق ما يستحق، ولا أن يحرم أحداً حقه ولا جزءاً من حقه، وإذا أعطى أحداً دفعةً كبيرة، فينبغي أن تدخل هذه في حساب الإرث، أما أن تكون خارج الحساب, وهو أعطاه بيت وزوجه، وفتح له محلاً, ثم توفى، وترك أربعة أولاد آخرين، فما تبقى لهؤلاء الخمسة، صار في تفاوت كبير جداً، الأولى أن يكون لكل ولدٍ حقٌ معلوم, إلا أنه في حالات أخرى، قد يكون الأب يعمل مع والده، هذا له جُهد نظير عمله، فمثلاً:

ولد في البيت لا يعمل، وولد يعمل, صار هناك تفاوت كبير جداً، فإذا أخذ الذي يعمل نصيب الجهد, واقتسم مع أخوته الباقين بالتساوي، ما تبقى فهذا أيضاً محض عدلٍ.

9-أن تدخل السرور على أولادك :

الآن: من توابع هذا الحق: أن تدخل السرور على أولادك.

فقد ورد أن مر قومٌ من الأعراب على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: تقبلون صبيانكم؟ قالوا: نعم، فقالوا: لكنا والله لا نقبل, فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-:

((وما أملك إن كان الله قد نزع منكم الرحمة))



أي أن هناك عطاءً معنوياً، كان الحديث قبل قليل عن العطاء المادي, ولكن عندنا عطاء معنوي، فالابن أحياناً بحاجة إلى عطف، بحاجة إلى قلب كبير، بحاجة إلى اهتمام، أحياناً لمسة حنانٍ من الأب أو الأم تغني عن آلاف الليرات، الإنسان مفتقر إلى العطف، لذلك هذا الذي ينشأ في حجر أمه وأبيه يكون في المستقبل متوازناً نفسياً، أما الذي ينشأ في بيت فيه خصومات، وفيه شقاق، وفيه طلاق، هذا الطفل ينشأ عنده خلل في عواطفه، فلذلك النبي -عليه الصلاة والسلام- أشار إلى أن من واجبات الأب تجاه أبنائه: ليس أن يطعمهم، أو أن يسقيهم، أو يكسوهم فقط, بل هناك واجبٌ آخر, وهو: أن يغمرهم بالعطف والحنان، الاهتمام بطعامه وبشرابه، وبغرفته, وبحاجاته، وبملابسه، هذا الاهتمام هو الذي يزرع العطف والحب في قلب الأبناء.

فالنبي -عليه الصلاة والسلام- حينما أنكر هذا الأعرابي تقبيل الولد، قال عليه الصلاة والسلام:

((وما أملك إن كان الله قد نزع منكم الرحمة))

شيءٌ آخر: النبي -عليه الصلاة والسلام- أراد أن يَخُصَّ البنات بشيءٍ من العطف الزائد، لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- نشأ في بيئةٍ كانت البنت فيها مظلومة، ويكفي أن تقرؤوا قوله تعالى:

﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾

[سورة التكوير الآية: 8-9]

النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول:

((أكرموا النساء فإنهن المؤنسات الغاليات))

((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح, والترمذي في سننه]

واستوصوا بالنساء خيراً: قالها كثيراً في حياته، فلذلك هناك أحاديث خاصة بالنساء.

فعن أنس بن مالك –رضي الله عنه–, قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:

((من عال جاريتين –أي ابنتين صغيرتين– حتى تبلغا, جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا، وضم أصبعيه كناية عن قرب الجوار في الجنة))

طبعاً كل من عنده بنتان صغيرتان يرعاهما، لكن بشرط أن ينشئهما تنشئةً طاهرة، بشرط أن ينشِّئهما على حب الله ورسوله، وعلى تلاوة كتابه، بشرط أن ينشِّئهما وفق الشرع، أما إذا سيب أمرهما, وجعلهما تعيشان كما يعيش بقية الفتيات غير الملتزمات، فهذا ما زاد عن أن أطعم هاتين البنتين فقط, والحديث الذي تعرفونه سابقاً:

أن البنت إذا نشأت نشأةً منحرفة بتشجيعٍ من أبيها، أو بغفلةٌ منه، أو بإهمالٍ لها، ورأت مصيرها في النار، تقول:

((يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي))

لقد كان هو السبب، فلذلك الأبوة مسؤولية.

((من عال جاريتين حتى تبلغا, جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا, وضم أصبعيه كنايةً عن قرب الجوار في الجنة))

وعن عائشة –رضي الله عنها– قالت:

((جاءت امرأةٌ ومعها ابنتان لها تسألني أي شيءً, فلم أجد عندي شيئاً.

–انظر بيت سيدنا رسول الله, سيد الخلق, حبيب الحق، نبي هذه الأمة, ليس في بيته إلا تمرةٌ واحد–.

فلم أجد عندي شيئاً غير تمرةٍ واحدة أعطيتها إيَّاها, هذه الأم أخذتها فشقتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئاً، فدخل عليه الصلاة والسلام على أثر ذلك, فحدثته حديثهما, فقال عليه الصلاة والسلام: من ابتلي –أي من كان له بنت– من هذه البنات بشيءٍ فأحسن إليهن, كن له ستراً من النار))

[أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح]

في رواية:

((من ابتلي –أنه بلاء وليس مصيبة، البلاء من معانيه الامتحان– مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ, أو من ابتنى –من البنوة؛ أي من كانت له بنت من هذه البنات– مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ, كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ))

هذا الحديث وحده يكفي كي يدفع الآباء إلى الإحسان إلى بناتهم، فلعل الله سبحانه وتعالى يرحمنا جميعاً بالإحسان إلى أولادنا وبناتنا.

وعن عوف بن مالكٍ –رضي الله عنه–, أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال :

((من كانت له ثلاث بناتٍ ينفق عليهن حتى يَبِنَّ –أي بمعنى يبتعدن عنه بمعنى يتزوجن– أو يمُتن, كن له حجاباً من النار))

في الحديث الأول: بنتان يحسن إليهن, وهنا ثلاث بنات ينفق عليهن.

وعن عوف بن مالكٍ أيضاً, قال عليه الصلاة والسلام:

((ما من عبدٍ يكون له ثلاث بناتٍ, فينفق عليهن, حتى يَبِنَّ أو يمُتن, إلا كن له حجاباً من النار, فقالت امرأة: يا رسول الله وابنتان؟ قال: وابنتان))

أي أن ملخص الملخص: إذا جاء ملك الموت ينبغي أن يكون معك عملٌ تلقى الله به، عمل طيّب، يا رب ربيت هاتين الابنتين تربيةً صالحة، تربيةً إسلامية، علَّمتهما كتاب الله، زوَّجتهما من مؤمنين، أنفقت عليهما، حتى أدخلت على قلبيهما السرور، هذا عمل، أو ربيت ولدين فصارا صالحين من بعدك، هذا عمل، أو دعوت إلى الله, هذا عمل، أو تركت علماً نافعاً, هذا عمل، وكل ذلك عمل صالح .

فدائماً لديك سؤال كبير كبير كبير: ماذا أعددت للقاء الله عزَّ وجل؟ .

قال له: جئتك لتعلمني من غرائب العلم, قال: فماذا صنعت في أصل العلم؟ قال: وما أصل العلم؟ قال: هل عرفت الرب؟ قال: ما شاء الله, قال: فماذا صنعت بحقه؟ قال: هل عرفت الموت؟ قال: ما شاء الله, قال: فماذا أعددت له؟ .

فهذا السؤال، ينبغي أن يكون هذا السؤال في مكانٍ بارزٍ من البيت: ماذا أعددت للقاء الله عزَّ وجل؟ . أكلت فالمأكولات مستهلكات، سكنت هذا البيت مستهلك، قمت بهذه النزهة استهلاك، لكن نريد الاستثمار، فأنت معك مبلغ من المال، سنشبه الوقت بمبلغ ضخم من المال، هذا المبلغ إما أن تستهلكه وإما أن تستثمره،

فكل عملٍ ينتهي عند الموت استهلاك، وكل عملٍ يستمر إلى ما بعد الموت استثمار، فهذا السؤال الكبير: ماذا أعددت للقاء الله عزَّ وجل؟.

هل أعددت لهذا اللقاء استقامةً تامة؟ هل أعددت حباً لله ورسوله؟ هل أعددت حفظاً وفهما لهذا الكتاب وتعليماً له؟ هل أعددت أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر؟ هل أعددت تربية أولادٍ تربيةً صالحة؟ ماذا أعددت لهذا اللقاء؟.

يقول له: رجعوا وتركوك وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق لك إلا أنا, وأنا الحي الذي لا يموت.

و: إن الغنى والفقر بعد العرض على الله.

هذا الغنى في الدنيا لا قيمة له إطلاقاً، الغنى والفقر –كما قال الإمام عليّ كرم الله وجهه–: بعد العرض على الله.

ماذا أعددت لهذه الساعة؟.

لدينا نقطة مهمة جداً أحب أن أقولها لكم: فأن تكون أباً وعندك زوجة وأولاد هذه أبواب مفتَّحة للعمل الصالح، فسوف تتعرض لتعب، وعليك مسؤولية، تعاني سَهَراً، وهموماً، وحُزناً، لا بد من توجيه، وتتعرض لإحباط، أحياناً يواجهك إخفاق، لكن الله عزَّ وجل وضعك بموضع لكسب ثواب العمل الصالح، فالزواج كله من أوَّله إلى آخره بدءاً بمسرَّاته وانتهاءً بمآسيه، الزواج كله بابٌ من أبواب العمل الصالح، فالجهد المبذول للتوجيه، ولإدخال السرور على قلب الأولاد، وإكرام الزوجة, هذا كله من الأعمال الصالحة التي يرضى الله عنها. وكنت قد حدَّثتكم من قبل: من أن الأعمال الصالحة الأخرى إذا قمت بها أنت فأنعم وأكرم، وإن لم تقم، قد يقوم بها غيرك، ولكن أسرتك من لها غيرك؟ ليس لها أحدٌ غيرك، فلذلك إذا قصَّرت في حقها فأنت محاسبٌ عند الله.

الأخوة الإيمانية التي كانت تسود بين أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام :

ويطالعنا شيء آخر: نحن قاربنا أن ننتهي من حقوق الأبناء على الآباء، فسوف ننتقل إن شاء الله تعالى إلى حقوقٍ أخرى, نأخذها في درسٍ قادم, وأريد فيما تبقى من هذا الدرس: أن أضع بين أيديكم نموذجاً من الأخوة الإيمانية التي كانت بين أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام.

أردت أن يكون في هذا الدرس قصة من قصص أصحاب النبي عليهم رضوان الله، لتروا بأم أعينكم كيف ينبغي أن تكون علاقتنا فيما بيننا؟ .

طبعاً هؤلاء الصحابة الكرام -رضي الله عنهم ورضوا عنه- احتلوا عند الله مرتبةً ثابتة، بقينا نحن، ولا ينبغي أن تفهموا من كلامي هذا: أن الموضوع يتعلق بالصحابة، بل يتعلَّق بنا، لكن هذا نموذج حي من نماذج أصحاب النبي عليهم رضوان الله.

قصة سالم مولى أبي حذيفة :

صاحب القصة سيدنا -انظر لكلمة سيدنا- سالم مولى أبي حذيفة, كان عبداً رقيقاً -انظروا كيف أن الإنسان إذا عرف الله حقاً, ينتقل من العبودية إلى مرتبة السيادة:

سبحان من جعل العبيد ملوكاً بطاعتك.

وربنا عزَّ وجل قال:

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح الآية: 4]

فأنا أقول: سيدنا وهو سيدنا فعلاً، وهو عبدٌ رقيق -سيدنا سالم مولى أبي حذيفة- فالنبي -عليه الصلاة والسلام- أوصى, فقال:

((خذوا القرآن من أربعة -خذوا القرآن، أي أن هذا سيدنا سالم من أهل القرآن، من أهل كتاب الله عزَّ وجل-؛ من عبد الله بن مسعود، ومن سالم مولى أبي حذيفة، ومن أبي بن كعب، ومن معاذ بن جبل))

أربعةٌ من أصحاب النبي -عليه الصلاة والسلام- هم مرجعٌ كبير في القرآن الكريم، والقرآن -كما تعلمون- غنىً لا فقر بعده، ولا غنىً دونه.

و: من تعلَّم القرآن متَّعه الله بعقله حتى يموت.

و:

((من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي خيراً منه, فقد حقَّر ما عظَّمه الله تعالى))

و:

((خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه))

[أخرجه البخاري في الصحيح, وأبو داود والترمذي في سننهما]

كان عبداً رقيقاً رفع الإسلام من شأنه، حتى جعل منه أخاً لواحدٍ من كبار المسلمين، بعد أن كان قد تبناه في الجاهلية, كان قبل إسلامه شريفاً من أشراف قريش, وزعيماً من زعمائها، ولما أبطل الإسلام عادة التبني, صار أخاً ورفيقاً ومولى للذي كان يتبناه، وهو الصحابي الجليل أبو حذيفة بن عتبة، سيد من أسياد قريش، زعيمٌ من زعمائها، شريفٌ من أشراف مكة, وهذا سالم كان عبداً رقيقاً عنده، فلما أسلم صارا أخوين في الله.



-أنا أريد من هذه القصة: أن تلمسوا أن الإسلام دينٌ يجمع ولا يفرق، يُلغي كل مظاهر الطبقيَّة، فإنسان في قمة المجتمع وإنسان في الحضيض، بعد أن أسلما صارا أخوين، وما لم تكن لك هذه النفسية فلست مسلماً، حينما تقول: أنا ابن فلان، أو أنا أملك كذا وكذا، أو أنا أحمل هذه الشهادة، أو إن أبي فلان, حينما تعتزُّ بشيءٍ غير الشيء الذي ينبغي أن تعتزَّ به وهو الإيمان, فأنت لست مؤمناً -فعلاً مفارقة كبيرة جداً-؛ إنسان يتبوأ قمة المجتمع، وإنسان يقع في الحضيض, حق الإسلام منهما أخوين، وسوف تروا معي كيف أن الإسلام سوى بينهما؟ والإنسان إذا دخل المسجد يجب أن ينسى أنه يحمل شهادة عليا، أو أنه له وظيفة مرموقة، أو أنه صاحب معمل، هذا كله يجب أن يضعه تحت قدمه إذا كان مسلماً، وأن ينظر إلى أخيه في الإيمان كما لو أنه ينظر إلى إنسانٍ مساوٍ له تماماً.

فأحد الصحابة -رضي الله عنهم- تكلم بكلمة، يبدو أنها كانت ساعة غضب, قال لأحد أصحاب النبي الأرقاء العبيد: يا بن السوداء, فما زاد النبي عن أن قال: إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ , فلم يرض هذا الصحابي بعد ذلك, إلا أن يضع رأسه على الأرض, ليدوس هذا العبد الرقيق بقدمه على رأسه، حتى يغفر الله له. أبو حذيفة بن عتبة، عتبة بن شيبة من أَلَدِّ أعداء النبي، من زعماء الكفر في قريش, هذا ابنه، عتبة بن شيبة هو الذي خاطبه النبي -عليه الصلاة والسلام- حينما رآه قتيلاً في بدر, قال :

يا عتبة بن شيبة، يا فلان، يا فلان، يا فلان.

هذا ابنه- تبنى أبو حذيفة سالماً بعد أن أعتقه, وصار يدعى سالم بن أبي حذيفة -هذا قبل أن يبطل الله عزَّ وجل عادة التبني، صار اسمه سالم بن أبي حذيفة، كما أن زيد بن حارثة -رضي الله عنه- كان اسمه زيد بن محمد، ابن النبي، تبناه النبي، لكن الله عزَّ وجل لحكمةٍ رآها حرَّم التبني، عندئذٍ أصبح اسمه زيد بن حارثة، وسالم ليس له أب، أبوه غير معروف، فصار اسمه سالم مولى أبي حذيفة، مولاه.

لم يكن شيءٌ أحبَّ إلى أحدهم بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أخوانهم في الله.

الترتيب كان على الشكل التالي: الله سبحانه وتعالى، ثم النبي -عليه الصلاة والسلام-، ثم المؤمنون, والله هذا مقياس دقيق، إذا كنت تحب إنساناً منحرفاً عاصياً لأسباب، لمصالح، لقرابة، أكثر مما تحب أخاً في الله طاهراً مستقيماً, هذه بادرةٌ خطيرة، وشرخٌ كبير في الإيمان ، أصحاب النبي -عليهم رضوان الله- كانوا يحبون بعضهم حباً لا يصدق، فإذا كان أخوةٌ في مسجدٍ واحد، على قلبٍ واحد، يدهم واحدة، مشكلتهم واحدة، خيرهم واحد، سرَّاؤهم واحد، ضراؤهم واحدة, فهذه علامة إيمانهم، والله سبحانه وتعالى يقول:

((يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

ما تميز به سالم مولى أبي حذيفة :

سيدنا سالم مولى أبي حذيفة, كان إماماً للمهاجرين من مكة إلى المدينة، وكان حجةً في كتاب الله، حتى أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- المسلمين أن يتعلموا منه، وقد قال عنه النبي -صلى الله عليه وسلم- :

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَكَ يا سالم))

وكان أخوانه المؤمنون يصفونه سالمٌ من الصالحين، هكذا، آمن له مالنا وعليه ما علينا،- المسلمون جميعاً سواسية كأسنان المشط.

لا فضل لعربيٍ على أعجميٍ إلا بالتقوى:.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

[سورة الحجرات الآية: 13]

ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضلٌ إلا بالتقوى.



أتعلمون من هو حِبُّ رسول الله؟ أي من أحب الناس إليه؟ كان سيدنا أسامة بن زيد، ولو أتيح لكم أن تقرؤوا عن أوصافه لها لكم الأمر، كان أبوه سيدنا زيد عبداً أسود اللون، وكان ابنه كذلك، فكان يضع النبي –عليه الصلاة والسلام– أسامة على ركبته اليمنى, والحسن والحسين على ركبته اليسرى، وكان يقبلهم معاً، حتى إن أصحاب النبي سموا سيدنا أسامة حِب رسول الله هكذا.

إذاً: المؤمن الصادق يحب لأسبابٍ دينية، للكمال الذي ينطوي عليه، أما وهناك حديث شريف دقيق, قال:

((الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء))

أي لو كان إنسان عادلاً، وكرهت هذا الإنسان العادل لسبب أو لآخر، وإذا مال قلبك لإنسان جائر ظالم لسبب أو لآخر, فأنت في وضعٍ خطيرٍ في الدين، صار هذا شرك، فالمؤمن الصادق علاقاته كلها على أساس ديني، على أساس الكمال الإنساني .

وهذه قصة تفيدنا جداً: فقبل فتح مكة, بل وقبل الهجرة, –قصة سالم كقصة بلال، وقصة عشرات العبيد– بادر سيدنا أبو بكر الصديق, وأتى صفوان بن أمية, واشترى هذا العبد سيدنا بلال، ويقول له صفوان: والله لو دفعت به درهماً لبعتكه, ليس له قيمة خذه بدرهم، فيقول سيدنا بكر: "والله لو أبيت إلا أن تأخذ ثمنه مائة ألفٍ لأعطيتكها.

سيدنا الصديق على عظم شأنه وبلال عبد رقيق، حينما خرج أبى إلا أن يضع يده تحت إبطه –هذا تعبير عن المودة والأخوة في الله، سيدنا الصديق وضع يده تحت إبط سيدنا بلال، تعبيراً عن أخوته الصادقة– وقال: هذا أخي حقاً.

هل تصدقون: أن سيدنا عمر يخرج إلى ظاهر المدينة، وهو أمير المؤمنين, وخليفة المسلمين, لاستقبال سيدنا بلال، سيدنا عمر، خليفة المسلمين، عملاق الإسلام، أمير المؤمنين يخرج إلى ظاهر المدينة, لاستقبال سيدنا بلال!؟ سيدنا بلال يدخل على عمر بلا إذن هو وصهيب، بينما وقف أبو سفيان ساعةً وساعتين, فلم يؤذن

له, وهو زعيم قريش، فلما دخل عليه عاتبه, قال: أبو سفيان زعيم قريش يقف في بابك الساعات الطوال, وصهيبٌ وبلال يدخلان ويخرجان بلا استئذان!! فما زاد عن أن قال: أأنت مثلهما؟!.

هذا هو الإسلام؛ فإذا كنت مستعداً أن ترى أن أخاك في الله، ولو كنت أنت في قمة المجتمع, وهو في حضيضه، ولو كنت في قمة العلم, وهو لا يحمل شهادات، ولو كنت أنت في قمة الغنى, وهو لا يملك شر ولا نقير، إذا شعرت أن هذا الإنسان أخوك في الله, له ما لك وعليه ما عليك، إذا شعرت هذا الشعور, فأنت بفضل الله مؤمنٌ ورب الكعبة، أما إذا كان لديك شعور بأنك غيره رفعة ومنزلة، أنت فوقه، أنت أعلى منه، أنت من أسرة أرفع وأسمى، فهذا شعور جاهلي مرضي، يحتاج إلى معالجة, لذلك فإن المؤمنين كتلة واحدة؛ مدني، ريفي، موظف، تاجر، كبير, صغير، وسيم، دميم، كلهم في الإسلام سواء:

المؤمنون طبقةٌ واحدة، يأخذ بذمتهم أدناهم، ويرعاهم أكبرهم.

كلكم يعلم: أنه عند فتح مكة أعطى النبي –عليه الصلاة والسلام– أوامر مشددة, ألا يهرق دمٌ إطلاقاً, في ظرف من الظروف فيه ملابسات، سيدنا خالد اضطر إلى استعمال السيف، حتى إن النبي –عليه الصلاة والسلام– لما سمع بهذا الخبر, اعتذر إلى ربه طويلاً, وهو يقول:

((اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد))

[أخرجه البخاري في الصحيح, والنسائي في سننه]

–فهذا الكلام له مغزى كبير، ليس الهدف أن تريق دم الكافر أبداً، الهدف أن تهديه، الهدف أن ينضمَّ إليك، الهدف أن تحتويه، الهدف أن يسلم على يديك، هذا أخوك في الإنسانية، وحينما شرع الله الجهاد, شرعه من أجل صيانة الدعوة, ومن أجل أن تكون كلمة الله هي العليا, لذلك فإن النبي –عليه الصلاة والسلام– أعطى توجيهات مشددة ألا يستعمل السيف، ولكن لسببٍ لسنا الآن بصدده، فإن سيدنا خالداً وهو من الصحابة الأجلاء الكرام, اضطر إلى استعمال السيف– وظل عمر –رضي الله عنه– يذكرها له, ويأخذها عليه, ويقول: إن في سيف خالد رهقاً.

الآن: نعود إلى قصة سالم–:

فقد كان مع سيدنا خالد، وسالم عبدٌ رقيق، وسيدنا خالد شريفٌ من أشراف مكة، وقائد الحملة، وقائد هذه الفرقة، سيدنا سالم أخذ على سيدنا خالد هذا المأخذ، وحاسبه، وكأنَّه نِدٌ له، فقد سوَّى الإسلام بينهما –سيدنا سالم ما نظر إلى سيدنا خالد على أنه إنسان, يجب أن نقدس أخطاءه، ولا نظر على أنه فوق أن يحاسب،

كان هناك نوع من الصراحة، ونوع من الواقعية، على كلٍ؛ هناك حديث شريف قاله النبي –عليه الصلاة والسلام–:

((الدِّينُ النَّصِيحَةُ))

قالها ثلاثاً .

فالحديث ما أدقه، وفي الأحاديث الشريفة تعاريف للدين جامعة مانعة مثلاً :

رأس الدين الورع.

أي تعلم ما شئت ما لم تكن ورعاً فلست ديناً:



رأس الدين الورع, فإن لم تكن ورعاً قطع رأس الدين.

فلو شبهنا الدين بإنسان وقطعت رأسه ماذا بقي منه؟ انتهى.

رأس الحكمة مخافة الله.

رأس الدين الورع.

الدين –بالتعريف الجامع المانع الدقيق الدقيق: النصيحة.

فإذا لم تنصح المسلمين فلست ديّناً، فالنبي –عليه الصلاة والسلام– قال:

((إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ, إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ, إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ))

في حديثٍ كررها ثلاثاً.

[أخرجه أبو داود في سننه]

لكن هناك نصيحة وهناك فضيحة، هناك من يفضح وهناك من ينصح، كن نصوحاً ولا تكن فضوحاً–.

النبي –عليه الصلاة والسلام– لما بلغه ما صنع خالد, سأل هذا السؤال الخطير , قال:

هل أنكر عليه أحد؟ فقالوا: نعم راجعه سالمٌ وعارضه.

فاطمأن النبي.

من مواقف عمر بن الخطاب :

-وقال أحد عامة المسلمين لعمر: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقوَّمناك بسيوفنا, فقال عمر -رضي الله عنه-:

" الحمد لله الذي جعل في أصحابي من يقومني إذا اعوججت.

سيدنا عمر مرةً كان مع أصحابه، -هذه قصص, هذه سنن، هذه مناهج، هذه طرائق للتعامل مع الآخرين-.

سيدنا عمر كان مع أصحابه, قال أحدهم: والله ما رأينا خيراً منك بعد رسول الله, -أي أنه من الطراز الأول، أين سيدنا الصديق؟ إنه قد مات، نريد أن نمدح الحالي، والله ما رأينا خيراً منك بعد رسول الله-, سيدنا عمر غضب وحَدَّ فيهم النظر، إلى أن قال أحدهم: لا والله لقد رأينا من هو خيرٌ منك, قال: ومن هو؟ قال: أبو بكر, فقال عمر: كذبتم جميعاً وصدق هذا.

-اعتبر سيدنا عمر أو عد سيدنا عمر أن سكوتهم كذبٌ، وأن هذا الذي قال الحقيقة هو الصادق- ثم قال: والله لقد كنت أضل من بعيري، وكان أبو بكرٍ أطيب من ريح المسك.

-فهل يجرؤ أحدٌ بعد هذا الموقف أن ينافق له؟ انتهى كل النفاق-.

النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: هل أنكر عليه أحد؟ قالوا: نعم راجعه سالمٌ وعارضه.

-عبد رقيق، وسيدنا خالد قائد الجيش, ومع ذلك راجعه في موقف، نحن كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:

((إذا ذكر أصحابي فأمسكوا))

[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير]

لكنني أردت من هذه القصة أن أبين: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال:

((الدِّينُ النَّصِيحَةُ))

وقال: هل راجعه أحد؟ هل أنكر عليه أحد؟ قالوا: نعم, راجعه سالمٌ وعارضه.

فإذا كنت تحب الله ورسوله, فقل الحق ولو كان مراً, ولا تخشَ في الله لومة لائم، والشيء الذي تعرفونه جميعاً, هو:

أن الله سبحانه وتعالى حينما قال:

﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾

[سورة الأحزاب الآية: 39]

من صفات هؤلاء الذي يبلغون رسالات الله: أنهم يخشون الله وحده، فإذا خشوا غير الله انتهوا وانتهت رسالتهم-.

قصة استشهاد سالم مولى أبي حذيفة :

كلكم يعلم أن النبي –عليه الصلاة والسلام– انتقل إلى ربه، وبعد انتقاله ظهرت فتنة الرِدَّة، –ويعدُّ سيدنا الصديق بحقٍ المؤسس الثاني للإسلام، وقف وقفةً لا يستطيع أحدٌ من أصحاب النبي أن يقفها إلا هو– . خرج المسلمون لقتال المرتدين الذين تزعَّمهم مسيلمة الكذاب، –الآن كانوا تحت إمرة سيدنا خالد–، وتعانق الأخوان أبو حذيفة وسالم، وتعاهدا على الشهادة في سبيل الحق، وقذفا بنفسيهما في الخِضَمِّ الرهيب, كان أبو حذيفة ينادي, –اسمعوا جيداً–:

يا أهل القرآن زينوا القرآن بأعمالكم.

–والكلام لنا الآن، أنت حافظ للقرآن، يحب أن تزيّن هذا الكتاب بأعمالك، الكون قرآنٌ صامت، القرآن كونٌ ناطق، سيدنا رسول الله قرآنٌ يمشي، كان خلقه القرآن، أنت مؤمن, وقتك كله في قراءة القرآن, وفي حفظه، وفي تجويده، وفي فهم أحكامه وآياته، نريد عملاً يزين القرآن–: "



يا أهل القرآن زينوا القرآن بأعمالكم.

وكان سالمٌ يصيح: بئس حامل القرآن أنا، لو هوجم المسلمون من قبلي, فقيل له: " حاشاك يا سالم بل نعم حامل القرآن أنت. وكان سيفه صوَّالاً وجوالاً في أعناق المرتدين, الذي هبوا ليعيدوا جاهلية قريش, ويطفئوا نور الإسلام، وهوى سيفٌ من سيوف الردة على يمناه فبترها –لسيدنا سالم–, وكان يحمل بها راية المهاجرين, بعد أن سقط حاملها زيد بن الخطاب، ولما رأى يمناه تبتر التقط الراية بيسراه, وظل يلوِّح بها إلى أعلى, وهو يصيح تالياً هذه الآية الكريمة:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُم فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة آل عمران الآية: 146]

أحاطت به غاشيةٌ من المرتدين، فسقط البطل، ولكن روحه ظلت تتردد في جسده الطاهر، حتى انتهت المعركة بقتل مسيلمة الكذاب, واندحار جيشه, وانتصار المسلمين، وبينما المسلمون يتفقَّدون ضحاياهم وشهداءهم, وجدوا سالماً في النزع الأخير، وسألهم: ما فعل أبو حذيفة؟ -مولاه, أخوه في الله- ما فعل أبو حذيفة؟ قالوا: استشهد, فقال: أضجعوني إلى جواره, فقالوا: إنه إلى جوارك الآن.

-هو بجانبك مضطجع، لقد استشهد في المكان نفسه.

سيدنا عمر حينما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي قال: هل صلى المسلمون الفجر؟.

هو في حالة النزع وبين الموت والحياة، ما الذي يعنيه؟ هل صلى المسلمون الفجر؟

فأحدنا إذا كان ألمَّت به شدة، ماذا يقول: البيت هل طوَّبتموه؟ ماذا صار بالبضاعة هل بعتموها؟ اشتريتموها؟ هل صلى المسلمون الفجر؟-.

ما فعل أبو حذيفة بن شيبة؟ قالوا: استشهد, فقال: أضجعوني إلى جواره, فقالوا: إنه إلى جوارك يا سالم. هل تصدقون: أن سيدنا عمر بن الخطاب وهو عملاق الإسلام, قال وهو يموت : " لو كان سالمٌ حياً لوليته الأمر من بعدي.

أي لو كان سالم حياً، لكان ثالث الخلفاء الراشدين، وهو عبدٌ رقيق:

اسمعوا وأطيعوا ولو تولى عليكم عبدٌ رأسه كالزبيبة.

هكذا قال عليه الصلاة والسلام.

هذه كلمة خطيرة جداً: لو كان سالمٌ حياً لوليته الأمر من بعدي.

إذاً الباب مفتوح، كن من تكون، أي إنسان كن؛ بأي مستوى، بأي دخل، بأي شكل، من أي لون، من أي جنس، من أي بلد، ما دمت عبداً لله، فباب البطولة مفتوحٌ أمامك على مصاريعه كلها، وما عليك إلا أن تقوم، ما عليك إلا أن تجاهد في سبيل الله:

﴿جَاهَدُوا فِينَا﴾

[سورة العنكبوت الآية: 69]

والنبي –عليه الصلاة والسلام– يقول بعد عودتهم من إحدى الغزوات:

((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر؛ جهاد النفس والهوى))

فلذلك –أيها الأخوة– الله سبحانه وتعالى يقول:

((لو يعلم المعرضون حبي لهم, وانتظاري إلى ترك معاصيهم, لتقطعت أوصالهم من حبي, ولماتوا شوقاً إلي، هذه إرادتي في المعرضين, فكيف إرادتي في المقبلين؟))

فالمفروض أن يَصدق الإنسان في طلب الحق, حتى يكون من السعداء في الدنيا والآخرة. .

والحمد لله رب العالمين

الفصل السادس : عقوق الوالدين

الدرس (6–1) : حكم عقوق الوالدين

الدرس (6–2) : أمثلة عن عقوق الوالدين

الدرس (6-1) : حكم عقوق الوالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

ما سبق ذكره وما أضيف إليه :

لا زلنا في رياض الصالحين، من كلام سيد المرسلين، عليه أتم الصلاة والتسليم، وننتقل اليوم إلى باب جديد، وهو: باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم .

يقول الله عز وجل:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾

[سورة محمد الآية: 22-23]



صلة الرحم تزيد في الرزق، صلة الرحم تزيد في العمر، بمعنى فسره الفقهاء: أن العمر بمضمونه وبأعماله، لا بفترته وزمانه، فصلة الرحم تكسب العمر غنى, يظهر أثره يوم القيامة، فلذلك: الرحم مَن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله، قال تعالى:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾

[سورة محمد الآية: 22-23]

لذلك ورد:

((ليعمل العاقُّ ما شاء أن يعمل, فلن يدخل الجنة))

وقد ذكرت لكم في الدرس السابق أنه: لو أن في اللغة كلمة أقلّ من أفّ, لذكرها الله عز وجل، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: 27]

أمرَ الله أن توصل الرحم، وهم يقطعونها .

وقال تعالى:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾

[سورة الإسراء الآية: 23-24]

وقال تعالى:

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾

[سورة النساء الآية: 31]

قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين من الكبائر .

النبي صلى الله عليه وسلم حينما سئل:

((من أعظم النساء حقاً على الرجل؟ قال: أمه، فلما سئل: من أعظم الرجال حقاً على المرأة؟ قال: زوجها))

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ لَا يَسْكُتُ))

من أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ: عقوق الوالدين .

ما مغزى هذه القصص؟ :

أحد أخواننا الكرام, أراد أن ينشئ لابنه عملاً في مصر، أسس له معملاً بسيطاً، فهذا الابن رُبّي تربية إيمانية، في أحد الأيام وهو راكب سيارته, يبدو أنه كان متعباً تعباً شديداً, اصطدم بسيارة ثانية، السيارة الثانية فيها إنسان, يزيد عمره على التسعين، من الصدمة توفاه الله، فمعه هاتف خلوي، اتصل بالمعمل، بموظفي المعمل، هكذا حصل، ماذا أفعل؟ فقالوا: دعك في مكانك، وسنأتيك، بعد فترة بسيطة, جاء موظفو المعمل، وتوجهوا جميعاً إلى مخفر الشرطة، هؤلاء الموظفون توجهوا مباشرة إلى مخفر الشرطة، وفعلوا شيئاً، وجاؤوا إلى مكان الحادث، قال: فلما وصلت إلى مخفر الشرطة، سألني الضابط: ماذا حدث؟ فذكرت له الذي حدث، لم يتكلم ولا كلمة، قال: اكتب ووقع على الضبط، الضبط بخلاف ما وقع، أنت بريء مئة في المئة، لست مداناً إطلاقاً، قال: ولكن هذا الذي كتبته لم يحدث، أنا تسببت في موته، وكنت متعباً، ليس هو الذي صدمني، أنا الذي صدمته، قال له: عجيب! لم يكن في حياتي إنسان, أردت أن أخلصه، وأراد أن يوقع نفسه، قال: هذه شهادة زور ، لا أفعله، وأنا أدفع علي من تبعات .

أرأيت إلى الإيمان؟ هذا الضابط صعق، هل من الممكن لإنسان كتب لك ضبطاً، وخلصتك نهائياً، وتذهب إلى البيت، وأنت تريد أن تجعل نفسك متسبباً في موت إنسان؟ قال له : هكذا، القصة طويلة، دفع الدية كاملة، وعيّن أولاده في المعمل، وأعطاه مكافأة، وصار صديق العائلة، لاستقامته، شهادة الزور تقلب الحق باطلاً، والباطل حقاً .

((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ لَا يَسْكُتُ))

عدل ساعة يعدل عند الله, أن تعبده ثمانين عاماً، إذا وطّنا أنفسنا على أن نقول كلمة العدل، وألا تأخذنا في الله لومة لائم, أحبنا الله عز وجل، أما إذا اعتدى بعضنا على بعض عن طريق شهادة زور , أبغضنا الله عز وجل .



حدثني شخص أن عنده مشكلة، وله شاهد، فقال الشاهد: أريد خمسة آلاف، واشهد لك بما تريد، ثم فجأة قال له: أريد عشرة، قال له: قد قلت: أريد خمسة، قال: هناك حلف يمين على المصحف، سيحلف على المصحف كذباً، قال: عشرة، المجتمع الذي يشهد شهادة الزور هذا لا شأن له عند الله عز وجل .

هناك قصص كثيرة جداً، حينما يشهد الإنسان شهادة الحق .

حدثني شخص، هو أخ من الحجاز، قال لي: في موسم الحج دية المقتول بالسيارة مئتا ألف ريال، وديته في غير موسم الحج مئة ألف، قال: كنت راكباً سيارتي، طبعا الطريق أوتستراد، في طريق فرعي, ظهرت سيارة شاحنة صغيرة، لما رآني وقف، فلما وقف تابعت سيري، لما تابعت سيري خرج، فحدث حادث، وراح ضحيته ثلاثة قتلى، قال لي: الدية ستمئة ألف ريال، جاءت الشرطة، هذا البدوي السائق قال: الحق علي، هو قصر سرعته لما رآني، فلما رآني وقفت, تابع سيره، وأنا أخطأت وخرجت، بهذه الشهادة ألغيت عنه كل الديات، هذه شهادة حق .

أحياناً: يشهد الإنسان شهادة حق, قال: والله هذا البدوي كبر في عيني، أكرمه إكراماً كبيراً، إنسان يستطيع أن يبتز منك ستمئة ألف ريال، تقريباً ثمانية ملايين ليرة سورية، ولكن هو قانع قناعة تامة, أن الحق عليه، لا علاقة له، فالإنسان حينما يقول كلمة الحق, يسعد بها إلى أبد الآبدين .

لحظة تفكير سعد بها إلى أبد الآبدين :

مرة صحابي جليل, اسمه نعيم بن مسعود, جاء ليقاتل النبي صلى الله عليه وسلم في معركة الخندق، هو من زعماء غطفان، جلس في خيمته، صار بينه وبين نفسه حوار، وهذا الحوار سبب سعادته الأبدية، قال:



((ما الذي جاء بك يا نعيم؟ لك عقل راجح، أيعقل أن تقاتل هذا الرجل، لم يسفك دماً، ولم يغتصب عرضاً، ولم يأخذ مالاً، وأصحابه كذلك؟ علام تقاتله؟ ماذا فعل حتى تقاتله؟ – حوار– .

يقول: إنه أمضى نصف الليل وهو يحاور نفسه، أيليق برجل له عقل كعقلك, أن يقاتل هذا الرجل؟ قال: فنهض، وتوجه إلى معسكر

المسلمين، والتقى النبي صلى الله عليه وسلم، قال له: نعيم؟ قال: نعم، قال: من الذي جاء بك إلينا؟ قال: جئت مسلماً، جئت لأشهد أنه لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فرح به النبي صلى الله عليه وسلم، قال: مرني يا رسول الله, ماذا أفعل؟ قال: أنت واحد خذّل عنا، -هل تصدقون أن الإسلام بقي له ساعات حتى ينتهي نهائياً؟- .

فهذا الصحابي الجليل, ذهب على اليهود، وتكلم كلاماً ذكياً جداً، وذهب إلى قريش، وتكلم كلاماً طيباً، ووقع الشقاق بين قريش واليهود، وأرسل الله رياحاً عاصفة, قلبت قدورهم، وأطفأت نيرانهم، واقتلعت خيامهم، وانتهت المعركة بانصراف المشركين عن المسلمين، وكفى الله المؤمنين القتال))

صار نعيم صحابياً جليلاً، صار سيّدًا، لأنه فكر، وكل واحد منا أحيانا يمشي مع التيار ، الناس فعلوا هذا يفعله، ركّبوا هذا الصحن فيركبّه، لبس نساؤهم ثياباً فاضحة, يقول: هكذا الموضة، مع التيار، وهناك إنسان يفكر، أنا مسلم، هذه زوجتي، وسأحاسَب عنها، هذه ابنتي، وسأحاسب عنها، هذا لا يجوز, وهذا يجوز، بهذا التفكير السديد يسعد ويرقى عند الله عز وجل .

من الكبائر :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو, عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ, وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ, وَقَتْلُ النَّفْسِ, وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

اليمين الغموس ليس لها كفارة، لأنها تغمس صاحبها في النار، من حلف يمينا ليقتطع بها حق أخ مسلم، فيمينه يمين غموس، ولا كفارة له، هناك يمين لغو، ويمين منعقدة، ويمين غموس، اليمين الغموس تحلفها, لتقتطع بها حق أخ مسلم .

فالكبائر كما قال صلى الله عليه وسلم:

((الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ, وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ, وَقَتْلُ النَّفْسِ, وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

احفظ هذا الحديث :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ, أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مِنْ الْكَبَائِرِ: شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ, قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ, وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]



كل إنسان يسيء إلى الآخرين، يتسبب في مسبة والده، وهذا اسمه: سد الذرائع، قال تعالى:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

[سورة الأنعام الآية: 108]

أحياناً: المجنون يستفزه إنسان فيسب الدين، أنت السبب، ما دام مجنوناً، وكلما استفززته سبّ الله، وسبّ الدين, فكأنك أنت الذي سببت، وهذا يفعله معظم الناس، إنسان مختل يستفزونه، يعلمون بالضبط ما الذي يثيره, يستفزونه، فإذا به يشتم الأنبياء، ويشتم الإله، وهكذا.

وفي رواية أخرى: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو, أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

((إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ, أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ, قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ, كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ, فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ, فيسب أمه))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]

ما يجب عليك أن تفعله :

وعَنْ أبي محمد بن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ, أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ))

قَالَ سُفْيَانُ في روايته:

((يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]



وهذا الشيء واقع، لك أخت متزوجة من زوج فقير، هي خارج اهتمامك، لا بد أن تزورك من حين لآخر، حينما تلبي دعوة أهل الدنيا، حينما تلبي دعوة الأغنياء والأقوياء، هذا من الدنيا، أما حينما تصل رحمك، تزور أختك، أختك تسكن في التلّ، اذهب إلى زيارتها يوم الجمعة, خذ معك أكلة طيبة، واذهب لزيارتها، تعتز بك، تفتخر أمام زوجها، تجبر خاطرها، أجمل شيء الأسر المتماسكة، ليست البطولة أن تزور أختك دائماً, إذا كان زوجها غنياً، البطولة أن تصل الإنسان الفقير، الإنسان الذي في الدرجة السفلى في المجتمع، هذا زيارته و صلته, ترفع من شأنه .

ما حرم عليكم :

عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ, أن النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

((إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]

((قِيلَ وَقَالَ, -العيّ، يستنفذ طاقاته في موضوعات جانبية جداً، لا تقدم ولا تؤخر-, وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ))

لو أنك استقمت على أمر الله, لرأيت كل ثمار الإيمان، أسئلة دقيقة جداً، وكثيرة جداً، ومحرجة جداً، يمطرها الإنسان ترفاً، وقد يعرف الجواب، قضية ترف .

((إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح]

ماذا عن هذا الكلام؟ :

أيها الأخوة، قال تعالى:

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾

[سورة النساء الآية: 31]



أحد العلماء، وهو الإمام الذهبي المشهور – رحمه الله – له كتاب الكبائر، جمع سبعين كبيرة، والإنسان يجب أن يعلم ما الكبائر؟ قد يفعل الكبائر، ويظنها صغائر، قد يفعلها، ويحسبها صغائر، وهي كبائر، والقاعدة:

((الذنب مهما كان صغيراً, إذا أصررت عليه, انقلب كبيراً، ولا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار))

والصغيرة إذا حرفت مقودك درجة سنتيمتر واحد هذه الصغيرة، إصلاحها سهل، ولكن لو ثبتّ الانحراف, تهوي إلى الوادي، كالكبيرة تماماً، الكبيرة حرف المقود تسعين درجة، فجأة يصير في الوادي، أما الصغيرة فحرفها سنتيمترًا واحداً، ثبّتناه, نصير بعد فترة في الوادي، فالصغائر إذا أصررت عليها انقلبت إلى كبائر، لذلك: إذا ارتكب الإنسان معصية, مهما بدت صغيرة، وأراد أن يستمر عليها، هذه المعصية الصغيرة هي عند الله كبيرة، وكلما صغر الذنب في نفسك كبر عند الله، وكلما استعظمت الذنب صغر عند الله .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-6) : أمثلة عن عقوق الوالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الدرس:

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

يجب أن يعين الآباء أبناءهم على برهم:

أيها الإخوة المؤمنون... لازلنا في الحديث عن حقوق الآباء على الأبناء، ولكن هناك ملاحظة أريد أن أضعها بين أيديكم، هي أن الآيات الكريمة المتعددة، والأحاديث الشريفة الكثيرة، التي تحضّ الأبناء على أن يكونوا بارين بآبائهم، هذه الآيات والأحاديث ينبغي أن تحْمل الآباء على أن يكونوا في مستوى الأبوة المطلوب، مادام ربنا سبحانه وتعالى يحضُّ الأبناء على أن يكونوا بارين بآبائهم، فالآباء يجب أن يكونوا في المستوى المطلوب، فقد ورد في الأثر:

((رحم الله والداً أعان ولده على بره))

وورد أيضاً:

((من أكل من مال ابنه فليأكل بالمعروف))

يعني: ربنا سبحانه وتعالى في آيات كثيرة وأحاديث كثيرة، يحضّ الأبناء على برّ آبائهم، فينتظر من الآباء أن يكونوا مثالييّن في معاملة أبنائهم.

أفضل البر بالوالدين، متى يكون، وأين يكون:

ربنا سبحانه وتعالى في الآية التي بدأنا شرحها في الدرس الماضي يقول:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(سورة الإسراء: آية 23)

تشتد حاجة الآباء إلى البر عند كبر سنهم:



تشتد حاجة الآباء للبر عند الكبر

الحقيقة أن الأب الشاب اليقظ الواعي هو في غنى عن ابنه، ليس في هذا شك، ولكن متى تشتد حاجة الأب إلى ابنه ؟ إذا بلغ من الكبر عتياً، إذا تقدمت به السن، إذا ضعف بصره، إذا انحنى ظهره، إذا خارت قواه، إذا ضعفت ذاكرته، إذا كلَّت يده، إذا أصبح عبئاً على ابنه، يكون الأب في أشد حالات الحاجة إلى ابنه إذا تقدمت به السن، وإذا وقف كسبه، وإذا أصبحت حاجاته كثيرة، وأدويته كثيرة، ومطالبه كثيرة، وله أبناء في أوج شبابهم، وفي عنفوان رجولتهم. لذلك ربنا عزَّ وجل أشار في هذه الآية إلى الكبر:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(سورة الإسراء: آية 23)

بر الوالدين يكون في بيت الولد لا في مأوى العجزة:

أشارت الآية أيضاً في كلمة (عندك) إلى المعنى التالي:

الابن أحياناً يكون أبوه قد تقدمت به السن ولكنه يقطن عند أخيه، فيزوره من حينٍ إلى آخر، ويقدم له واجبات الخضوع والمحبة ويجلس قليلاً وينصرف، أما عبء الأب فهو على الأخ الثاني، فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية يشير إلى أن حقوق الأب تشتد ويعظم أجرها إذا بلغ من الكبر عتياً وكان (عندك) في البيت، أي: كنت أنت ترعاه.

فبعض الدول الغربية تفتخر بأن لديها مأوىً للعجزة، أي أن هذا الإنسان إذا تقدمت به السن التحق بهذا المأوى، قد يقدموا له كل شيء، أطيب الطعام، وكل الخدمات الصحية ولكن لا يستطيعون أبداً أن يقدموا له المحبة، ولا العطف، ربما كانت سعادة الأب أن يمتّع نظره بأولاده، فإذا زجّوه في مأوى العجزة، وتخلوا عنه، وأنفقوا عليه الأموال الطائلة، فوالله قد فعلوا في حقه جريمة لا تغتفر.



لذلك، الإسلام يوجد فيه نظام التضامن الاجتماعي، أي أن كل أُسرة متضامنة متكافلة فيما بين أفرادها، فلو تقدمت بالأب السن، لو ضعف بصره، لو خارت قِواه، لو أصبح عاجزاً، إنه بين أولاده، بين بناته، بين أقربائه، هذا الذي ينسيه ألمه، فإذا زجَّ في مأوى العجزة، فَقَدَ العطف، فقَدَ الحنان، فكيف إذا كان هذا المأوى فيه القسوة وفيه الضرب وفيه الإيذاء بالكلام ؟

سمعت قصة امرأة لها أموال طائلة أكثرها غير منقول ؛ أي حوانيت وأبنية وبيوت وأراضٍ ومزارع، تقدمت بها السن، وفقدت حركتها، أودعها أولادها في مأوى العجزة، لأن زوجاتهم أبَيْنَ أن يخدمنها، فحينما رأت نفسها في مأوى العجزة وأن أولادها الذين ربتهم تخلوا عنها، استدعت الكاتب بالعدل، وكتبت للجمعيات الخيرية كل أموالها، عقاباً لهؤلاء الأولاد الذين كفروا فضل أمهم عليهم.

لذلك:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(سورة الإسراء: آية 23)

روى الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه قال:

((رَغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكِبَر فلم يُدْخِلاه الجنة))

قال الراوي: وأظنه قال:

((أو أحدهما))

من حديث صحيح، أخرجه الترمذي

أي: أن تكون باراً بأبيك وقد تقدمت به السن، وقد ضعُف بصره، وقد خارت قِواه، وقد ضعفت ذاكرته، وقد فقد ضبط نفسه، بأن يبقى عندك معززاً مكرماً مخدوماً، فهذا العمل من الأعمال التي يستحق عليها الإنسان كلَّ إكرامٍ في الدنيا قبل الآخرة، وما رأيت إنساناً موفقاً في حياته إلا بسببٍ وجيهٍ من برهِ بوالديه، فمن كان له أبٌ حيّ فليغتنم هذه الفرصة، إنها فرصة العمر، فرصةٌ لا تعوض، وكذلك الأم.

دور اللسان والكلام في ميدان البر بالوالدين:

من ذلك:

كلمة (أف) ومعانيها السيئة:

قال تعالى:

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾

(سورة الإسراء، آية 23)

الأُف: اسم فعل مضارع، أي أتضجر، وهي من الكلام الرديء الخفي، فحتى لو رأى الابن من أبيه شيئاً لا يحتمل، لا ينبغي أن يقول له: أُف، كل ما يُضجِر ويستثقل ويقال له أُف،إن كان من الأب، لا ينبغي أن يقول الابن هذه الكلمة لأبيه، ورد في الأثر:



((لو علم الله من العقوق شيئاً أقل من أُف لذكره))

يعني أقل شيءٍ في العقوق أن تقول: أُف، وهو زفير بصوت مسموع، وهو تضجر. ولو علم الله من العقوق شيئاً أردأ من أف لذكره،فليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار، وليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة.

لكن إياكم أن تتوهموا أن البار بوالديه لو عصى الله عزّ وجل فإنه يدخل الجنة هذا ليس مقصوداً من هذا الكلام.

كلمة أُف . بالتعريف الدقيق . رفض للأب، رفض لنعمته وجحود لتربيته، وردّ للوصية التي أوصانا الله بها بحق الآباء، وهذا معنى كلمة أُف، والدليل هو قول الله عزّ وجل على لسان سيدنا إبراهيم حيث قال لقومه:

﴿ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

(آية 67 سورة الأنبياء)

يعني أنا أرفضكم بسبب كفركم، وأرفض عبادتكم، وأرفض موضوع عبادتكم.

ما يساوي كلمة (أف) من ردود الأفعال القبيحة:

العلماء قالوا: " مجرد النظر إليهما بغضبٍ يعتبر عقوقاً "



النظر بغضب للأبوين من أشكال العقوق

يعني إذا نظر إلى أبيه بعبوس، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ما برّ أباه من سدد إليه الطرف بالغضب))

حديث أخرجه الطبراني في الأوسط، وأحد رجاله متروك

بل إن إغلاق الباب بعنفٍ من العقوق أيضاً، وهو يساوي أُف.

ووضع الإناء بعنف من العقوق.

أحياناً يغضب الابن، فيقود سيارته برعونة ليعبر عن غضبه من أبيه، هذا أيضاً من العقوق، وفي الأثر:

((لم يتلُ القرآن من لم يعمل به، ولم يبرَّ والديه من أحدَّ النظر إليهما في حال العقوق أُولئك براءٌ مني وأنا منهم بريء))

القول الكريم واجب في حق الوالدين:

قال تعالى:

﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(23 سورة الإسراء: آية)

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾

(24 سورة الإسراء: آية)

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(23 سورة الإسراء: آية)

النهر: يعني الزجر والغلظة.

وقل لهما قولاً كريماً: يعني قولاً ليناً لطيفاً، يا أبتاه، يا أُماه، من غير أن يسميهما أو يُكنيهما، يعني لو أن الأب اسمه سعيد وكنيته أبو أحمد، الأولى أن تخاطبه بأن تقول له: يا أبتِ، يا أبي، يا أبتاه، وهذا أولى من أن تقول: يا أبا أحمد.

أنا مرة اصطحبت أحد الإخوة في مسجدنا لعند ابنه لقضيةٍ، فلما دخل عليه، ناداه ابنه بكُنيته لئلا يشعر أحد أنه أبوه، وقال: اجلس هنا يا أبا فلان، وأبوه شخصية مرموقة، لكنه ما أراد أن يُعرّف الناس أن هذا والده. لذلك الأولى أن يناديه بكلمة يا أبتاه، يا أبي، يا والدي، من غير أن يسميهما باسمهما أو أن يناديهما بكنيتهما، وابن المسيب يفسر قوله تعالى:

﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ﴾

(23 سورة الإسراء: آية)

قال: " القول الكريم كما يخاطب العبد سيداً فظاً غليظاً "، أي كأن عبداً مذنباً يخاطب سيداً فظاً غليظاً فإنه يتلطف، ويرجو، ويتضرع، ويتحبب، ويتوسل.

بعض الآداب الواجبة في حق الوالدين:

من بَر الوالدين، ألا يرفع الابن يديه إذا كلمهما، أي أنه لا يشير بيديه حين يتكلم معهما، فيرفع يده ويخفضها، لأن حركات اليدين في أثناء الكلام استخفاف بالأب، لذلك من بر الوالدين ألا يرفع الابن يديه في أثناء مخاطبته أمه أو أباه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل ومعه شيخ فقال له: " يا فلان من هذا معك ؟ ". قال: أبي.
قال: " فلا تمش أمامه، ولا تجلس قبله، ولا تدعه باسمه، ولا تستسب له "))

حديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ورجاله رجال الصحيح إلا اثنين فيهما كلام

لا تستسب له: أي لا تكن سبباً في سبه، هذا من أدب النبي عليه الصلاة والسلام

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((ما من مسلم يصبح ووالداه عنه راضيان إلا كان له بابان من الجنة، وإن كان واحداً فواحد، وما من مسلم يُصبح ووالداه عليه ساخطان إلا كان له بابان من النار، وإن كان واحداً فواحد))

حديث أخرجه ابن أبي عمر في مسنده، بإسناد ضعيف جداً

إذا عق والديه فأبواب النار مفتحة له، وإذا برَّ والديه فأبواب الجنة مفتحة له.

الولد وما يملك ملك لأبيه:



تروي كتب السيرة أن رجلاً جاء النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله إن أبي قد أخذ مالي، فقال عليه الصلاة والسلام:

((اذهب فأتني بأبيك))

شيءٌ دقيق جداً، إنسان شكا لك على إنسان، فمادام يتكلم وحده سيتكلم ما يحلو له، سيخفي بعض الحقائق، سيبرز بعض الحقائق، سيبالغ ببعض الحقائق، لكن إذا قلت له اذهب وأتني به، أنا أؤكد لكم أن تسعة أعشار ما كان ينوي أن يقوله سوف يسكتُ عنه، إذا أحضرت المتخاصميْن مع بعضهما أمامك، فإن تسعة أعشار ما ينوي أحدهما أن يقوله في غيبة الآخر سوف يسكت عنه، فالنبي عليه الصلاة والسلام علمنا قال:

((اذهب فإتني بأبيك))

اسمع من الطرف الآخر، قال سيدنا سليمان:

﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾

(آية 27 سورة النمل)

تريّثْ، استمع من الطرف الآخر، حق الدفاع مشروع، قال له:

((اذهب فأتني بأبيك))

روت كتب السيرة أن سيدنا جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:

((" إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه "))

أي أن الشيخ في طريقه إلى النبي عليه الصلاة والسلام كان يحدث نفسه، وكل واحد منا إذا كانت عنده مشكلة، فإنه يمشي وهو يحدِّث نفسه، هذا حديث النفس، يبدو أن هذا الشيخ لشدة ألمه من ابنه كان يحدث نفسه شعراً، فسيدنا جبريل جاء النبي عليه الصلاة والسلام وقال له: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فاسأله عن الشيء الذي قاله في نفسه..

((فلما جاء الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم: " ما بال ابنك يشكوك، أتريد أن تأخذ ماله ؟ فقال: سله يا رسول الله، هل أنفقته إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسي ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إيه دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك ". فقال الشيخ: والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقيناً، لقد قلت شيئاً في نفسي ما سمعته أذناي فقال: " قل وأنا أسمع " قال: قلت:

غذوتك مولوداً ومنتك يافعاً تُعِلُّ بما أجني عليك وتنهلُ
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبِتْ لسقمك إلا ساهراً أتململُ
كأني أنا المطروقُ دونك بالذي طُرقتَ بهِ دوني فعيني تهملُ
تخاف الردى نفسي عليك وإنها لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغتَ السن والغاية التي إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلتَ جزائي غلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل
تراه معداً للخلاف كأنه بردٍّ على أهل الصواب موكل

قال: حينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه فقال:

((أنت ومالك لأبيك))

القصة أخرجها الطبراني عن جابر بن عبد الله، ولها شواهد مختصرة رجالها رجال الصحيح

النبي صلى الله عليه وسلم بكى، وأمسك الابن من تلابيبه وقال: أنت ومالك لأبيك، من أنت ؟ ما أنت إلا حسنة من حسنات أبيك.

حدود البر بالوالدين:

لكن بر الوالدين له حدود، لو أن الأم أو الأب أمرك أن تكفر بالله أو أن تكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام، ماذا تفعل ؟ الله سبحانه وتعالى علمنا فقال:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(سورة العنكبوت: آية 8)

قصة سيدنا سعد رضي الله عنه مع أمه، قال: " كنت باراً بأمي فأسلمتُ، فقالت: لتَدَعَنَّ دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيَّر بي، ويقال لك: يا قاتل أُمه. وبقيت يوماً أو يومينً لا تأكل ولا تشرب، فقلت: يا أماه لو كانت لكِ مائة نفسٍ، فخرجت ً واحدةً تلو أخرى، ما تركت ديني هذا، فكلي إن شئت أو لا تأكلي ".

يعني في موضوع الإيمان بالله، وموضوع طاعة الله، يتوقف هنا رضا الأُم والأب " فكلي إن شئت أو لا تأكلي "، لكنها أكلت، فلما رأت ذلك أكلت، ونزل قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾

(سورة لقمان: آية 15)

بعض الأحكام المتعلقة ببر الوالدين:

بعض الأحكام الشرعية المتعلقة في هذا الباب:

1- طاعتهما تكون في ميدان المباحات لا في المعاصي:

طاعة الأبوين لا تراعى في ركوب الكبيرة أو ترك الفريضة، هذا الحكم الشرعي المستنبط من هذه الآية، هذا شيءٌ مقطوعٌ به، وتلزم طاعتهما في المباحات، الأشياء المباحة يلزمك أن تطيعهما فيها، ويستحسن ترك المندوبات من أجلهما، مثال ذلك:

الأكل على الطاولة، وأبوك يغضب بسرعة، وأنتم في شهر رمضان، وتريد أن تصلي أنت وزوجتك وأولادك المغرب قبل الإفطار، والأب يحب أن يأكل مع الأذان، فأن تصلي قبل الإفطار هذا مندوب، فإذا تركت الصلاة قبل الإفطار، وصليتها بعد الإفطار إرضاءً لأبيك وحفاظاً على أعصابه فإن هذا مطلوبٌ منك، فهذا ترك المندوبات، أما في المباحات فأنت ملزمٌ بطاعتهما، وفي ارتكاب الكبائر أو ترك الفرائض لست ملزماً بطاعتهما، أما إذا رأيت أن ترك بعض المندوبات مما يريحهما فلا عليك إذا فعلت هذا من أجلهما، هذا هو الحكم الشرعي.

2- طاعتهما مقدمة على الجهاد الكفائي إن لم يأذنا:

كذلك ترك الجهاد الكِفائي، الجهاد الكِفائي إذا قام به البعض سقط عن الكل، يعني إذا الإنسان تطوع في الخدمة العسكرية، فالتطوع يحتاج إلى إذن الوالد، أما الخدمة الإلزامية فلا تحتاج، الجهاد العيني هذا ليس بإذن من الوالد، ترك الجهاد الكِفائي من أجلهما، أو الإقدام عليه فبإذنهما.

3- يجوز ترك الصلاة النافلة من أجل إجابة الوالدين:

تحدثنا في الدرس الماضي عن إجابة الأُم في الصلاة، فإذا أمكنك أن تعيد الصلاة وكانت في حاجةٍ إليك لا عليك أن تدع الصلاة من أجلها.

كمال طاعات سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً:

((" من أصبحَ منكم اليوم صائماً " ؟ قال أبو بكر الصِّدِّيق: أنا، قال: " فمن تَبِعَ منكم اليوم جنازة " ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: " فَمَنْ أطعم منكم اليومَ مِسْكِيناً " ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: " فمن عاد منكم اليوم مريضاً " ؟ قال أبو بكر: أنا، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: " ما اجْتَمَعْنَ في رجل إلا دخل الجنة "))

حديث صحيح، أخرجه مسلم

يعني سيدنا الصديق كان سباقاً ؛ في بر الوالدين، وفي إطعام الطعام، وفي رد السلام، وفي تشيع الجنازة..

بر الوالدين من صفات الأنبياء:

لا تنسوا أن الله عزّ وجل نوَّه بالأنبياء الكرام وبرِهم بآباءهم، فقال متكلماً عن سيدنا يحيى:

﴿ وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً ﴾

(سورة مريم، آية 14)

وعن سيدنا عيسى:

﴿ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ﴾

(آية 32 سورة مريم)

وعن سيدنا يوسف:

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾

(سورة يوسف: آية 100)

وعن سيدنا إسماعيل:

﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

(آية 102 سورة الصافات)

تروي بعض الكتب . من باب التفصيلات . أن سيدنا إسماعيل عليه السلام قال: " يا أبت إذا أردت ذبحي، فاشدد وثاقي لئلا يصيبك شيءٌ من دمي فينقص أجري، وإن الموت لشديد ولا آمن أن أضطرب عنده إذا وجدتُ مسه، فاشحذ شفرتك حتى تُجهز عليّ، فإذا أنت أضجعتني لتذبحني فاكببني على وجهي، فإني أخشى إن أنت نظرت إلى وجهي أن تأخذك الرقة فتحول بينك وبين أمر ربك، وإن رأيت أن تردّ قميصي إلى أُمي، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني فافعل، قال إبراهيم: نعم العون يا بني أنت على أمر الله. ما هذا الابن ؟.. نِعم العون يا بني أنت على أمر الله، ثم إنه هم بالتنفيذ، فتله للجبين ليذبحه فنودي:

﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (*) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾

(آية 104،105 سورة الصافات)

وافتُديَ بكبشٍ عظيم، وجده إبراهيم على مقربةٍ منه فذبحه.

يعني نحن جميعاً نرى القضية سهلة، أُفتدي بكبشٍ عظيم، هذا متى عرفته أنت ؟ بعد أن أُفتدي، أما حينما أمره الله بذبح ابنه هل كان يعلم أن هناك حل لهذه المشكلة ؟

﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾

(آية 106 سورة الصافات)

الآثار الطيبة لبر الوالدين:

منها:

الالتجاء إلى الله ببر الوالدين ينجي من الكروب:

النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح المتفق عليه . أي اتفق عليه الشيخان،البخاري ومسلم، وهذا أعلى مستوى من الأحاديث الصحيحة . عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول:

((انطلقَ ثلاثةُ نَفَر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيتُ إلى غار، فدخلوه، فانحدرتْ صَخرَةٌ من الجبل، فسَدت عليهم الغارَ، فقالوا: إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تَدْعُوا الله بصالح أعمالكم..))

كل واحد منا وقع في مشكلة أو في ورطة، أو لاح له شبح خطر، أو لاح له شبح مصيبة، كمرض عُضال لا سمح الله، أو دمار للمال فجأةً، إذا وقع أحد في مشكلة كبيرة جداً، لا ينام لها الليل، فالسُنة النبوية أن تدعو الله بصالح عملك.

حدثني رجل كان من تجار الأغنام التقيت به وكان عمره يزيد على التسعين عاماً، وقال لي: " إنني خرجت لِتَوي من الفحص الطبي فكانت النتيجة سليمة مائة بالمائة "، أي أنه لا يشكو شيئاً وهو في التسعين، وقد أقسم لي أنه لا يعرف الحرام بكل أنواعه، وكان باراً بوالديه، فقال لي: " كنت في البادية مرةً، وامرأة راودته عن نفسه، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، واشترى قطيعاً من الغنم وسار به، فأدركهم العطش إلى درجةٍ أنه وأغنامه أصبحوا على وشك الموت، فقال: يا رب إن كنت تعلم أنني عففت عن هذه المرأة خوفاً منك ففرج عنا. هذه سنة، يعني إذا أحب الله عزّ وجل أن يمتحن إنساناً، وضعه في ورطة، أو في مشكلة.. الطريق انقطع، عطش شديد، مرض شديد، مشكلة كبيرة، شبح إتلاف المال كله، فعليه أن يدعو الله بصالح عمله، يا رب إن كنت تعلم أنني فعلت هذا العمل من أجلك وخالصاً لك لا أبتغي به شيئاً فأنقذني من هذه الورطة، هذه هي السنة.

((قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخانِ كبيران، وكنتُ لا أَغْبُقُ قبلهما أهلا ولا مالا..))

الغبوق: معناه شرب الحليب مساءً

((فنأى بي طلبُ شَجَر يوماً، فلم أَرُحْ عليهما حتى ناما..))

أي عدت إلى البيت فإذا هما نائمان

((فَحَلَبْتُ لها غَبوقَهُما، فوجدتهما نائمين، فكَرِهتُ أَن أَغْبُقَ قبلهما أهلا أو مالا، فَلَبِثْتُ والقَدَحُ على يدي أنتظر استيقاظهما، حتى بَرَقَ الفَجْر..))

لا يشرب قبلهما حتى استيقظا من نومهما

((فاستيقظا، فشرِبا غَبوقَهُما، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك، ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرَجَتْ شيئاً لا يستطيعون الخروج..))

لكنها تزحزحت

((قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: قال الآخر: اللهم كانت لي ابنةُ عمّ، كانت أحبَّ الناس إليَّ، فأردْتُها على نفسها، وامتنعت مني، حتى أَلَمَّتْ بها سَنَةَ من السنين..))

أي: فقرٌ شديد

((فجاءتني، فأعطيتُها عشرين ومائةَ دينار، على أن تُخَلِّيَ بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قَدَرْتُ عليها، قالت: لا أُحِلُّ لَكَ أن تَفُضَّ الخَاتَمَ إلا بِحقِّه، فتحَرَّجْتُ من الوقوع عليها، فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ الناس إليَّ، وتركتُ الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافْرُج عنا ما نحن فيه، فانفرَجَتِ الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها))

((قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: وقال الثالث: اللهم استأَجَرْتُ أُجَرَاءَ، وأعطيتُهم أجرَهم، غير رَجُل واحد، تَركَ الذي له وذهب، فَثَمَّرتُ أَجْرَهُ حتى كَثُرَتْ منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله، أَدِّ إليَّ أجري، فقلت: كلُّ ما ترى من أَجْرِكَ، من الإبل والبقر، والغنم، والرقيق، فقال: يا عبد الله، لا تستهزئُ بي، فقلتُ: إني لا أستهزئُ بك، فأخذه كلَّه، فاسْتاقه، فلم يتركْ منه شيئاً، اللهم فإن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافْرُج عنا ما نحن فيه، فانفرجتِ الصخرة، فخرجوا يمشون))

حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود

يعني إذا الإنسان وقع في شدة، فعليه أن يدعو الله بصالح عمله.

دعوة الأب لابنه، دعوة مستجابة:

وعن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَاباتٌ، لا شَكَّ في إجابَتِهنَّ: دَعوَةُ المظلُومِ، ودَعوةُ المُسَافِرِ ودَعوةُ الوَالِدِ على الولد))

حديث حسن، أخرجه الترمذي

وفي الأثر:

((أربعةٌ دعوتهم مستجابة، الإمام العادل، والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب، ودعوة المظلوم، ورجلٌ يدعو لولده))

بر الوالدين سبب لمغفرة الذنوب، وزيادة في العمر و الرزق:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال:

((أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله أذنبت ذنبا كبيراً، فهل لي من توبة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألك والدان ؟ قال: لا، قال ألك خالة ؟ قال: نعم قال فبرها إذاً))

حديث صحيح، أخرجه الترمذي والإمام أحمد وابن حبان والحاكم

وهذا حديث لطيف، يعني إذا كان إنسان توفيت أمه وله خالة فالإحسان إلى الخالة بمثابة الإحسان إلى الأُم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((من سره أن يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه))

حديث أخرجه أحمد في مسنده، ورجاله رجال الصحيح

وقال عليه الصلاة والسلام:

((من بر والديه طوبى له، زاد الله في عمره))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه الحاكم في مستدركه

وعن ثوبان رضي الله عنه ن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه))

حديث صحيح الإسناد، أخرجه الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم

ثلاثة أحاديث عن أن بر الوالدين يزيد في العمر وفي الرزق.

بشارة للمقصّرين كي يتداركوا:


من زار قبر والديه ودعا لهما كتب بارا

ورد في الأثر:

((إن العبد ليموت والداه أو أحدهما وإنه لهما لعاق فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله باراً))

هذه بشارة، فلو أن أباً مات غاضباً على ابنه، فهذا الابن العاق دعا لوالديه واستغفر لهما وفعل الأعمال الصالحة من أجلهما، ربما كتبه الله باراً ولو مات أبوه غاضباً عليه، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذه ؟ فيقول: باستغفار ولدك لك))

حديث رجاله رجال الصحيح غير واحد وقد وثق، أخرجه الطبراني والإمام أحمد عن أبي هريرة

وفي الأثر:

((من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر الله له وكُتب باراً))

بعض القصص المتعلقة بموضوع بر الوالدين:

بقي علينا بعض القصص المتعلقة بهذا الموضوع:

1- كما تدين تدان:

قيل: كان رجل يطعم والده المُسن طعاماً في إناءٍ من الخشب . الآن يوجد كأس من البلور وكأس من الإستالس، فيريد الوالد كأس من الماء فيعطيه ابنه كأس الإستالس لأنها لا تتكسر . فكان هذا الرجل يطعم والده المُسن في إناءٍ من الخشب، فسأله ولده عن السبب في هذا، الابن الصغير سأل أباه: لماذا تطعم جدي في هذا الإناء الذي هو من الخشب ؟ فقال له: لأنني إذا أطعمته في إناءٍ صينيٍ أو من الزجاج كسره، فقال له ابنه: إذاً يا أبت سأحتفظ لك بهذا الإناء الخشبي حتى أُقدم لك طعامك فيه عندما تكون في سن جدي، فعند ذلك انتبه الوالد وأدرك أن ما يفعله الآن مع والده سيفعله ابنه معه، وتاب إلى الله من هذا الذنب.

أقل استهانة أحياناً تهين الأب، كأن يقدم له فنجاناً فيه عيب، ويقول: خذ اشرب بلهجة المتذمر، أو كأس متسخة فيحزن الأب، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم))

حديث أخرجه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح عن عبد الله بن عمر

2- يشتكي أمه وينسى فضلها:

قيل: إن رجلاً شكا إلى نبي سوء خلق أمه، فقال:

((لم تكن أُمك سيئة الخلق حين أرضعتك حولين كاملين ؟ ولم تكن سيئة الخلق حين أسهرتها الليل، ولم تكن سيئة الخلق حين رعتك، لقد جازيتها بهذا ؟))

هذا الذي يذم والديه ليس مؤمناً.

3- الولد ملك لأبيه:

ولد اشتكى إلى النبي عليه الصلاة والسلام أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا هو شيخٌ يتوكأ على عصا فسأله، فلعله قال: يا رسول الله إن ابني وهو صغير كان ضعيفاً وأنا قوي، وكان فقيراً وأنا غني، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، واليوم أنا ضعيفٌ وهو قوي، وأنا فقيرٌ وهو غني يبخل علي بماله، فبكى النبي عليه الصلاة والسلام وقال للولد:

((أنت ومالك لأبيك))

من حديث صحيح،أخرجه ابن ماجة عن جابر بن عبد الله

4- آداب بعض البررة:

. قيل لعمر بن ذر: كيف كان برّ ابنك ؟ قال: " ما مشيت نهاراً إلا ومشى خلفي، ولا ليلاً إلا مشى أمامي، ولا رقى سطحاً وأنا تحته ".

. قيل لعلي بن الحسين: أنت من أبر الناس بأمك، ولكن لماذا لا تأكل معها ؟ قال: " والله أخاف أن تمتد يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه فأكون قد عققتها ".

يعني: قطعة من اللحم في الصحن وهي عينها على هذه القطعة،فإن أكلتها أنا أكون قد عققتها... كانوا إلى هذا المستوى.

. أبو يزيد البسطامي رحمه الله قال: " كنت ابن عشرين سنة، فدعتني أُمي لتمريضها ذات ليلة فأجبتها، فجعلت يدي تحت رأسها، والأخرى أمسِّد يدها بيدي، وأقرأ (قل هو الله أحد) فخدرت يدي، فكدت أفقد قوة اليد، فقلت: اليد لي وحق الوالدة لله ".

هذا من بره لأُمه.

5- ترجو هي حياتك، وترجو أنت موتها:

ورجل قال لسيدنا عمر: " إني أخدم أُمي كما كانت تخدمني في الصغر فهل قمت بحقها ؟ فقال: لا، إنها كانت تخدمك وهي تتمنى لك الحياة، وأنت تخدمها وأنت تتمنى لها الموت ". وبعبارة أخرى أو مهذبة: (أن يخفف الله عنها).

6- الأم الصابرة المحتسبة:

كان رجلٌ يجلس إليَّ، فبلغني أنه نزل به الموت وإذا أُم عجوز كبيرة جعلت تنظر إليه حتى غُمِّض وعصِّبَ وسُجِّي، فقالت: رحمك الله يا بني لقد كنت بنا باراً، وعلينا شفوقاً رزقنا الله عليك الصبر، فقد كنت تطيل القيام وتكثر الصيام، فلا حرَمَكَ الله ما أملت من رحمته، وأحسن عنك العزاء، ثم نظرت إليّ وقالت: لو بقي أحدٌ لأحد لبقي النبي عليه الصلاة والسلام لأمته.

كل حالٍ يزول، لذلك يقال للميت كما في الأثر: " رجعوا وتركوك وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت ".

وأخيراً:

من خلال هذه الآيات والأحاديث والتعليقات والأحكام الفقهية والقصص يتبين لنا أن بر الوالدين بابٌ كبير من أبواب الجنة.

((رَغِمَ أنف رجل أدرك عنده أبواه الكِبَر فلم يُدْخِلاه الجنة. قال الراوي: وأظنه قال: أو أحدهما))

من حديث صحيح، أخرجه الترمذي

فمن كان له أب على قيد الحياة أو أم، أو من كان له أب وأم، فليغتنم هذه الفرصة، لأن الله عزّ وجل أمرنا أن نحسن إلى الوالدين وقرن هذا الأمر بعبادته..

والحمد لله رب العالمين

الخاتمة : اسئلة وأجوبة عن بر الوالدين

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :

لقاءات مع العلماء الأجلاء حول الأسرة في الإسلام في الواجبات والحقوق وأدبيات التعامل .

بر الوالدين ...

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أيها الإخوة المستمعون السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يسرنا أن نجدد اللقاء بفضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق لنتابع وإيّاه سلسلة لقاءاتِنا ضمن برنامج الأسرة في الإسلام ، حديثنا اليوم عن برّ الوالدين وعواقب العقوق في القولِ والعمل وقطعِ الأرحام التي لا توصل إلاّ بِهما وذلك انطلاقاً من قوله تبارك وتعالى في سورة الإسراء :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾

[سورة الإسراء الآية : 23]

المذيع :

فضيلة الشيخ .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فضيلة الشيخ :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

المذيع :

برّ الوالدين هل هو تكليّف ديني ، فهل بينه وبين الطبع توافق أو تعارض ؟

فضيلة الشيخ :

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، كمقدمة توضّح فِكرةِ التكليف، ليسَ في الأديان السماوية كُلِها أمرٌ واحدٌ بتناول الطعام وتوعّدٌ لمن لا يأكل لأنَّ هذا تحصيلُ حاصل، فقد رُكِّبَ في طبع الإنسان وفي أصلِ تصميمه دافعٌ إلى الطعام وحاجةٌ إليه ، يتمثّل هذا بالشعور بالجوع ذلك الشعور الذي لا يُقاوم .



كذلك ليس في الدين الإسلامي أمرٌ برعاية الأبناء لأنَّ هذا مُركّبٌ في طبع الآباء والأمهات فالأمر به تحصيلُ حاصل، لكنَّ برّ الأبناء للآباء تكليفٌ لأنه ليس مُركّباً في الطبع، ولأنه تكليفٌ فإنَّ صاحبه يُثاب عليه في الدنيا توفيقاً ونجاحاً وفي الآخرة سعادةً وخلوداً، ويُفهم من كلمة تكليف أنهُ ذو كُلفة:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾

[سورة النازعات الآيات : 40-41]

الإنسان لا يرقى إلاّ إذا خالَفَ هواه، ربما كان طبعه يدعوه إلى النوم لكنَّ التكليف يأمرهُ أن يُصلي الفجر، ربما كان طبعه يدعوه إلى الحديث عن عورات الناس لكنَّ التكليف يأمره أن يحفظ لسانه من أن يخوض في عورات الناس.

فالتكليف كما يتضحُ مخالِفٌ للطبع ، إذاً به نرقى إلى الله عزّ وجل .

المذيع :

وهل برُّ الوالدين أمرٌ مخالفٌ للطبع ؟

فضيلة الشيخ :

بر الوالدين مخالف للطبع...

طبعاً .. الشاب حينما يتزوج فمصلحته مع زوجته وأصدقاؤه على شاكلته وفي عقليته، أمّا قد يكون أباه من الجيل القديم مثلاً يشعر أنهُ عِبءٌ عليه، لذلك جاء الأمر الإلهي برعاية الآباء والأمهات .

المذيع :

وبصورة بليغة في البيان والتعبير.

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

فضيلة الشيخ :

أهمية التكليف بين البر للوالدين وعبادة الله...

طبعاً ... فهذا التكليف من الأهمية بحيث اقترن بعبادة الله عزّ وجل .. يعني شيء معروف أنَّ العطف يقتضي التوافق والمشاركة لا يُعقل أن يقول أحدُنا اشتريت بيتاً وملعقةً لابُدَّ من التوافق فحينما يأتي متعاطفان لابد من إنسجامٍ وتوافقٍ بينهما ، فالله سبحانه وتعالى رفعَ الأمرَ بِبِرِّ الوالدين إلى مستوى الأمرِ بعبادته ، قال تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

ومن هذا القبيل :

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾

[سورة لقمان الآية : 14]

بل إنَّ الله ينتظر من عبده أن يذكره كما يذكر أباه :

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾

[سورة البقرة الآية : 200]

معنى ذلك أنَّ للأب مكانةً كبيرةً كبيرةً عِندَ المُسلم لأنهُ سببُ الوجود :

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾

[سورة الإنسان الآية : 1]

قال تعالى : وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً....

النقطة الأولى:



يقول علماء اللغة: إنَّ كلمة قضى هُنا في هذه الآية ليست قضاء حُكمٍ بل هي قضاء أمر، يعني أمرَ ربكم ألا تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحساناً.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ يَقُولُ حَدَّثَنَا صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عبد الله قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ: قَالَ الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا. قَالَ ثُمَّ أَيٌّ: قَالَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ. قَالَ ثُمَّ أَيٌّ: قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))

[رواه البخاري ومسلم والنسائي]

فبِرُّ الوالدين من خلال هذا الحديث الشريف هو أعظم الأعمال بعد الصلاة التي هي عماد الدين وعِصام اليقين .

النقطة الثانية:

هذه الآية دقيقةٌ جداً قال تعالى :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

فِعلُ أحسَنَ في اللغة يتعدّى بـ " إلى "، لو فتحنا معاجم اللغة لوجدنا فعل أحسَنَ يتعدّى بـ " إلى"، تقول أحسنت إليه ، إلاّ أنَّ هذا الفِعل في هذهِ الآية يتعدّى بالباء.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾

يعني أحسِنوا بالوالدين أي اتقوا ربكم بإحسانِكم للوالدين.

العلماء قالوا: هذهِ الباء تُفيد الإلصاق، وقد أستُنبِطَ من هذهِ الباء التي تعدّى بها فعل أحسَنَ أنَّ الإحسان إلى الوالدين لا يُقبل إلاّ شخصيّاً وبالذّات إكراماً لهما، أمّا اتصال هاتفي .. رسالة ... عن طريق السائق ... أرسل لأبي هذه الحاجة .... هذا ليسَ إحساناً كما أراده الله عزّ وجل، ينبغي أن يكون الإحسان إلى الوالدين إحساناً شخصيّاً مباشِراً لا عن طريق الوساطة، لأنَّ الباء كما قُلت قبل قليل تُفيد الإلصاق ، تقول مثلاً أمسكتُ بيده يعني ألصقتُ يدي بيده فهُنا جاءت الباء لِتُشير إلى هذا المعنى الدقيق.

الأب أحياناً لا يعنيه الطعام ولا الشراب، يعنيه وجود ابنه إلى جانبه وهُنا جاءت الآية الكريمة.

النقطة الثالثة:

ثُمَّ يقول الله عزّ وجل :

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾

[سورة الإسراء الآية : 23]

الأخ زياد لو نظرنا إلى كلمة:

﴿ عِنْدَكَ﴾

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾

فبعد أن كان الابن في صِغَره وضعفهِ عِندَ أبيه مكاناً ونفقةً ورعايةً ، الآن صارَ الأبُ عِندَ ابنه مكاناً ونفقةً ورعايةً ، وقد يُصبح الأب عِبئاً على الابن فيستثقل وجوده ويُدهنُ تبرُّمَهُ ويضجرُ منه.

النقطة الرابعة:

قال تعالى:

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾

ما كلمة أُف؟ هي اسم فعل مضارع تُفيد معنى التضجّر، والحقيقة ليست كلمة إنها زفيرٌ مسموع، يعني لو أنَّ في اللغة كلمةً أقلّ من أُف لقالَها الله عزّ وجل، لكنَّ العلماء حملوا على أُف كُلَّ موقفٍ، وكُلَّ نظرةٍ ، وكُلَّ

حركةٍ، وكُلّ تصرُّفٍ يُساويها في الإساءة، فلو أُغلِقَ الباب بِعُنفٍ هذهِ كأُف، من شدَّ نظره إلى أبيه.. شدَّ نظرهُ إليه، هذهِ كأُف، من أشارَ إشارةً بيده تبرّماً هذهِ كأُف ......



إذاً : كُلّ تصرّفٍ أو كُلّ حركةٍ أو سكنةٍ أو نظرةٍ أو موقفٍ حتى لو كان إشارةً تُساوي كلمة أُف هي محرّمةٌ بِنصّ هذهِ الآية الكريمة:

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾

أمّا:

﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾

من النهرِ أي الزجرِ والغِلظة.

النقطة الخامسة:

أمّا قولُه تعالى:

﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾

قال بعض المفسرين: القول الكريم الذي ينبغي أن يقوله الابن لأبيه كقول العبد المُذنب لسيّده الفظِّ الغريب، كيفَ أنَّ العبدَ المذنب أمام سيده القوي يتذلل له وينتقي أجملَ الكلمات، القول الكريم الذي أُمِرنا أن نقوله لوالدينا كهذا القول الذي يقطِر رِقّةً ولُطفاً وأدباً وما شاكَلَ ذلك.

النقطة السادسة:

أمّا معنى قوله تعالى:

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾

[سورة الإسراء الآية : 24]

روينا في كتاب ابن السني، عن أبي هريرة رضي الله عنه:

((أن النبيّ صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً معه غلام، فقال للغلام: مَنْ هَذَا؟ قال: أبي، قال: فَلا تَمْشِ أمامَهُ، ولا تَسْتَسِبَّ لَهُ، وَلا تَجْلِسْ قَبْلَهُ، وَلا تَدْعُهُ باسْمِهِ))

قلت: معنى لا تَسْتَسِبَّ له: أي لا تفعل فعلاً يتعرّض فيه لأن يسبّك أبوك زجراً لك وتأديباً على فعلك القبيح . لكن قد يقول قائل لو أنَّ شاباً مسلماً أو مؤمناً ولم يرى والده على ما ينبغي ، الجواب دقيق جداً: لا يختصُّ برُّ الوالدين بأن يكونا مسلمين.

((قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الأَسْوَدِ أَنَّهُ سَمِعَ عُرْوَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ))

[صحيح البخاري]

ويروي بعضُ المفسرين أنَّ هذه مناسبة نزول تِلكَ الآية :

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

[سورة الممتحنة الآية : 8]

يعني أدِ الذي عليك واطلب من الله الذي لك.

النقطة السابعة:


النبي الكريم رفع بر الوالدين إلى مرتبة الجهاد

في شيء دقيق جداً سُئِلَ عليه الصلاة والسلام : من أعظم الناسِ حقاً على الرجلِ ؟ .. على الإطلاق .. قال: أمه ، فلمّا سُئِل من أعظم الناسِ حقاً على المرأة ؟ قال : زوجُها .. يعني في حياة الرجل أعظم إنسان هي أمُهُ ، وفي حياة المرأة أعظم إنسان هو زوجُها . عن عبد الله بْنَ عَمْرٍو رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ :

((فَقَالَ أَحَيٌّ وَالِدَاكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ))

[أخرجه الجماعة إلا الموطأ]

يعني .. بمثابة الجهاد في سبيل الله " فيهما فجاهد " ، يعني كأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام رَفَعَ بِرَّ الوالدين إلى مرتبة الجِهاد .

المذيع :

هل يُعتبر من عقوق الوالدين وعقوق الأُم إذا تَرَكَ المُسلم حقَّ زوجتهِ ليُلبي حقَّ أُمِهِ عليه ؟

فضيلة الشيخ :

حقوق الأم والزوجة:

لا يجوز إلا أن يُعطي كُلَّ ذي حقٍ حقه، لا تُبنى طاعةٌ على معصية، لا تُحلُّ مُشكِلة بمُشكِلة، المؤمن يُعطي كُلَّ ذي حقٍ حقه، للمرأةِ حقُها وللأُمِ حقُها، والبطولة أن يُعطي كلَّ ذي حقٍ حقهُ لا أن يُعطي حقَّ أُمهِ على حسابِ زوجتهِ ، ولا حقَّ زوجتهِ على حِسابِ أُمهِ.

قصة قصيرة طريفة:

تخاصمَ رجلٌ مع امرأته على ولدٍ لَهُما أيُهُما أحقُ بحضانته.

فقالت المرأة للقاضي: أنا أحقُ بِهِ؛ لأنني حملته تِسعةَ أشهر، ثمَّ وضعتهُ، ثم أرضعتهُ، إلى أن ترعرع بين أحضاني كما ترى.

فقال الرجلُ: أيها القاضي حملته قبلَ أن تحمِلَهُ، ووضعتهُ قبلَ أن تضعَهُ، فإن كان لها بعضَ الحقِ فيه فليَّ الحقُ كلُهُ أو جُلّهُ.

فقالَ القاضي: أجيبي أيتها المرأة.

قالت المرأة: لَئِن حَمَلَهُ خِفّاَ فقد حملتُهُ ثِقَلاً، ولَئِن وضعهُ شهوةً فقد وضعتُهُ كُرهاً.

فقال القاضي: ادفع إلى المرأة غلامها ودعني من سجعِك.

المذيع :

فلها الحقُ في حضانته .. طبعاً ..

فضيلة الشيخ :

صلة الأرحام...

رجل من الأنصار جاء للنبي صلى الله عليه وسلم ... أنتم أشرتم في مقدمة هذا الحديث إلى نوعٍ من البِر بعد وفاة الأُمِ والأب وهي صِلة الأرحام ...

((عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ بَدْرِيًّا وَكَانَ مَوْلَاهُمْ قَالَ قَالَ أَبُو أُسَيْدٍ بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ عَلَيَّ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ بَعْدَ مَوْتِهِمَا أَبَرُّهُمَا بِهِ قَالَ نَعَمْ خِصَالٌ أَرْبَعَةٌ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لا رَحِمَ لَكَ إلا مِنْ قِبَلِهِمَا فَهُوَ الَّذِي بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ بِرِّهِمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا))

[أخرجه أبو داود]

هذا الحديث يحتاج إلى بعض الشرح:

المُراد من الصلاة عليهما الدعاء لهما بالرحمة، وقد أمرَ الله بهذا فقال : وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا، وكان عليه الصلاة والسلام في آخر كُلِّ صلاة يقول ربي اغفر لي ولوالدي ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً، وفي صحيح مسلم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:



((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلَاثَةٍ إلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))

[رواه مسلم]

والولد الصالح هُنا أي المؤمن الذي عَرَفَ الله وإستقامَ على أمرِهِ ودعا لوالديه، فدعاء الولد لأبيه بعدَ موتهِ إستمرارٌ لعملهِ الصالح بشرطِ أن يُربيَّ الأبُ إبنه تربيةً إيمانيةً تُرضي الله عزّ وجل.

شيءٌ آخر ... قال بعض التابعين: من دعا لوالديه في اليومِ خمسَ مرات فقد أدّى حقهُما في الدعاء.

إذاً: من بَرِّ الوالدين بعدَ موتِهما الدعاءُ لهُما عَقِبَ كُلِّ صلاة ، وقيلَ الصلاة عليهما صلاة الجنازة .. هذا بعض الأقوال .. وقد وردَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْقِنْطَارُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أُوقِيَّةٍ كُلُّ أُوقِيَّةٍ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَنَّى هَذَا فَيُقَالُ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ))

[أخرجه ابن ماجه]

يعني .. الولد الصالح إستمرار لعمل الإنسان.

" وأعظم كسبِ الرجلِ ولدُهُ " .. يعني طريقٌ إلى الجنة، طريقٌ إلى الرّقيّ المستمر.

شيءٌ آخر في الحديث " وإنفاذٌ عهدِهما " إنفاذُ العهدِ المُرادُ منهُ إنجازُهُ والوفاءُ بِهِ مادامَ من الأمورِ التي تُرضي الله، أمّا إذا أوصيّا ببعضِ المخالفاتِ والبِدَع فإنَّ وصيتهُما لا تنفُذ لأنهُ لا طاعةً لمخلوقٍ في معصية الخالق، بل إنَّ الإبنَ الذي لا يُنفِذُ وصيةَ والِدِهِ المخالِفةَ للشرع لهُ عِندَ اللهِ أجر ويكون قد أنقذَ أباهُ من عذابٍ شديد .



وأمّا عن صِلة الرَحِمِ: فإنَّ الرَحِمَ تُنادي وتقول: اللهم صِلّ من وصلني واقطع من قطعني فيقول الله عزّ وجل : أنا الرحمن الرحيم شققت الرَحِمَ من إسمي فمن وَصَلَها وصلتُه ومن قَطَعَها قطعتُه.

وقد وَرَدَ في الأثر أنهُ إذا ماتت الأُم قالَ الله عزّ وجل عبدي ماتت التي كُنا نُكرِمُكَ لأجلها فإعمل صالِحاً نُكرِمُكَ لأجلِك.

أي أنَّ جزءاً من إكرامِ اللهِ للعبدِ من أجلِ أُمهِ فإذا ماتت تولّى الله محاسبتهُ حِساباً دقيقاً.

أُريد أن أذكرَ هذا الحديث الشريف الأخير الذي يُعزِزُ معاني بِرُّ الوالدين : يقول عليه الصلاة والسلام : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَيُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[رواه الإمام أحمد في مسنده]

المذيع :

ربنا اغفر لي ولوالديَّ يوم يقوم الحِساب، نسأل الله عزّ وجل من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أشكرُ جزيل الشُكر فضيلة الشيخ مُحمد راتب النابُلسي الأستاذ المُحاضر في كُلية التربية في جامعة دمشق على هذه المساهمة والحديث عن بِرِّ الوالدين في حياتِهما وبعدَ وفاتِهما.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين

محتويات الكتاب